

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

برهان الدين العبوشي أديبا

إعداد

شمس الدين غنام عبد القادر عصيدة

إشراف

أ. د. عادل أبو عمشة

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2012م

برهان الدين العبوشي أديبا

إعداد

شمس الدين غنام عسيده

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2012/12/30م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع

1. أ. د. عادل أبو عمنة / مشرفاً ورئيساً

2. د. إبراهيم نمر موسى / ممتحناً خارجياً

3. د. نادر قاسم / ممتحناً داخلياً

إهداء

إلى أمي وأبي

إلى زوجتي وأولادي

إلى إخوتي وأخواتي

إلى أساتذتي

إلى الشموع التي تحترق لتضيء الطريق للآخرين

إلى كل من علمني حرفاً

أهدي هذا البحث المتواضع راجياً المولى

عزّ وجلّ أن يجد القبول والنجاح

الشكر والتقدير

عرفانا مني بجميل من كان له فضل علي، فأني لأشكر لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور عادل أبو عمشة الذي أسبغ علي من كريم خصاله، وسعة معرفته، ووافر عطائه، ما شجعني وساعدني على إتمام هذه الرسالة على الوجه الذي وصلت إليه. كما أشكره على جهوده ووقته وإرشاده في سبيل أن يرى هذا البحث النور، جزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بقراءة هذه الدراسة وتقويمها.

وأتقدم كذلك بعظيم الشكر ووافر الامتنان من الأديب الفلسطيني سماك برهان الدين العبوشي - نجل الشاعر برهان الدين العبوشي - لما قدم لي من المساندة والعون في سبيل إخراج هذا العمل إلى النور.

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

برهان الدين العبوشي أديبا

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يُقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student Name:

اسم الطالب:

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ:

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ج	الإهداء
د	الشكر
هـ	الإقرار
و	فهرس المحتويات
ط	الملخص
1	المقدمة
5	تمهيد
6	المبحث الأول: وصف كتاب "الأعمال الكاملة للشاعر الراحل برهان الدين العبوشي"
8	المبحث الثاني: مولده ونشأته
13	المبحث الثالث: طفولته الشعرية
16	المبحث الرابع: منزلته الشعرية وموقعه بين شعراء عصره
21	جدول بمحتوى الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي
22	الفصل الأول: الاتجاهات الشعرية عند برهان الدين العبوشي
23	تمهيد
25	المبحث الأول: الشعر الوطني
26	المطلب الأول: حب الوطن
29	المطلب الثاني: تمجيد البطولة ورثاء الأبطال
32	المطلب الثالث: النقمة على السماسرة
38	المطلب الرابع: معاداة الزعماء والأحزاب
42	المطلب الخامس: الثورة ومحاربة الاستعمار والاحتلال
46	المطلب السادس: رثاء الشهداء
50	المطلب السابع: نبوءة النكبة قبل حلولها
55	المبحث الثاني: الشعر القومي
66	المبحث الثالث: الشعر الاجتماعي
76	المبحث الرابع: الشعر الديني

الصفحة	الموضوع
84	المبحث الخامس: شعر النكابة
87	المبحث السادس: شعر السخرية والفكاهة
92	المبحث السابع: الغربة والحنين للوطن
96	الفصل الثاني: المسرحيات الشعرية
97	المبحث الأول: تاريخ المسرح العربي الحديث في فلسطين
98	المبحث الثاني: تاريخ المسرح الشعري الفلسطيني
102	المبحث الثالث: مضامين المسرحيات الشعرية لبرهان الدين العبوشي
102	المطلب الأول: مسرحية وطن الشهيد
106	المطلب الثاني: مسرحية شبح الأندلس
109	المطلب الثالث: مسرحية عرب القادسية
110	المطلب الرابع: مسرحية الفداء
112	المبحث الرابع: الالتزام في المسرح الشعري عند العبوشي
113	المبحث الخامس: عناصر المسرحيات الشعرية
113	المطلب الأول: الشخصيات
117	المطلب الثاني: الحوار
120	المطلب الثالث: الحبكة
123	المطلب الرابع: الحدث وارتباطه بالزمان والمكان
127	الفصل الثالث: المذكرات "من السفح إلى الوادي ألبى صوت أجدادي"
129	المبحث الأول: دوافع العبوشي في كتابة مذكراته
133	المبحث الثاني: أهمية مذكرات العبوشي
135	المبحث الثالث: وصف مذكرات العبوشي
138	المبحث الرابع: مضمون مذكرات العبوشي
150	المبحث الخامس: أسلوب العبوشي في مذكراته
155	الفصل الرابع: التشكيل الفني
156	المبحث الأول: اللغة
162	المبحث الثاني: الأسلوب
173	المبحث الثالث: الصورة الفنية
181	المبحث الرابع: الموسيقى

الصفحة	الموضوع
181	المطلب الأول: الموسيقى الخارجية
188	المطلب الثاني: الموسيقى الداخلية
191	المبحث الخامس: التناس
207	المبحث السادس: التكرار
215	الخاتمة
217	قائمة المصادر والمراجع
b	Abstract

برهان الدين العبوشي أديبا

إعداد

شمس الدين غنام عبد القادر عسيبة

إشراف

أ. د. عادل أبو عمشة

الملخص

تعرض هذه الدراسة للأديب الفلسطيني برهان الدين العبوشي من خلال حياته ومولده ونشأته وتعليمه وثقافته وأسفاره، وما كان للبيئة من أثر في تكوينه ورسم شخصيته، ثم تستعرض الدراسة الاتجاهات الأدبية عند برهان الدين العبوشي كالاتجاه الشعري حيث تنوعت أشعاره بين الوطنية والقومية والدينية إضافة إلى شعر النكابة، أما الاتجاه المسرحي فقد عبّر فيه العبوشي عن أحوال البلاد شعرا من خلال مجموعة من المسرحيات، ثم الاتجاه النثري وهو ما تجسّد في المذكرات النثرية، ثم تعرض الدراسة للخصائص الفنية في شعر العبوشي من خلال اللغة والأسلوب والموسيقا والصور.

لقد هدفت هذه الدراسة إلى لفت الاهتمام بأديب فلسطيني أبدع مع إخوانه الأدباء أعمالا ملتزمة تعبّر عن المراحل المختلفة من تاريخ الإنسان الفلسطيني، وعلى الرغم من قسوة الحياة وضنك العيش إلا أن العبوشي واصل إبداعاته ورغد المكتبة العربية عامة والفلسطينية خاصة بأكثر من نوع أدبي؛ فنظم الشعر والمسرح والمذكرات... ما يدل على امتلاكه طاقات كبيرة.

المقدمة

هذه دراسة تتناول الأديب الفلسطيني برهان الدين العبوشي من خلال أعماله الكاملة التي صدرت مؤخرا عن مؤسسة فلسطين للثقافة في دمشق، وضمت تجربة أدبية طويلة للشاعر امتدت من عام 1933م حتى عام 1985م.

سيتناول الباحث في هذه الدراسة حياة الشاعر الفلسطيني وفكره وأثر ذلك كله في تشكيل رؤيته الفنية، وستطال الدراسة موضوعين أساسيين هما: جانب المضمون في أعماله (ويتمثل في الجانب الوطني والديني والاجتماعي ...)، والجانب الفني المتمثل في بنية القصائد والمسرحيات والمذكرات من حيث: اللغة، والأسلوب والموسيقا، والصورة الفنية...

وهذا يعني أن الدراسة ستجمع بين الرؤية والتشكيل في تجربة شاعر جمع بين الشكل القديم والحديث فنيا، وبين مختلف الموضوعات الوطنية والدينية والقومية مضمونا.

لقد احتل برهان الدين العبوشي في تاريخ الشعر الفلسطيني مكانة بارزة، فهو شاعر وطني قومي يغلف أدبه بمسحة إسلامية تشي بتدينه وعمق تجاربه، وهو شاعر مبدع عاصر أجيالا عدة قبيل نكبات فلسطين وخلالها وبعدها، وأصبح بجرأة عن أحوال البلاد شعرا ونثرا.

ولم تطبع الأعمال الكاملة للعبوشي إلا متأخرا عام 2009م، وما كتب عن العبوشي لا يعدو مجموعة من المقالات المتفرقة في الصحف والمواقع الالكترونية، أو جزءا من دراسات شاملة للأدب عامة والشعر الفلسطيني خاصة، لكن هذه الدراسات الجزئية المتفرقة لم تلمم أطراف الموضوع ولم تفه حقه من الدراسة الوافية، ولم تغن عن دراسة منهجية كاملة يمكن من خلالها دراسة أعماله الأدبية من شعر ومسرح ومذكرات.

وقد أشارت بعض الكتب والدراسات الأدبية لأهمية العبوشي في النضال الوطني الفلسطيني إلى جانب إخوانه من الشعراء أمثال: إبراهيم طوقان، وعبد الرحيم محمود، وعبد الكريم الكرمي وغيرهم، ومن هذه الدراسات:

- 1- محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن للدكتور ناصر الدين الأسد، 1961م.
عرض الباحث أشعار مجموعة من شعراء فلسطين والأردن - ومن ضمنهم برهان الدين العبوشي - وقد استشهد ببعض أشعاره، لكن الدراسة تعدّ دراسة عامة للأدب في فلسطين والأردن ولم تركز على أديب بحد ذاته.
- 2- حياة الأدب الفلسطيني الحديث للدكتور عبد الرحمن ياغي، 1980م.
عرض فيه الباحث حياة الأدب العربي الحديث في فلسطين والشتات، مستشهداً بأعمال كثير من الشعراء، لكن نصيب برهان الدين العبوشي في هذا الكتاب لم يتعد الصفحتين.
- 3- الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر للدكتور كامل السوافيري، 1973م.
عرض فيه الباحث أشعار مجموعة من شعراء فلسطين، واستعرض بعض الخصائص التي يمتاز بها شعرهم، لكن الدراسة تعدّ دراسة عامة ولم تركز على شاعر بحد ذاته.
- 4- الموسوعة الفلسطينية، هيئة الموسوعة الفلسطينية، مجلد 4 ، 1980م.
تناولت الموسوعة المراحل الزمنية التي مرّ بها الأدب الفلسطيني بشكل عام، وصنفت العبوشي ضمن مرحلته، وقد عرض المؤلفون خصائص كل مرحلة بشكل عام، ولم يركزوا على شاعر معين.
- 5- اليهود في الأدب الفلسطيني بين 1913-1987م للدكتور عادل الأسطة، 1992م.
عرض فيه الباحث مسرحية وطن الشهيد لبرهان الدين العبوشي، وخرج بنتيجة مفادها أن نظرة العبوشي لليهود تنطلق من رؤية عربية إسلامية ريفية نمطية، وأنهم لا يشكلون خطراً على المجتمع العربي الفلسطيني لأنهم يهود، بل لأن أخلاقهم فاسدة.
- 6- الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين للدكتور عبد الرحمن الكيالي، 1975م.
عرض فيه الباحث أشعار مجموعة من شعراء فلسطين، وأراد من كتابه إيقاظ الوعي لدى الأمة وتعميقه، وتحريك الشعب ودفعه لكشف المؤامرات والتغلب عليها، ولم يركز الباحث على شاعر معين، بل تناول كل شاعر أسهم في الذود عن فلسطين بشعره، وعدّ الشعر سجلاً تاريخياً، كما انصب تركيزه على دراسة شعر النكبة من قبل وقوعها حتى ضياع فلسطين.

7- برهان الدين العبوشي للدكتور علي الخواجا، 2008م.

وهو كتيّب عرض فيه الباحث حياة الشاعر برهان الدين العبوشي وفكره ونضاله، كما عرض بعض الخصائص الأسلوبية في شعره، لكن هذه الدراسة لا تعدّ دراسة شاملة، فهي لم تتعرض للمسرحيات أو المذكرات أو الأغراض الشعرية في شعر برهان الدين العبوشي.

برهان الدين العبوشي شاعر محافظ من حيث الشكل الفني للقصيدة، ملتزم في فكره الديني وانتمائه الوطني، لكنه لم يدرس دراسة أكاديمية من قبل، إلا أنّ أعماله بما حوته من قصائد عمودية، ومسرحيات، ومذكرات، تتمّ عن تجربة أدبية تستحق الوقوف عندها، حيث يستطيع دارس أعماله أن يقف على أهم الموضوعات والقضايا التي تدل على تجربة شعرية غنية فنيا ومضمونيا.

من نحو آخر، يمكن الإشارة إلى أنّ العبوشي ينتمي إلى مدرسة فكرية تمثل اتجاهها في الشعر يمكن تسميته الاتجاه الوطني الإسلامي في الشعر الحديث -ولعل هذا الاتجاه يقابله اتجاه آخر هو الاتجاه اليساري- وهذا يعني أن دراسة العبوشي تمثل وقوفاً على اتجاهات مهمة من الاتجاهات الأدبية والفكرية الحديثة وعلى رأسها الاتجاه العروبي الذي صبغ بالصبغة الوطنية والإسلامية.

أما فلسطينياً، فإن العبوشي واكب القضية الفلسطينية منذ بداياته الشعرية في الثلاثينيات، وقد ضمت أعماله الكاملة قصائد عديدة ومتنوعة حول الأرض، والشهداء، واللاجئين، والقدس، والقرآن الكريم، والنكابة، فهو بهذا يعدّ واحداً من الشعراء الذين أسسوا لشعر المقاومة .

أما من حيث المنهج فسيُزاوج الباحث في هذه الدراسة بين منهجين: المنهج التاريخي، والمنهج الفني، ذلك أنه سيدرس حياة الشاعر من نحو، وخصائص أعماله الفنية من نحو آخر، إضافة إلى المنهج التحليلي وذلك لتحليل أعماله الأدبية من شعر، ومسرح، ومذكرات.

شملت الدراسة تمهيداً، وأربعة فصول، وخاتمة؛ وقد تناول التمهيد حياة الأديب برهان الدين العبوشي ونشأته وطفولته الشعرية وموقعه بين شعراء عصره، إضافة إلى تعريف بكتاب فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر الراحل برهان الدين العبوشي.

أما الفصل الأول فكان بعنوان الاتجاهات الشعرية عند برهان الدين العبوشي، وكان على رأس هذه الاتجاهات الاتجاه الوطني ثم الاتجاه القومي والاجتماعي والديني...، كما طرق العبوشي في أشعاره بابا جديدا من أبواب الشعر الحديث سمّاه (شعر النكاية)، لكن الاتجاه الوطني حاز حصة الأسد، حيث تفرع عن الاتجاه الوطني؛ حبّ الوطن، وتمجيد البطولة، والنفقة على السماسرة، ومعاداة الحكام والأحزاب، والدعوة للثورة ومحاربة الاحتلال، ورناء الشهداء، والنبوءة الشعرية.

أما الفصل الثاني فقد كان بعنوان المسرحيات الشعرية، حيث استهل الباحث الفصل بتمهيد تاريخي حول المسرح العالمي والعربي والفلسطيني، وصولا إلى تاريخ المسرح الشعري الفلسطيني، ثم لخص الباحث مسرحيات برهان الدين العبوشي، وعرض أفكارها، كما عرض لظاهرة الالتزام الشعري عند برهان الدين العبوشي، وتناول الباحث عناصر المسرحيات الشعرية من حبكة، وشخصيات، وحوار، وأحداث ومدى ارتباط هذه العناصر بالزمان والمكان.

أما الفصل الثالث فقد كان بعنوان المذكرات، حيث بدأ الفصل بمقدمة حول مفهوم المذكرات، كما تناول أهمية مذكرات العبوشي ودوافعه من وراء تسجيل مذكراته، وأسلوبه في المذكرات، ثم عرض وصفا موجزا للمذكرات، وقام بدراسة مضمونها دراسة وافية.

أما الفصل الرابع فقد حمل عنوان التشكيل الفني، وفيه تناول الباحث اللغة مع التركيز على المعجم الشعري عند العبوشي، والأسلوب الذي تفرع عنه عدة قضايا كسهولة الألفاظ واللجوء إلى بعض التقنيات ومنها الجناس والتدوير والتصريع والنداء والاستفهام...، والصورة الشعرية، والموسيقا التي تناول فيها الباحث شكلها الداخلي والخارجي، إضافة إلى التناسل الشعري الذي قسم إلى تناسل ديني وأدبي وتاريخي وذاتي، وأخيرا ظاهرة التكرار في أعمال العبوشي الأدبية.

وأما الخاتمة فقد أتى فيها الباحث على أهم ما توصل إليه من نتائج خلال هذه الدراسة.

تمهيد

المبحث الأول: وصف كتاب "الأعمال الكاملة للشاعر الراحل برهان الدين
العبوشي"

المبحث الثاني: مولده ونشأته

المبحث الثالث: طفولته الشعرية

المبحث الرابع: منزلته الشعرية وموقعه بين شعراء عصره

جدول بمحتوى الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي

المبحث الأول: وصف كتاب "الأعمال الكاملة للشاعر الراحل برهان الدين العبوشي"

برهان الدين حسن قاسم العبوشي "هو أحد أفراد تلك الكوكبة من الشعراء الفلسطينيين الذين جادت قرائحهم جراء أوضاع فلسطين السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية المزرية، حيث رقدوا الحركة الأدبية عامة، والشعرية خاصة بإبداعاتهم التي لاقت آذاناً صاغية، فسرت دماً نقياً في الشرايين، أولئك الذين عُذوا طلائع الحركة الشعرية، ورواد نهضتها، لنتاجاتهم الشعرية في أبعادها السياسية وطنياً، وقومياً"¹.

وهو من الأدباء "الذين وهبوا فكرهم وكلمتهم لخدمة وطنهم، رغم عدم شهرته كغيره من أقرانه في الوسط الأدبي، وكانت الدراسات عنه قليلة، فهو لم يأخذ حظه منها، إلا أن نتاجه الأدبي والشعري يدلان على شاعريته، وانتمائه لوطنه المغتصب، فقد قرن الكلمة بالسلاح في مواجهة المحتلين، فجرح وسجن وعذب، في معتقلات عوجا الحفير وصرفند والمزرعة"²، لذلك يعدّ برهان الدين العبوشي عيّنة أدبيةً رياديةً مميزة، تستحق الوقوف عندها وقفة متأنية، فهو "مجاهد وأديب وشاعر، من رجالات فلسطين، ومن رموزها الوطنية التي ناضلت وخدمت القضية الفلسطينية، كان فارس سنان وبيان، دافع عن بلده بيده ولسانه"³.

وقد صدر كتاب الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر الراحل برهان الدين العبوشي عن دار مؤسسة فلسطين للثقافة في دمشق، حيث حمل الكتاب عنوان "فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر المجاهد الراحل برهان الدين العبوشي، 2009م"، ويحتوي الكتاب على بابين رئيسيين جمع فيهما ولده "سماك العبوشي" أعمال والده الأدبية، حيث قسم الباب الأول إلى ثلاثة فصول، أولها حمل في طياته الدواوين الشعرية للشاعر برهان الدين العبوشي، وهي أربعة

¹ خواجه، علي، التشكيل الصياغي قراءة في الشعر الفلسطيني الحديث، ط1، رام الله، دار البيرق العربي للنشر، 2009م، ص8.

² أبو الشباب، واصف، شخصية الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط1، دار العودة، بيروت، 1981م، ص239.

³ جرار، حسني أدهم أدباء من جبل النار، ط1، دار المأمون، عمان، 2007م، ص49.

دواوين شعرية؛ أولها ديوان "جبل النار"¹، وثانيها ديوان "النيازك"²، وثالثها ديوان "إلى متى"³، ورابعها ديوان "جنود السماء"⁴.

أما الفصل الثاني فقد ضم بين دفتيه المسرحيات الشعرية للعبوشي؛ وأولها مسرحية "وطن الشهيد"⁵، والثانية مسرحية "شبح الأندلس"⁶، والثالثة مسرحية "عرب القادسية"⁷، والمسرحية الرابعة هي "الفداء"⁸.

أما الفصل الثالث فقد خصصه سماك العبوشي للمذكرات النثرية للشاعر برهان الدين العبوشي وقد حملت عنوان "من السفح إلى الوادي ألبى صوت أجدادي"⁹.

أما الباب الثاني فقد جمع فيه سماك العبوشي مجموعة من الملاحق، خصص الملحق الأول لما قيل في الشاعر من قبل الشخصيات السياسية والفكرية والنقاد والباحثين المعروفين، وكان على رأس هذه الشخصيات الرئيس الشهيد "ياسر عرفات" الذي وصف العبوشي بعد أن منحه وسام القدس بقوله "أنت أستاذنا في الوطنية والجهاد... ومنك نتعلم"¹⁰، والملحق الثاني تضمن جدولاً ببعض الكتب والمؤلفات الأدبية التي ذكرت الشاعر برهان الدين العبوشي وإشارات إلى دوره الشعري والأدبي والنضالي، أما الملحق الثالث فقد تضمن عدداً من الكلمات والمقالات التي كان في طليعتها كلمة نجله البكر الأستاذ سماك برهان الدين العبوشي حيث حملت عنوان "برهان الدين العبوشي كما عرفناه وعاشناه"، أما المقال الثاني فكان للدكتور محمد العميرة من الأردن وقد حمل عنوان "برهان الدين العبوشي فارس الكلمة المقاتلة"، والمقال

¹ طبع لأول مرة عام 1956م بمطبعة الشركة الإسلامية في بغداد.

² طبع لأول مرة عام 1957م بمطبعة دار البصري في بغداد.

³ طبع لأول مرة عام 1972م بمطبعة المعارف في بغداد.

⁴ طبع لأول مرة عام 1985م عن طريق لجنة إحياء التراث الأدبي الفلسطيني في الكويت.

⁵ طبعت لأول مرة عام 1947م بالمطبعة الاقتصادية في القدس.

⁶ طبعت لأول مرة عام 1949م بمطبعة دار الكشف في بيروت.

⁷ طبعت لأول مرة عام 1951م بمطبعة المعارف في بغداد.

⁸ طبعت لأول مرة عام 1968م بمطبعة البصري في بغداد.

⁹ طبعت لأول مرة بمطبعة الأمة في بغداد عام 1980م.

¹⁰ عندما كرم الرئيس الشهيد ياسر عرفات الشاعر برهان الدين العبوشي في بغداد بوسام القدس للثقافة والآداب والفنون قال له "أنت أستاذنا في الوطنية والجهاد... ومنك نتعلم" عام 1990م.

انظر: فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ط1، دار مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق، 2009م، ص743.

الثالث كان من نصيب الكاتب الصحفي هشام عودة وحمل عنوان "العبوشي شاعر مات واقفاً على قدميه"، ثم ختم الملحق الثالث بمقالة للدكتور كمال غنيم تحت عنوان "المسرح الفلسطيني وتداعيات النكبة والمعاناة الفلسطينية".

إن هذا الكتاب الذي أعده ابنا الشاعر برهان الدين العبوشي (سماك وحسن) وفاء لوالدهما بالتعاون مع مؤسسة فلسطين للثقافة، يعدّ لبنة في بناء المكتبة الأدبية الفلسطينية، ورافداً من روافدها، ولن تكون دراستي هذه سوى المقدمة التي ستفتح الباب على مصراعيه أمام الدراسات الأخرى.

المبحث الثاني: مولده ونشأته

ولد برهان الدين بن حسن بن قاسم العبوشي¹ في مدينة جنين الفلسطينية، في السابع من كانون الأول عام ألف وتسعمئة وأحد عشر ميلادية، لأبوين عربيين فلسطينيين هما حسن قاسم العبوشي، ومشخص إبراهيم الجابر²، وله أربعة أشقاء ذكور، وشقيقتان.

¹ يذكر الباحث محمد محمد حسن شرّاب في كتابه (معجم العشائر الفلسطينية) أن عشيرة العبوشي أخذت اسمها نسبة لقرية كفر عبوش، قضاء طولكرم، ويورد شرّاب أسماء ثلاث عشائر تحمل اسم العبوشي، في جنين ونابلس وكفر عبوش، ولكن شرّاب لم يتطرّق إلى جذور آل العبوشي ولا إلى اسمها الحقيقي الذي غلب عليه اسم قرية كفر عبوش، ولم يشر إلى تاريخ قدمها إلى قرية كفر عبوش والمكان الذي قدمت منه. انظر: شراب، محمد محمد حسن، معجم العشائر الفلسطينية، ص 1071-1247-1269.

أما الأستاذ أكرم زعيتّر فتحدّث في كتابه (الحركة الوطنية الفلسطينية 1935-1939م) عن العديد من رجالات آل العبوشي، الذين كانوا من أبرز ناشطي الحركة الوطنية الفلسطينية، التي تصدّت للمستعمرين البريطانيين ولعصابات اليهود المدعومة من الانجليز، ويتحدّث عن دورهم في ثورة عام 1936 م، ومن هؤلاء الشاعر برهان الدين العبوشي، وفهمي العبوشي الذي كان رئيساً لبلدية جنين في مرحلة ثورة 1936م، وراجح العبوشي، وجميل العبوشي، ومحمود العبوشي، وناظم العبوشي.

انظر: زعيتّر، أكرم، الحركة الوطنية الفلسطينية 1935-1939، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1980، ص125.

كما ذكر لي سماك برهان العبوشي في رسالة الكترونية أن "عمي الأصغر حسني العبوشي (رحمه الله) الذي كان يعمل مديعاً في هيئة الإذاعة البريطانية - القسم العربي، كان قد حدّث والدي - رحمه الله - بأنه وأثناء زيارته لليمن السعيد في سبعينيات القرن المنصرم، فإنه كان قد التقى ببعض شيوخ اليمن وأكّدوا له بأن أصول (العبوشي) تعود إلى مدينة (نجران) اليمنية المحاذية للمملكة العربية السعودية، ومن هناك انتقلوا لفلسطين أسوة بالقبائل العربية التي هاجرت من اليمن إلى بلاد العرب الأخرى كالعراق والشام وفلسطين وغيرها. رسالة الكترونية من سماك برهان الدين العبوشي بتاريخ 13-8-2011.

² انظر: شخصية الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص239.

وجنين" التي طالما تردد اسمها في أشعاره، وطالما ظل شريط ذكرياته عنها يراوده في يقظته ونومه، تارة يوم كان طفلاً، يمرح على ترابها، وأخرى حين أصبح فتى يافعا، نطق أول أبياته الشعرية على أرضها بمناسبة الزلزال الذي زارها على حين غرة، ثم صار شابا فلبّى نداء الواجب، متمسكا بالبندقية، مدافعا عن عروبته ضد الهجمة الصهيونية، فجنين لم تفارق خياله لحظة واحدة، بل مات وهو على أمل أن يلقاها في يوم من الأيام، ليدفن تحت ثراها".¹

عاش العبوشي أيام طفولته في العهد التركي، وما إن بلغ السابعة من عمره حتى دخل الإنجليز مدينة جنين، وبذلك يكون قد عاش فترة المعاناة، التي سببها الاحتلال منذ نعومة أظفاره²، أنهى دراسته الابتدائية في مدارس مدينته جنين، حيث كان طالبا في المدرسة الرشدية، وقد لمح المعلمون نبوغه الشعري والخطابي منذ الطفولة، حيث انتدبته المدرسة للمسابقات الشعرية والخطابية³، وعاش كغيره من أبناء فلسطين طفولته في ظل الانتداب البريطاني، وقد تشرب الوطنية والقومية منذ طفولته، فقد كان معلمو المدرسة الابتدائية يغرسون في نفوس الطلاب الأناشيد الوطنية، في مواجهة النشيد البريطاني الرسمي، ما ألهب الشعور الوطني لديه، وجعل فكره - على الرغم من طفولته - يوازي فكر الرجال.

ثم انتقل إلى مدينة نابلس في المرحلة الثانوية، حيث أصبح طالبا في مدرسة النجاح الوطنية "وهي مدرسة كانت تغرس في نفوس طلابها إلى جانب فروع المعرفة المختلفة حب العرب والعروبة، وتشعل في نفوسهم جذوة الوطنية، وتضع البرامج التي تغذي فيهم الجانب القومي، والاعتزاز بالأمجاد العربية التي سطرها التاريخ، حيث لم يكن لإدارة المعارف الحكومية سلطان عليها"⁴.

¹ العبوشي، سماك برهان الدين، موقع الشاعر برهان الدين العبوشي الإلكتروني، www.al-abbushi.com.

² الخواجا، علي، برهان الدين العبوشي 1911-1993، ط1، 2008، المركز الفلسطيني للبحوث والدراسات الاستراتيجية، ص4.

³ انظر: فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص622.

⁴ السوافيري، كامل، ديوان عبد الرحيم محمود، دار العودة، بيروت، 1999م، ص22.

وقد كان العبوشي في مدرسة النجاح تلميذاً لشاعر فلسطين الكبير، إبراهيم طوقان "الذي زاول التدريس في مدرسة النجاح سنة واحدة، 1929-1930م"¹، وقد لمح طوقان الموهبة الشعرية في تلميذه برهان الدين العبوشي، ولاحظ نبوغه وعبقريته الشعرية، فغذى هذه الموهبة الشعرية وحببها إليه وإلى رفيقه الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود خاصة، وإلى طلاب المدرسة عامة².

تقول الشاعرة فدوى طوقان، شقيقة الشاعر إبراهيم طوقان "زاول إبراهيم مهنة التعليم في مدرسة النجاح الوطنية سنة واحدة، وكان له تأثير في بعض طلابه، من الصفوف العالية، فحبب إليهم الشعر والأدب، ولا أزال أذكر ذلك اليوم الذي أقبل فيه يحدثنا مبتهجا، بأن بعض تلاميذه النجب، قد بدؤوا ينظمون الشعر على يده"³. وكان على رأس هؤلاء الطلاب برهان الدين العبوشي، فقد تنبأ طوقان للعبوشي بالشاعرية. يروي صديقه الحميم وابن صفه في مدرسة النجاح، الدكتور جودت تفاحة⁴، أن العبوشي وعبد الرحيم، كانا ينظمان الشعر، ويعرضانه على أستاذهما إبراهيم طوقان، فيعجب المعلم بتلاميذه، ويرى كل سمات الشعر في قصائدهما⁵.

"وكان في أثناء دراسته بكلية النجاح الوطنية يشارك في النشاطات الثقافية والحركات الطلابية، وكان زملاؤه يقدرونه ويحترمونه لما عُرف عنه من روح وطنية وثابة، وطموح لتحقيق آمال شعبه ... لذلك كان حاضراً في كل مناسبة تستدعي الحركة والنشاط"⁶.

¹ طوقان، إبراهيم عبد الفتاح، ديوان إبراهيم طوقان، دار الشرق الجديد، بيروت، د.ت، ص21.

² محمود، طارق عبد الكريم، مقابلة بتاريخ 20-4-2011.

³ _ديوان إبراهيم طوقان، ص21.

_الطريفي، يوسف عطا، شعراء أعلام-إبراهيم طوقان حياته وشعره، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2008م، ص22.

⁴ ولد جودت تفاحة عام 1915م في مدينة نابلس، درس في مدرسة النجاح، ثم تابع تحصيله العلمي في الجامعة الأمريكية ببيروت عام 1939م، وتخرج من كلية الطب، توفي تفاحة عام 1998م.

⁵ انظر: محمود، طارق عبد الكريم، مقالة بعنوان: عبد الرحيم محمود ... الجانب الآخر - من كتاب عبد الرحيم محمود بين الوفاء والذكرى، إعداد: أديب رفيق محمود وطارق عبد الكريم محمود، إصدار مركز إحياء التراث العربي، مطبعة روان التجارية، القدس، ط1، 1990م، ص207. وكذلك مقالة في صحيفة القدس بعنوان "الشاعر الفلسطيني برهان الدين العبوشي... إلى متى يظل منسياً ومظلوماً"، للكاتب طارق عبد الكريم محمود بتاريخ 2009/12/11م.

⁶ أدباء من جبل النار، ص49.

ثم انتقل العبوشي عام 1931م ليكمل دراسته في الكلية الوطنية في الشويفات ببلبنان بعد أن حُرِم من الشهادة من مدرسة النجاح الوطنية نتيجة لخطاب التخرج الذي ألقاه، حيث حرض فيه على الثورة ضد الاستعمار بخلاف الخطاب الذي أعطته إياه المدرسة، فغيّر الخطاب بما يتناسب مع أفكاره دون إذن إدارة المدرسة، ثم التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت، عام 1933م، لكن بسبب مواقفه الوطنية والقومية، فإنه لم يتمكن من إتمام دراسته في الجامعة، فقد صدر قرار فصله من إدارة الجامعة الأمريكية، في مطلع السنة الدراسية الثانية، فعاد إلى مسقط رأسه جنين، ثم عمل موظفاً في البنك الزراعي العربي _ بنك الأمة العربية- فرع طبريا¹، وكان يرأس البنك في تلك الفترة أحمد حلمي باشا²، ثم نقل العبوشي إلى فرع القدس، وقد أحبّ العبوشي العمل في البنك العربي، لأنه بنك عربيّ قوميّ، يدعم صمود الفلاحين من جهة، ويواجه المؤسسات المالية الصهيونية التي تمصّ دم الفلاحين، وتسلب أرضهم من جهة أخرى، وقد نظم العبوشي عدة قصائد مادحا البنك العربي منها:

الرمّل

هنيئاً الأمّة بالبنك الجديد	وانظم الشعر فهذا يوم عيد
إن أولى الناس تشجيعاً فتى	صان وجه الشعب من مال اليهود
وابتنى للشعب بيتاً راسخاً	يضمرم العزيمة في نفس البليد
ويفكّ المفلس من زراعنا	وذوي الصنعة من ذلّ القيود ³

أمضى ردحا من حياته في الريف الفلسطيني، فأحسّ بقيمة الأرض، وجمالها، وأكل من إنتاجها، وشرب من ينابيعها، وطوّف في جبالها، ورتع في جناتها، وتشرب من مبادئها، وأخلاقها، فأحبها، ودافع عنها بسيفه ولسانه⁴، وأسهم العبوشي في مشروع صندوق الأمة العربية

¹ انظر: شراب، محمد محمد حسن، شعراء فلسطين في العصر الحديث، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2006م، ص73.

² اقتصادي وسياسي فلسطيني ولد في مدينة صيدا عام 1882، تعلم في مدينة نابلس ثم اسطنبول، عمل في البنك الزراعي، شغل منصب رئيس حكومة عموم فلسطين من عام 1949-1963م، توفي عام 1963م.

³ فارس السيف والقلم-الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص89.

⁴ نفسه، ص332.

الذي أنشئ لتوعية الفلاح الفلسطيني بالحفاظ على أرضه، وحمايته من المغريات الصهيونية، كما كان العبوشي عضواً في اتحاد كتاب فلسطين والعراق، وامتزج في شعره الشاعر بالثائر، والتقت عنده غايات القصيدة بأهداف المسرحية، فصار شعره هتافاً وغناءً وتحريضاً.¹

كما أسهم في الحركة الوطنية الفلسطينية، فكان من جماعة (المفتي) الحاج أمين الحسيني، ومن المناصرين للشهيد عز الدين القسام...². وبعد عودته من بيروت "انصرف إلى المطالعة حيث كان ميالاً إلى الأدب ما جعله يعيش حياة الشعراء؛ من حيث التمرّد على الواقع المهزوم، وعدم الرضوخ للغاصبين المحتلين، وكان له نشاط في حيفا بمركز النشاط العمالي في ذلك الوقت"³.

شارك في ثورة عام 1936م، واعتقل في القدس وتم نفيه إلى عوجا الحفير على مقربة من صحراء سيناء، ثم نُقل إلى معتقل صرفند، ثم اعتقل بعد ذلك وأودع في سجن المزرعة لمدة عشرة أشهر⁴، وفي عام 1939م انتدب للتعليم في العراق، ثم شارك في ثورة "رشيد عالي الكيلاني"⁵ هناك عام 1941م، مع إخوانه المجاهدين أمين الحسيني وعبد الرحيم محمود⁶، وجرح فيها، وبعد فشل الثورة، وصدور الأوامر بالإلقاء القبض عليه، توجه إلى الموصل، ومن هناك، تم تهريبه إلى دمشق بوساطة العشائر البدوية العربية، ثم عاد إلى مسقط رأسه، مدينة جنين، متخفياً⁷.

شارك في معركة جنين عام 1948م، مع المجاهدين الفلسطينيين جنباً إلى جنب، مع جنود الجيش العراقي وأصيب في المعارك بجراح بالغة في كتفه⁸، وإثر الهزيمة رفض أن يعيش في

¹ انظر: موقع معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: www.almoajam.org.

² انظر:- الجوزي، نصري، تاريخ المسرح الفلسطيني 1918-1948م، ص102

- شعراء فلسطين في العصر الحديث، ص73.

³ أدباء من جبل النار، ص50.

⁴ انظر: شعراء فلسطين في العصر الحديث، ص73.

⁵ 1892-1965، وهو من الرموز الوطنية العراقية، شغل منصب رئيس وزراء العراق ثلاث مرات.

⁶ انظر: السوافيري، كامل، ديوان عبد الرحيم محمود، دار العودة، بيروت، 1999م، ص28.

⁷ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص798.

⁸ انظر: السوافيري، كامل، أعلام الشعر والأدب في الأرض المحتلة، ط3، دار المعارف، 2000م، ص152، من رسالة خاصة بعث بها برهان الدين العبوشي إلى الدكتور كامل السوافيري.

ظل الاحتلال وفضل الرحيل إلى المهجر، ومن هذه النقطة بدأت رحلة التشتت والتشرد نتيجة المأساة التي حلت بالوطن، فطوف في البلدان العربية المجاورة، فرحل إلى لبنان، وهناك طبع مسرحيته الشعرية "شبح الأندلس"¹، ثم انتقل إلى العراق نهائياً عام 1949م وعمل هناك مدرّساً للغة العربية، تنقل خلال عمله هناك، في مدن العراق المختلفة، فقد عمل في سامراء والحلة والديوانية والنجف، واستقر به المقام أخيراً في بغداد، حيث أُحيل إلى التقاعد عام 1972م.

حصل العبوشي على الجنسية العراقية في العهد الملكي، عام 1951م بمساعدة عدد من رجالات السياسة الوطنيين، وتزوج من فتاة عراقية، عام 1952م، من عائلة آل الحافظ، من مدينة الموصل العراقية، وكان عمره أربعين سنة، فرزقه الله بولدين هما سماك وحسن.

منحه الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات - أبو عمار - عام 1991م وسام القدس للثقافة والآداب والفنون، وذلك تقديراً لإسهامه الإبداعي في مسيرة الثقافة الوطنية الفلسطينية، بحضور عدد من الشخصيات الثقافية والوطنية الفلسطينية والعراقية، وبتاريخ 2/8/1995م لبّى نداء ربه، وأسلم روحه لبارئها، ودفن في مقبرة الشيخ معروف في الكرخ ببغداد².

يعدّ برهان الدين العبوشي من شعراء فلسطين المميزين - المخضرمين - فقد واكب حياة بلاده من أواخر العصر العثماني، إلى الانتداب البريطاني، إلى أن حلت كارثة فلسطين، وما بعدها، عاصر الأحداث، واشترك فيها، وتقلب معها "وهو شاعر مجاهد، سخر شعره لخدمة أمته وبلاده، وتقلد بندقيته، وخاض المعارك، ضد الجيش البريطاني والعصابات الصهيونية، وأبلى في الدفاع عن فلسطين أحسن البلاء"³.

المبحث الثالث: طفولته الشعرية

إن الظروف التي سبقت مولده ثم استمرت بعد ذلك في معظم فترات حياته هي بحد ذاتها ظروف النهضة الحديثة في فلسطين، فأواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين

¹ انظر: الخواجا، علي، برهان الدين العبوشي، ص4.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص799-800.

³ السوافيري، كامل، أعلام الشعر والأدب في الأرض المحتلة، ط3، دار المعارف، 2000م، ص153.

هي البذرة الحقيقية للنهضة الحديثة في فلسطين في ميدان الأدب "ولعلّ السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر تكون منطلق البداية في هذا الشأن..."¹.

في ظل هذه البيئة تفجّرت بواكير شاعرية برهان الدين العبوشي وهو فتى، في نهاية دراسته الابتدائية، ومنذ ذلك الحين، ألع بالشعر، وعاش له، فظل شعره ترجمة صادقة لإحساسه المرهف، وفكره الوطني، ونزعتة القومية، وإنسانيته الخيرة، وأول عهده بالشعر كان في سن السادسة عشرة من عمره، ويذكر العبوشي في مذكراته أنه نظم الشعر أول ما نظمه إثر زلزال نابلس عام 1927م، ومن شعره في طفولته قوله:

الكامل

أحمامة الوادي إليّ تعالي وترنحي نشوى هوى بدلال
وتلطّفي فوق الغصون ورجّعي وترنحي بعذوبة وجلال²

ولنظمه الشعر مبكراً أسباب كثيرة منها؛ عشقه وولعه بلغته، مصدر الفخر والعزة عنده، فقد كان تلميذاً متميزاً مبدعاً، طوال فترة دراسته، هذا إضافة إلى اهتمام المعلمين في المدارس بالطلاب عامة، وبمن يجدون عنده الإبداع والتميز خاصة، وكان العبوشي من هؤلاء المتميزين.

ومما أثر فيه وجعله ينظم الشعر مبكراً، وأقرّ في فؤاده حب لغته وبلاده، ومآثر أجداده، قراءة والده القرآن كل صباح، ومرافقته لوالده في كل صلاة إلى المسجد، وخاصة صلاة الفجر، وزاد من عشقه للغته والدّه، الذي كان يسهر مع بعض الأصدقاء، فيتسامرون على قراءة السيرة الحلبية، وغزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعلي بن أبي طالب، وقصص عنتره العبسي، وقد كان للعبوشي ولع منقطع النظير بكتاب نهج البلاغة، للإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وديوان الحماسة، لأبي تمام، وكتاب فتوح البلدان، وتغريبة بني هلال³، كل ذلك أثر فيه منذ طفولته، وهو في الابتدائية، وبفضل هذه المرحلة تأسست شخصية العبوشي وصقلت.

¹ ياغي، عبد الرحمن، حياة الأدب الفلسطيني الحديث، من أول النهضة حتى النكبة، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1968م، ص28.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص625.

³ نفسه، ص629.

ومما أذكى لهيب الشعر عنده، حرمانه من الدراسة بعد الابتدائية، لمدة عام، لضيق ذات اليد عند والده- محصول تلك السنة لم يكن وفيرا- فسار الشاعر بين الجبال والوديان، يخاطب الحجر والشجر، ويرى السماء والأرض والنجوم والناس والحياة، على غير الصورة التي كان يراها وهو تلميذ ينعم بالدراسة، فهجر الناس، واتخذ مسارح لهوه بين الجبال والوديان، يخاطب بملء صوته بلاده وأمه، وينذر المستعمرين بالويل والثبور، ويلتهم كتاب نهج البلاغة، ودواوين الشعر المختلفة، ما وجه حياته وجهة ثورية وطنية عربية شعبية عادلة.¹

لقد سيطر شيطان الشعر على العبوشي منذ صغره، مع جهله بالأوزان والقوافي " لقد سيطر عليّ الشعر، وكنت حين يأتيني شيطان الشعر، أتمنى الانفراد، ويتملكني الشعور، وأصبح في الخيال، أذرع الغرفة مقفلة عليّ، وأردد ما أنظمه بصوت عالٍ، كأنني في حال جنون، فأغضب بالقوافي على المستعمرين والمتخاذلين... وكثيرا ما كنت أفرّ إلى الجبل الشرقي في جنين، أقف على الصخر منفردا، أردد الشعر وأكتبه، إلى أن تهمد نار صدري"²، ومن نظمه الشعر تلميذا قوله:

الطويل

سهرت وكم في الليل من عاشق صدى أناجي نجوم الليل والسقم رائدي
وأشكو الذي في القلب للبدر والسهي لعل السهي حان عليّ ومنجدي³

ومن أوائل عهده بالشعر كذلك قوله عندما وصل إلى مدينة صفد، ليسجل في مدرسة سمبل الأجنبية، بعد انقطاع عن الدراسة لمدة عام، فرحا بالعودة إلى مقاعد الدراسة عام 1928م:

الطويل

بانت لنا صفد وبانت ضواحيها وبانت لنا بدرا وبانت لآليها⁴

¹ فارس السيف والقلم-الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص631.

² نفسه، ص632.

³ نفسه، ص625 - 626.

⁴ نفسه، ص634.

المبحث الرابع: منزلته الشعرية وموقعه بين شعراء عصره

إن الشعر هو النافذة التي أطل منها برهان الدين العبوشي على هذه الحياة، فقد تفجرت بواكير شاعريته وهو فتى في نهاية دراسته الابتدائية، ومنذ ذلك الحين أولع بالشعر وعاش له، فجاء شعره ترجمة صادقة لحقبة زمنية صعبة، مرت بها فلسطين، ولا أبالغ إن قلت: إن الباحث أو المؤرخ، يستطيع من خلال أشعاره، ومسرحياته، ومذكراته، أن يؤرخ لكثير من الأحداث السياسية والاجتماعية في فلسطين.

فقد "كان الشعراء الشباب طليعة هذا الجيل الذي أخذ يتلمس طريقه إلى أنوار الأمل من خلال ظلام حالك أسدلت بريطانيا أستاره على الوطن، بتعاونها مع الصهيونية، فكان لمتقفي هذا الجيل دور مهم في الثورة التي شملت البلاد كلها، فقد شارك الكثيرون منهم في حمل السلاح، وفي الخروج إلى الجبال إعلاناً للتمرد والثورة على الانتداب، وحمل الشعراء من هؤلاء المتقفين المهمة الصعبة نورا يهدي ونارا تتلظى، وأدى بعضهم بالمزاوجة بين الكلمة والسلاح دور المثقف الثوري الحقيقي، فكانوا صورة صادقة للوجدان الفلسطيني المقاوم لآمال شعبهم ومطامعه"¹، ف شعر هؤلاء الشعراء ومنهم برهان الدين العبوشي "لم يكن إلا أداة من أدوات العمل السياسي الثوري، وكانوا جميعاً تعبيراً عن الوجدان الشعبي المقاتل وتجسيدا له"².

مجزوء الكامل

يا موت ماذا تنتظر	يا شعب مالك تحتضر
قم سر فمئلك لا يموت	وإن طغى فيه الأشر
يا شعب قد آن الأوان	فسر وطالب قم وثر ³

لقد "عني كثير من الباحثين بدراسة النهضة الأدبية الحديثة، في البلاد العربية، وتتبعوا أسبابها ودواعيها وروافدها واتجاهاتها، تتبعا فيه قدر وافر من التحري والاستقصاء، وصدرت

¹ محمود، حسني، شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، الوكالة العربية للتوزيع والنشر، عمان، ج 1، 1984، ص 149-150.

² النقاش، رجاء، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، ط2، دار الهلال، القاهرة، 1971، ص 72.

³ فارس السيف والقلم-الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 155.

لهم كتب متعددة، وأبحاث متفرقة، تتناول الموضوع من جوانبه المختلفة، حتى أصبح العصر الحديث مبسوطاً أمام القارئ، وإن بقيت بعض أجزائه مجالاً لمن يريد الزيادة في البحث، والتعمق في التخصص، وكان حظ مصر ولبنان، من تلك الدراسة أوفر الحظوظ، ثم تتلوها العراق وسورية، ولكن من تمام المنهج العلمي السليم، أن يوجه الباحثون بعض عنايتهم إلى غيرها من البلاد العربية، ليكشفوا عن وجهها الأدبي في العصر الحديث، حتى تتم صورة الحياة الأدبية في نهضتها الحديثة، في الوطن العربي كله... وجنوب بلاد الشام - الأردن وفلسطين - من هذه المجاهل التي لم يرقها السالكون، فبقيت مغلقة على نفسها، لا يكاد يعرف أحد عنها شيئاً، حتى كادت حلقتها أن تسقط من سلسلة تاريخنا الأدبي¹.

إنّ أي دراسة لنشأة الشعر الفلسطيني وتطوره، وتتبع أهم شعرائه، تستلزم من صاحبها أن يعود إلى رأس النبع، إلى البدايات التي أسس عليها الشعراء اللاحقون قصائدهم، فالشعر الفلسطيني المعاصر أخذ يتشكل في مرحلة نهايات الحكم العثماني لبلاد الشام، مروراً بالانتداب البريطاني، وصولاً إلى نكبات فلسطين المتلاحقة، وما تبع ذلك، وإذا أردت أن أحدد أعلام الشعر في مرحلة البدايات سيبرز إلى الواجهة عدد لا بأس به من الشعراء منهم: يوسف النبهاني، وسليمان التاجي الفاروقي، وإبراهيم طوقان، وعبد الكريم الكرمي، وعبد الرحيم محمود، وبرهان الدين العبوشي، ومحمد العدناني، وغيرهم، فهؤلاء الشعراء يُعدّون من الشعراء المخضرمين، الذين عاشوا فترات مختلفة من الاحتلال بداية بنهايات الحكم العثماني مروراً بالانتداب البريطاني وصولاً إلى الاحتلال الصهيوني لفلسطين.

وقد تشكلت ملامح خاصة للشعر الفلسطيني على أيدي هؤلاء الشعراء، تميزه عن غيره، فقد طرق شعراء فلسطين مواضيع تخص "السماز، وبائع الأرض، والعميل والمتعاون مع الاستعمار، والخلافات الناشبة بين الزعماء... وأبرزوا التهافت على المناصب"².

¹ الأسد، ناصر الدين، محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربي العالية، 1961م، ص 7-8.

² عباس، إحسان: الشعر في فلسطين حتى العام 1967، الموسوعة الفلسطينية، مج 4، القسم الثاني، دمشق، 1990، ص

يقول أبو سلمى- عبد الكريم الكرمي- "كان الشعر الفلسطيني في بدء الانتداب البريطاني، امتدادا للشعر الفلسطيني في أواخر زمن الدولة العثمانية، والشعراء الذين قاوموا السيطرة العثمانية، هم الذين قاوموا الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية، بأصوات شعرية تقليدية"¹.

إن الاحتلال فجرّ ينابيع الإلهام الشعري عند العبوشي، الذي يعدّ من شعراء فلسطين المؤسسين لشعر المقاومة، وهو حلقة ضمن سلسلة الشعراء المقاومين، بل يفوقهم، فهو فارس السيف والكلمة، دافع عن حياض قومه بسيفه ولسانه "والشعر قبل ذلك وبعده كان ميدان رواد الأدب، يلونون إلى قافيات قصائدهم، ليترجموا ما زفرت به قلوبهم، من القيم والمبادئ والميول والاتجاهات، فتراهم يحللون الواقع إلى نسيج شعري فياض، ويبرزون الوقائع والأحداث كلّ بأسلوبه، وهم بذلك يُخرجون إلى النور تراثا جديدا، ومداً يربط الماضي بالحاضر، ليستشرف من خلاله المستقبل"².

ونحن اليوم إذ نقف أمام عطاء هذا الشاعر الكبير، فنقرأ من خلال أشعاره أحداث التاريخ، فقد أبدع العبوشي القصيد في شتى الموضوعات؛ الوطنية والقومية والسياسية والاجتماعية، وعبر بشعره عن خواطر نفسه، وهمسات روحه، ونبضات قلبه، كما عبر عن آلام بلاده، وآمال أُمته.

وقد جاءت قصائده منسجمة مع الواقع الثقافي، فغالبية الشعب لم تكن مثقفة أو متعلمة، وتنتمي إلى فئة الفلاحين والعمال، وهؤلاء ليسوا قادرين على فهم رمزية القصيدة، لذلك امتازت معظم قصائده بالواقعية والبساطة والوضوح، وهذا ينسجم مع الهدف الذي وضعه العبوشي نصب عينيه، وهو توعية الشعب لما يحاك له من مؤامرات، والوقوف صفا متراصا في وجه جميع المؤامرات التي تحاك من الشرق والغرب.

¹ خلف، علي حسين، أبو سلمى زيتونة فلسطين، منشورات الأسوار، عكا، ط1، د.ت، ص9-10.

² أبو منشار، نزار نبيل، الظاهرة الشعرية في فلسطين وأثر الاحتلال عليها، 2003م، دن، ص13.

"والشعر وليد المعاناة، وهو لا يعدو أن يكون تعويضا لانعدام التوازن في حياة مبدعه الخاصة أو العامة، لذا فإن كثيرا من الشعراء، ارتبط نشاطهم الفني بطبيعة الواقع الذي يعيشون فيه، وعمق التجربة التي يمرون بها"¹.

هل نتحدث هنا عن المناضل برهان الدين العبوشي؟ أم عن الشاعر برهان الدين العبوشي؟ أم الأديب المسرحي برهان الدين العبوشي؟ الذي أسهم في إثراء أدب المقاومة في المكتبة العربية عامة، والأدب الفلسطيني خاصة، يصعب الفصل بين العبوشي مناضلا وشاعرا وكاتب مسرحيا، حتى لتبدو رحلة حياته معبأة بالشعر المفعم بالمقاومة، والمقاومة المعبأة بروح الشاعر².

"لقد كان للشعراء الشباب فضل كبير في التوجيه السياسي، والاجتماعي، فقد هاجموا الاستعمار، أساس الداء، وأصل البلاء، وطالبوا بالاعتماد على الشعب وحده في تحقيق أهدافه، وأيدوا الحركات العمالية الناشئة، ودافعوا بالكلمة عن المثل العليا، وعن الحرية، والديمقراطية، وحاربوا الزعامات الزائفة، والمشبوهة...ساروا مع شعبهم، وسجلوا كل خفقاته، وتطلعاته"³، والعبوشي يعد أحد أبرز هؤلاء الشعراء الشباب، فقد انبرى مدافعا عن حمى وطنه بالسيف والقلم، وكرّس شعره صوتا صافيا، ومخلصا لقضايا وطنه وأمتة "فشعره ترجمان صادق لما يضطرم في جوانحه، شعره وطني قومي، يحرض على الجهاد، ويوقظ النيام، يبصر قومه لما يحاك ضدهم من مؤامرات، ويدعو العرب والمسلمين إلى وحدة الصف، ورأب الصدع، واجتماع الكلمة، ويحذر من الفرقة"⁴.

كافح العبوشي الاستعمار الإنجليزي منذ صغره، وناصر الشيخ عز الدين القسام في ثورته، وأمضى جل عمره ينظم الشعر في أحداث وطنه، ويهيب ببني وطنه للمصير الذي كانوا

¹ فيشر، أرنست، ضرورة الفن، ترجمة اسعد حليم، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، المطبعة الثقافية، 1971م، ص7.

² أنظر: نجم، السيد، العبوشي أدبيا ومناضلا، مقالة بتاريخ: 2008/8/18م، www.middle-east-online.com.

³ خلف، علي حسين، أبو سلمى زيتونة فلسطين، منشورات الأسوار، عكا، ط1، د.ت، ص10.

⁴ أعلام الشعر والأدب في الأرض المحتلة، ص153.

يدفعون إليه، ولم يترك مناسبة دون أن يسمع بني قومه صوته، فكان أحد الشعراء الخطباء المعلمين، الذين تحتاج إليهم الأمة"¹.

"يعدّ العبوشي بحق من أهم شعراء مرحلته، فقد جمع في شعره كل سمات المرحلة، فشعره صوت للحكمة والواقع والضمير، وصوت للقوة والغضب والثورة، يدعو للثورة ويخوض غمارها بنفسه، وشعره صوت للألم والمرارة والأسى تظهر فيه نبوءته أمام أمته وشعبه، وشعره صوت السخرية والتهكم على الزعماء والحكام العرب، فنراه ينبذهم ويفضح مواقعهم وتخاذلهم، لقد جسد بحق دور المثقف الثائر الحقيقي"²، كما يعدّ برهان الدين العبوشي رابع أربعة من الشعراء الفلسطينيين، الذين ولدت على أيديهم قصيدة المقاومة الفلسطينية؛ إبراهيم طوقان، وعبد الرحيم محمود، وعبد الكريم الكرمي،³ وقد عرف العبوشي بثقافته التراثية الدينية، وكان كاتباً، وشاعراً، ومسرحياً، وذا مواقف وطنية"⁴.

¹ انظر: شعراء فلسطين في العصر الحديث، ص73.

² محمود، حسني، شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، الوكالة العربية للتوزيع والنشر، عمان، ج1، 1984م، ص155.

³ انظر: عودة، هشام، صفحات مطوية من حياة الشاعر برهان الدين العبوشي، مجلة بلسم، عدد 306، كانون الأول، 2000م، ص85.

⁴ الهواري، عرفان سعيد أبو حمد، أعلام من أرض السلام، شركة الأبحاث العلمية، حيفا، 1979م، ص88.

جدول بمحتوى الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي

ت	عنوان العمل الأدبي	صنفه	جهة الإصدار	تاريخ الإصدار
1	جبل النار	ديوان شعري	مطبعة الشركة الإسلامية / بغداد	1956
2	النيازك		مطبعة دار البصري / بغداد	1967
3	إلى متى		مطبعة المعارف / بغداد	1972
4	جنود السماء		الكويت / لجنة إحياء التراث الأدبي الفلسطيني	1985
5	وطن الشهيد	مسرحية شعرية	المطبعة الاقتصادية/ القدس	1947
6	شبح الأندلس		مطبعة دار الكشف/ بيروت	1949
7	عرب القادسية		مطبعة المعارف/ بغداد	1951
8	الفداء		مطبعة البصري / بغداد	1968
9	من السفح إلى الوادي ألبى صوت أجدادي	مذكرات شخصية نثرية	مطبعة الأمة / بغداد	1980
10	فارس السيف والقلم	الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي	مؤسسة فلسطين للثقافة دمشق/ مجلد من 818 صفحة صدر بمناسبة الحملة الأهلية لاحتفالية القدس عاصمة الثقافة العربية 2009م.	2009

الفصل الأول

الاتجاهات الشعرية

عند برهان الدين العبوشي

تمهيد

المبحث الأول: الشعر الوطني

المبحث الثاني: الشعر القومي

المبحث الثالث: الشعر الاجتماعي

المبحث الرابع: الشعر الديني

المبحث الخامس: شعر النكابة

المبحث السادس: شعر السخرية والدعابة

المبحث السابع: الغربة والحنين للوطن

تمهيد

للشعراء منازل مرتفعة بين شعوبهم، لأنهم لسانها المعبر عنها في الحرب والسلام، وفي الحزن والفرح، وفي الضيق والشدة على السواء، ذلك الارتباط الوثيق يسمى التزاماً. فعند اليونان مثلاً "تحدث أفلاطون عن توجيه الفن، وطالب الشعراء بلون من الالتزام، وحثهم على أن تكون أناشيدهم تمجيداً للبطولة، وحثاً على الولاء"¹، أما عند العرب قبل الإسلام فبعد نبوغ شاعر في القبيلة من أعظم مظاهر الفرح والسرور، لأنه سيف القبيلة المشرع في وجه كل عدو، والمدافع عنها بقصائده "فارتفعت مكانة الشاعر من مطلق الفردية البشرية إلى شيء من البطولة"²، فظاهرة الالتزام ليست ظاهرة وليدة اليوم.

وفي العصر الحديث شغلت قضية فلسطين العالم كله، والمتتبع لحياة برهان الدين العبوشي يجد أنه قد وعى أسّ المشكلة، وأدرك تجلياتها، ورأى شعبه يقتل ويشرد ويعذب ويهان، رأى المذابح، وشهد على طرد الفلاحين من أرضهم عنوة، بقوة السلاح، ولمح الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والوطنية، فكان نتاجه الشعري ملتزماً بقضايا شعبه وأمتة، يقول العبوشي:

الطويل

فؤادي لأبقى في الحياة بلا قلب	بلادي فؤادي فانظروا كيف ضرّسوا
ضياها فلا شرقي أميز من غربي	بلادي عيني فانظروا كيف أظلموا
لساني فلا أبدي اللواعج من كربى	بلادي لساني فانظروا كيف أجموا
كياني لأبقى في الحياة بلا ثوب	بلادي كياني فانظروا كيف مزقوا
حياتي فلا أكلّي يلذ ولا شربي	بلادي حياتي فانظروا كيف نكدوا
يجنّ بها عقلي ويخفرها حبّي ³	فلسطين من حيفا إلى النهر موطني

¹ عبد الصبور، صلاح، حياتي في شعري، مجلد3، بيروت، دار العودة، 1977م، ص111.

² الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ط1، دار الفكر، بيروت، 1970م، ج3، ص880.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص250.

"وهكذا نجد أنّ العبوشي شاعر التزم بقضية بلاده، فجاء شعره سجلا واعيا، صور كفاح الشعب الفلسطيني خلال فترة الانتداب ونكبته بالصهيونية... وشعره ثوري عاطفي في جملته، حافل بموضوعات التوجيه والتوعية والنقد الوطني اللاذع"¹.

وتبرز في شعر برهان الدين العبوشي ظاهرة الالتزام، ذلك أن الالتزام في الشعر لا يعني ارتباط الأديب بقضية سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، وإنما يتمثل الالتزام بالموقف الذي يتبناه الأديب من القضايا المختلفة "وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحا وإخلاصا وصدقا، واستعدادا من المفكر الملتزم لأن يحافظ على التزامه دائما، ويتحمل كامل التبعة التي تترتب على هذا الالتزام، من هنا كان الالتزام مرتبطا بالعقيدة منبثقا من شدة الإيمان بها، صادرا من جميع أشكاله وأحواله عن أيديولوجية معينة يدين بها المفكر الملتزم"².

لقد تعددت الموضوعات الشعرية التي طرقها العبوشي في أعماله الكاملة، فقد نظم الشعر الوطني والقومي، كما نظم الشعر الاجتماعي والتاريخي والديني، من منطلق التزام الشاعر بقضايا وطنه وأمته، ولسيطرة هذه الموضوعات على شعر العبوشي، فإنني رأيت أن أدرسها منفردة لبيان مدى تأثير الشاعر بقضايا وطنه وأمته، وقد جاءت هذه الموضوعات كما يلي:

1. شعره الوطني. 2. شعره القومي. 3. شعره الاجتماعي. 4. شعره الديني.
5. شعر النكابة. 6. السخرية والدعابة. 8. الغربة والحنين.

لقد استلهم برهان الدين العبوشي موضوعاته الشعرية من "أحاسيسه ومشاعره، ومن واقع فلسطين المؤلم، واضطراب حياتها، وجهاد أبنائها، وخوضهم المعركة ضد عدوين جبارين كانا يسومان البلاد والعباد سوء العذاب: الانتداب البريطاني بجيوشه وعتاده، والعصابات الصهيونية بخطرستها ونفوذها وأهدافها العدائية، ومن ظروف البلاد التعسة، وافتقارها إلى

¹ الكيالي، عبد الرحمن، الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ص137.

² أبو حاقّة، أحمد، الالتزام في الشعر العربي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م، ص14.

الزعامة الحكيمة، وافتقارها للتنظيم والوحدة القومية، والتضامن والإخاء والبذل والتضحية وكل ما يتصل بالوطن والذود عن حماه"¹، لذلك تعددت موضوعاته بين الوطنية والقومية والاجتماعية...

المبحث الأول: الشعر الوطني

عند الحديث عن الوطنية في شعر برهان الدين العبوشي لا بد من تناول القصائد التي تغنى فيها بحب وطنه، وسهوله وجباله، وأوديته وهضابه، وأشجاره وأزهاره، فقد "تغنى الشعر الفلسطيني بحب الوطن ومغانيه، بالربا والوهاد، والجبال والشعاب، بالحدائق الفيح والكروم وأشجار الزيتون، وبالمحافظة عليه والذود عن حماه، وافتدائه بالمهج والأرواح، ومن ثم مجدّ الشعر الفلسطيني البذل والتضحية، وخلد الأبطال والشهداء الذين قدّموا أرواحهم فداء لبلادهم"².

يعدّ الوطن المحور الأساس الذي يقوم عليه شعر العبوشي "وقد يضيق مفهوم الوطنية أو يتسع في الرقعة والمكان، فيرتبط أحيانا بمسقط الرأس أو الوطن الذي ينتسب إليه المواطن، ويتفتح أحيانا على العالم كله، ليكتسب طابع الإنسانية في معناها الواسع العريض، وكثيرا ما يربط بعضهم معنى الوطنية بمفهوم عرقي أو عقائدي، كالوطن العربي أو الوطن الإسلامي"³.

وقد أحب العبوشي وطنه حبا جما، وجاهد في سبيل الدفاع عن وطنه بالكلمة والنفس، وكرس حياته ثائرا على الاستعمار وأذنبه، والصهيونية ومعاونيتها، كل ذلك لإعلاء كلمة الحق، ورفع شأن الوطن.

"فالأرض بالنسبة للإنسان الفلسطيني تشكل هويته وانتماءه، وليس مجرد تلك الرقعة المكانية التي

¹ السوافيري، كامل، الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص106-107.

² نفسه، ص107.

³ الهادفي، إبراهيم، معاني التجاوز في شعر الشبابي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ص128.

يعيش عليها، حيث يمتزج الوطن بمفهوم النضال السياسي، والشعراء الفلسطينيون كأناش اكتمل لديهم قدر من الوعي السياسي، لم تغب صورة الوطن عن موضع الصدرة في قصائدهم¹.

المطلب الأول: حب الوطن

لقد تفانى العبوشي في حب بلاده والذود عن حماها، فلم يدع مناسبة تمر، أو حادثة تجري دون أن يبيت شجونه الشعرية، يسجل كفاحها ويصور آلامها، حيناً بشعره، وحيناً بدمه، فحق له أن يوصف "شاعر السيف والقلم"، قاوم بالكلية، فنظم الأشعار الوطنية الحماسية التي تحث على ردع المحتلين، وسحق المتعاونين، "وقاوم بالسيف، فشارك في الكثير من المعارك وفي مقدمتها معركة جنين، جنبا إلى جنب مع إخوانه من أبناء الجيش العراقي، وأصيب في كتفه إصابات بالغة"²، يقول العبوشي في عشقه لموطنه فلسطين:

الكامل

الناس تعشق في الحياة حبيبة وحبيتي الأولى هي الأوطان³

ويقول العبوشي في موضع آخر من الأعمال الكاملة في حب وطنه، والتغني بروعته:

الكامل

مرّغ جبينك في ظهور ترابه	واسجد فإن الله في محرابه
وامشّ الهوينى خاشعا متصدعا	فلقد مشيت على رفات عرابه
واحبس لسانك أن تقول سفاهة	فالبر والتهاذيب من آدابه
واخفض جناح الذلّ للوطن الذي	رواك من أكوابه ورضابه ⁴

يضيف العبوشي على الوطن نوعا من القدسية، فترابه نعم الطهور، وهو مجبول بدماء الشهداء قديما وحديثا، وعلى المرء أن يحبس لسانه عن السفاهة في حضرته. ثم يصف جمال الوطن وحسنه وبهاءه فيقول:

¹ جعيد، عبد الرحمن علي عبد الرحمن، علي الخليلي أدبيا، إشراف الأستاذ الدكتور عادل أبو عمشة، 2006م، جامعة النجاح الوطنية، ص26.

² أعلام الشعر والأدب في الأرض المحتلة، ص152.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص39.

⁴ نفسه، ص50.

الكامل

وطني به كلّ الجمال فحيثما تتوجهوا تجدوا البها يتجسّد
إنّ الذي خلق الجمال لموقن أنّي لعابده به ومخلّد¹

ومن قصيدة نظمها على فراش المرض بالقدس - وكان موظفا في البنك الزراعي العربي
عام 1935م - يقول:

الخفيف

ما تكلفت في سبيلك شَيْئاً غير دمع سكبت من مقلتيّ
يا بلادا عشقت فيها المعالي والمعالي أحبّ شيء إليّ
هاك روعي ومهجتي وفؤادي فأقبلنيها فما تعزّ عليّ²

يقدم العبوشي روحه على طبق من ذهب فداءً لوطنه، فما يعبأ بالمصاعب والمتاعب،
والجهد والعرق، اللذين يبذلهما في سبيل الوطن:

المتقارب

بلادي إليك العذاب المذاب بصفحة عمري وهذا الكتاب
فأنت الحياة وأنت الممات وأنت الطعام وأنت الشراب
وقفنا لأجلك لا ننحني لغير جلالك فوق التراب
ستعلو بنودك فوق البنود وتشرق شمسك بعد الغياب³

"وبرهان الذي هدّت أرزاء الوطن قوته، فوهن صوته الجهوري، وشابته شوائب الحزن
والأسى، يستمدّها من نكبات الفلاحين من سكان قرى مرج ابن عامر، ووادي الحوارث، الذين
طردوا من أرضهم وقراهم بعد أن باعها مَلّاكها البعيدون في الخارج... ونحسّ لدى العبوشي
باللوعة الصادقة، والعاطفة التي يشجّيها الحزن وهو يخاطب المرج معتزاً بتاريخه، ومفتخراً

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 233.

² نفسه: ص 129-130.

³ نفسه، ص 425.

بأمجاده... إنه بعاطفته يثير في الناس شعور الاعتصام بالوطن، والتمسك بالأرض الباقية، من خلال الهموم والكآبة التي تسيل في النفس"¹:

البسيط

مرج ابن عامر باعت مجدك العرب	واستأسد الغرب والشرقي يحترب
قد كنت بالأمس فخرا من مفاخرنا	وساحة فيك يجري العز والغلب
يبيعه العرب لا قلب لبائعته	وإمّا همّهُ أن يكنز الذهب
يا مرج ² ما لك تجري فيك قافلة	من الشقاء وذا واديك ينتحب
كأن روضك للأرزاء منتزه	وللعذاب غدير فيك ينسكب ³

فلسطين عشقه، وروحه ونبضه، فقد أحبّ ذكرها ووصفها في كل ميدان من ميادين شعره، فكلما لاحت الفرصة لذكرها كان لا يبخل، بل يسهب في وصف محاسنها ومفاتها، ولا تكاد قصيدة من قصائده تخلو من ذكر موطنه فلسطين:

الكامل

للناصر ⁴ مدينة غراء	شاع الهدى فيها وشعّ ضياء
وكأنّما هي روضة من جنّة	رقت خمائلها وسال الماء
تسبيك إن سجت بلابل أيكها	وتثير دمّك إن بكت ورقاء
طاف المسيح بها يذيع رسالة	تحيا بها الأموات والأحياء
يا أرض أمّي يا فلسطين اسلمي	أيضع فيك المهد والإسراء ⁵

"وليس من الشعراء أحد لم يجد من الواجب عليه أن يقول شعرا في الوطنية، حتى امتلأت الصحف بأشعارهم، وامتلأت الدواوين بأناشيدهم، فكانوا لسان الثورة الناطق، حتى كان

¹ شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، ج1، ص110.

² هذا المرج تقع على أطرافه مدن حيفا، وبيسان، وجنين، وقد باعه آل سرسق لليهود وآل سرسق هم صيارفة وإقطاعيون لبنانيون كانوا يملكون أجزاء كبيرة من سهل مرج ابن عامر، القصيدة نشرت لأول مرة في جريدة الدفاع اليافية عام 1933م.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص46.

⁴ نسبة إلى مدينة الناصرة شمال فلسطين.

⁵ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص53.

الشعر في هذه المرحلة أغلب من النثر... وهكذا طلعت علينا في هذه المرحلة مجموعة من شعراء الوطنية، ولكنهم مضوا في السبيل التقليدي ذي الأوصاف التقريرية¹.

بل يصل العبوشي في عشقه لوطنه أن يشبّه تراب الأرض بقطرات من دمه، ويشبّه صخور الأرض بعظامه:

الكامل

الأرض أرض أبي وجدّي قبله والرّبعُ لا يرضى بغير حُماته
فالأرض من دمنّا وإن صخوره من عظمنا وحياتنا لحياته²
المطلب الثاني: تمجيد البطولة ورثاء الأبطال

"لقد وجب علينا أن نمجد الشهيد ونرفع رايته فوق كل راية، فالشهادة في العروبة والإسلام أعظم غاية، وهي مثلها الأعلى، ولقد آن لنا أن نعطي كل مجاهد حقه مادامت عروبتنا من مبادئها العدل والوفاء"³.

إن القارئ المتفحص لأشعار العبوشي يجده تارة يمجّد البطولة، وتارة يندد بالزعامات والأحزاب الزائفة التي تعمل ليل نهار ضد مصالح الوطن، فمنذ أن تفتحت عيناه، رأى المصائب والمؤامرات التي تحاك ليل نهار ضد وطنه وأمته، فالشاعر يعيش أزمات وطنه أمام عينيه، ويهيب ببني قومه أن يقفوا صفا واحدا مرصوصا للدفاع عن حمى الوطن، ويمجّد البطولة بشتى أنواعها، يقول العبوشي:

الهزج

وثائر سيفه ما زال مسلولاً يقارع الخصم أو يرديه مقتولاً
تراه كالجبل الراسي وقد سقطت من حوله النار لا يرتدّ مخذولاً
لحافه القبّة الزرقا ومضجعه فوق التراب وقد ألقاه مجبولاً
وقرّ معتصما في جوف خندقه بالله لا يرتضي إله مسؤولاً

¹ حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة، ص252.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص318.

³ نفسه، ص333.

يقيم ليأته يقظان تحسبه في خندق الموت عن دنياه مشغولا¹
إنّ العبوشي يتخير من الصفات ما يضيف على البطل صورة ملائكية، فالأبطال الذين
يصفهم - من شهداء الجيش العراقي الذي شارك في حرب جنين الكبرى عام 1948- لهم
أجنحة، سرعتهم كالبرق، بل هم ملائكة الموت إن ساروا باتجاه معين نزعوا أرواح الأعداء في
ذلك الاتجاه، ولا يعرف الخوف طريقه إلى قلوبهم، ويشير إلى قلة عددهم مع أن النصر
والتمكين ملازمة لهم:

البسيط

في حندس الليل والأبطال تصطرع	في "تلّ خروبة" والحرب تندلع
رأيت جندا بهالات وأجنحة	على حديد ساروا كالبرق واندفعوا
كأنهم سكرات الموت قد وثبوا	على العداة فما هابوا وما فزعوا
وإنهم لثلاثون افتدوا بلدا	حيال سبعة آلاف فما جزعوا
فلم يهابوا نيوب الضبع أو يهنوا	وهل تخيف أسود الغابة الضبع ²

ثم يضيف العبوشي إن هؤلاء الأبطال شربوا من ماء العزة، من ماء نهر دجلة، ليبين أن
الوصف هنا للجيش العراقي، أما شباب فلسطين فإن دورهم يتجسد في المساندة لإخوانهم:

البسيط

سقتهم دجلة من مائها كرما	وأرضعتهم ونعم العز ما رضعوا
وقد سمعت تناديهم فثار دمي	وكنت في خنقي والصحب مجتمع
نرى السماء غدت حمراء من دمهم	وتلك شاراتهم في الأفق ترتفع
كأنما نشبت في الأفق معركة	بين الشياطين والأفلاك تصطنع ³

ونرى العبوشي يركز في تمجيده للبطولة على دور شباب الريف الفلسطيني، فقد نشر
قصيدة بعنوان "الشيخ منجد" وفاء لصاحبه البطل الشهيد منجد الحمدان، الذي قضى شهيدا بفعل

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 312-313.

² نفسه، ص 103.

³ نفسه، ص 103.

التعذيب الشرس الذي تعرض له على أيدي العصابات الصهيونية في معتقل مزرعة عكا في
1938-7-10:

الخفيف

أجدر الناس بالاعلا المستشهد	ارفع الرأس إن تزر قبر(منجد)
عاث فيها عدوها المستعبد	جاد بالنفس في سبيل بلاد
غير عزّ لأمة تتكبّد	باع نفسا فتية ليس يبغى
علّقوه فما وهى وتجلّد ¹	عذبوه فما أقرّ لديهم

وكان لبطولة الشهيد "سعيد بك العاص" مكان في أشعار العبوشي، فالعبوشي يدعو
فلسطين أن تفخر بأعمال سعيد العاص، فالعاص افتدى فلسطين بروحه أغلى ما يملك، وحق
لفلسطين أن تفخر بمثل هذا البطل:

الخفيف

يا فلسطين فافخري بسعيد	إنما الفخر للذي يفتديك
قارع الظلم مثيرا و فقيرا	في نظى الحرب ما له من شريك ²

ثم يصف العبوشي حالة استعصى على الأعداء حل لغزها، ألا وهي الفدائي الفلسطيني
الذي يقدم روحه على طبق من ذهب مفتديا وطنه، فالفدائي حالة فلسطينية وصفها معظم شعراء
المقاومة، فهو عند العبوشي يسير مقنعا بلثامه، يتغلغل في صفوف الأعداء، لا يخاف في الله
لومة لائم، يراوغ الحراس بذكاء، يزرع الألغام في طرق المستوطنين، فيختبؤون في الملاجئ
كالفئران:

الكامل

ومقنّع بلثامه يزن الخطى	فكأنّه أمل يغيب ويشرق
ينساب مثل الصلّ في فجواتها	وعلى قفاه سلاحه المتشوّق

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص135.

² نفسه، ص131.

ويروغ عن حراسه بذكائه
 فكأنه سهم يطير ويمرق
 حتى إذا بلغ المكيدة دسّها
 لغما يثور وقنبرا يتفلق
 فتري الدروع تطايرت وتري الجنود
 تسابقت والموت فيهم أسبق
 يتهافتون على الملاجئ مثلما
 تتهافت الجرذان وهي تحلق¹

المطلب الثالث: النقمة على السماسرة

السمسار هو الساعي للتوفيق بين أطراف الصفقات، لكن هذا المصطلح أخذ يدل على عمل قذر وصل إلى مستوى الخيانة الوطنية، فقد انكشفت دلالة السمسار في فلسطين لتدل على الشخص الذي يقوم بدور الوساطة في نقل الأرض إلى اليهود، سواء بالتوفيق بين الأطراف المعنية، أو بشراء الأرض وبيعها شخصيا لليهود، ثم تضخم هذا المصطلح ليشمل كل معاني الغدر والخيانة والخسة والعار².

لقد "كان امتلاك الأرض ركنا ضروريا لقيام العمران عليها، وقد تنبّهت الصهيونية لذلك، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فجعلت تجمع الأموال لتشتري بها الأراضي وتقيم عليها المستعمرات والإنشاءات، وكان إغراؤها بالمال يتجه إلى كبار الإقطاعيين الذين يملكون مساحات واسعة من الأرض"³، وكان من أهم الصفقات التي استطاعت الحركة الصهيونية ربحها، صفقة شراء الجزء الأكبر من سهل مرج ابن عامر من آل سرسق - صيارفة لبنانيين - وهو "أخصب سهول فلسطين على الإطلاق من أحفلها بالأمجاد التاريخية والدينية"⁴، فانبرى العبوشي للتنبيه من خطر بيع الأرض للسماسرة، واصفا المستعمرات الصهيونية التي أخذت تنمو كالسرطان في جسد المرج يوما بعد يوم:

الكامل

لهفي على بلد المسيح وحسرة
 فلقد أحاط بها أذى وشقاء
 انظر إلى المرج الفسيح فكله
 مستعمرات أهلها دُخلاء
 لم تبق للعربي فيه بقية
 إلا الشعاب وبقعة جرداء

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص256.

² انظر: شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، ج1، ص110.

³ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص84.

⁴ نفسه، ص84.

بيع المسيح وبيع قدس محمد بالمال وهو الحيّة الرقطاء¹

"وكان موقف العرب إزاء تملك اليهود واستيطانهم، وجدّهم في الإنشاء والعمل، خليطاً من الذعر والسخط ... وتوقع الخطر الوشيك على الأوطان والأرزاق، وكان موقف اليهود مزيجاً من الفرح والطمأنينة والشعور بالراحة والاستقرار وبلوغ الآمال"².

هذا هو حال اليهود بعد كل صفقة رابحة، يفرحون ويطمعون بالمزيد، على أيدي سماسرة الأرض، هذا ما جاء على لسان أحدهم كما صورها العبوشي بمسرحيته الشعرية (وطن الشهيد):

الرمل

قد وطننا أرضهم في غفلة	وغدا أعداؤنا عنا نيام
لم أجد ما كنت أخشى من أذى	بل بنينا وامتأنا بسلام
هذه العفولة الأرض التي	مرّ فيها فتّحهم من ألف عام
قد هدمنا دورهم في ليلة	وحرثنا القبر فيها والعظام ³

هكذا أخذ الصهاينة يستولون على أرض فلسطين شيئاً فشيئاً، يشترون الأرض بالأموال التي يجمعونها من الحركة الصهيونية العالمية، ومن أعوانهم في الشرق والغرب، يفرحون ويمرحون، حصلوا على أفضل الأراضي، وطرّدوا أهلها إلى الصحاري المقفرة، إلى غياهب التشرّد واللجوء، خارج فلسطين.

يقف العبوشي للسماسرة بالمرصاد، فيحذرهم من مغبة بيع الأرض لليهود، فنتائج ذلك عليهم ستكون الوبال في الدنيا والآخرة:

الكامل

واحذر عذاب الله لا تكن الذي	باع الأمانة فاكتوى بعذابه
إن بعثها بعث السماحة والندی	بعث الكرامة اينعت بجنابه

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 53-54.

² الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص 85.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 372.

أسفا عليك خرجت عن سنن التقى ورضيت بالذلّ المشين وعابه¹
ثم يتعجب العبوشي من أولئك السماسرة الذين يبيعون تراب الوطن المجبول بدماء
الشهداء العظام، فيصف السماسرة بالجنون:

الكامل

ولقد عجبت لمن يبيع ترابه — مجبول بالدم، ما جرى لصوابه؟!
هل جُنَّ يا ليت الجنون حليفه فأصون نفسي عن جنون عتابه
فمضى يسمسر تارة و يبيع ما ترك الغزاة الصيد من أحسابه²
ثم لم يكتف العبوشي بتحذير السماسرة من عواقب أعمالهم المخزية، بل صبَّ جامّ
غضبه عليهم فوصفهم بأبناء الزنا وصفّاهم من الدم:

الكامل

أضحى يهدّمه بنوه فحسرة فكأنّما قد شيد للغربان
وكأنّما السمسار ليس به دم وكأنّما هو نطفة من زان³
ثم ينصح العبوشي ملاك الأرض والفلاحين بعدم بيع أرضهم وإن شعروا بالفقر والفاقة،
فالأرض هي العرض، ولا تقدر بثمن:

الكامل

لا ترخصوا الأرض التي في قلبها رقدت جدودكم بنو قحطان
إن ترخصوها ترخصوا عرضا لنا هل تشتري الأعراض بالأثمان؟!⁴
"إن وصف العبوشي للسماسرة ليس نقمة شخصية، وليس من قبيل الذم أو القذح المجرد
في هؤلاء الأشخاص، إذ هو أعمق دلالة وقصدا، فهو تعبير عن النقمة الشعبية الحاقدة، التي
أراد الشعراء صبها مرة واحدة على هؤلاء المارقين على إرادة الشعب والوطن، وفيه فتح

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص50.

² نفسه، ص50-51.

³ نفسه، ص54.

⁴ نفسه، ص55.

للعيون على الشر الذي يستحكم على أيديهم"¹، فالعبوشي يسهب في وصف إخلاص السماسرة لأسيادهم من بني صهيون، يأتي ذلك على لسان السمسار(سقيم) الذي يخاطب الصهاينة في مسرحية العبوشي الشعرية (وطن الشهيد) قائلاً:

الخفيف

فانـدبونـي لكل أمر جسيم	أنا والله عبدكم في حياتي
فاطمئنوا لذي رشاد حكيم	سوف آتيكم بأرض صديقي
ثم أعطيك حصتي برقيم	فإذا ما أبى سأشري لنفسي
فإذا لم يلبّ فهو غريمي ²	فأذنوا لي فسوف أمضي إليه

انظر إلى تفاني السمسار (سقيم) في خدمة أسياده، أليس ذلك من العجب العجائب؟ حتى اليهود يستغربون صنيع السماسرة وتفانيهم المطلق، لكنهم يدركون أن الدافع من وراء ذلك حب السماسرة للجنيه والدولار، ذاك ما بيّنه العبوشي في مسرحيته (وطن الشهيد) الشعرية وعلى لسان (كوهين):

الخفيف

فغدا أسيرا للجنيه الأصفر	أرأيتم كيف استتبنا لبّه
بـدريهم بيع المتاع الأحقر	باع البلاد وباع حبّ صديقه
سُدنا على المرج الخصيب الأخضر ³	لم تمض إلا أشهر فإذا بنا

"لقد شغلت هذه القضية جماهير الشعب التي كانت تحسّ بخطر بيع الأرض لليهود، وتعدّه جريمة وطنية تستحق أقسى العقوبات، ومع ذلك فإن الأثمان المغرية، والأطماع الشعبية التي كانت تسيطر على الإقطاعيين وأشباههم، وعلى كثير من أبناء الأسر المترفة، كانت تدفع

¹ شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، ص112.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص375.

³ نفسه، ص376.

هؤلاء إلى بيع أراضيهم، والاحتيايل لبيع أراضي الآخرين لقاء أجور عالية يتقاضونها من الوساطة¹.

أما الشعر فقد تجاوب مع الشعب الذي صب جام غضبه على السماسرة وبائعي الأرض، فعبر الشعراء عن نقيمتهم وسخطهم على هؤلاء المتعاونين مع الاحتلال، سيما وأن السماسرة لم يبيعوا الأرض من فقر أو مسغبة، بل حبا في الاستزادة من المال، وجنيا لمزيد من الثراء، من هنا أصبحت قضية السماسرة من أهم المحاور التي قام عليها شعر برهان الدين العبوشي:

البسيط

وباع سرسق تبا لاسمه قطعاً من ملكننا وعيون الساكنين ترى
لهفي على المرج قد جلت مصيبتة ولم يجد من بني الأوطان من ثأراً²
بل وقرن بين السماسرة والصوص والكذابين المخادعين، ويتعجب من تصديق الناس لهم بعد كل ما صنعوه من نذالة وبيع للأرض، وهو لا يلوم السماسرة فحسب، بل يلوم معهم من ينصرهم ويحابيهم من أهل البلاد:

البسيط

أكلما هب سمسار بشرذمة من اللصوص نحاييه ونرفعه³
إن المتأمل في شعر العبوشي يجده يكثر من التحذير من أولئك الجشعين المحبين للمال، الذين جعل حب المال على قلوبهم غشاوة، فتراه يهيج المشاعر بالنقمة على هذه الفئة- السماسرة- ويقذفهم بحممه الشعرية فيقول:

البسيط

مرج ابن عامر باعت مجدك العرب واستأسد الغرب والشرقي يحترب
قد كنت في الأمس فخرا من مفاخرنا وساحة فيك يجري العز والغلب

¹ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص115.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص130.

³ نفسه، ص174.

يبيعه العرب لا قلب لبائعوه وإنما همّهُ أن يكتز الذهب
المال يفنى ونفس السوء فانية ويخلد الذكر والرب الذي يهب¹

شعر العبوشي أن السماسرة سرطان في جسد الأمة، ويجب على أبناء قومه استئصالهم
من جذورهم فهم من أهم عوامل ضياع البلاد، فنراه يشن عليهم حملة إعلامية شرسة، يفضحهم،
ويعريهم، ويكشف زيف زعمهم بأنهم الحريصون على مصلحة البلاد والعباد، فهم لا يتجاوزون
فئة اللصوص، يخدمون أعداء البلاد في سلب الأرض من الفلاح المسكين، وتقديمها على طبق
من ذهب لعدوهم اللئيم، ومما يؤلمه ويحزّ في نفسه بقاء هذه الفئة تسرح وتمرح في أرجاء البلاد
باسم الوطنية، والدفاع عن البلاد:

الخفيف

حاكموه وأوثقوه حبالا واحشروا في السجون كلّ خوون
فإذا ضاقت السجون فسوط من عذاب وجرعة من منون
كيف ينجو من العقاب لئيم باع أوطاننا وكلّ ثمين
لكم في القصاص خير فأمضوا سنة الله في الخوون اللعين²

ولم يكن العبوشي وحيدا في هذا الميدان، بل شاركه الهم نفسه طوقان وعبد الرحيم وأبو
سلمى، فقد هز طوقان ما رآه من سماسرة الأراضي، وأحس بأنهم سرطان لا بد أن يتم
استئصاله من جسد الأمة، وأكثر ما كان يغيظ طوقان ما تظاهر به هؤلاء السماسرة من حرص
على مصالح البلاد:

أما سماسرة البلاد فعصبة عارّ على أهل البلاد بقاؤها
إبليس أعلن صاغرا إفلاسه لما تحقق عنده إغراؤها
ينتعمون مكرمين كأنما لنعيمهم عمّ البلاد شقاؤها³

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 46-47.

² نفسه: ص 91.

³ طوقان، إبراهيم، ديوان إبراهيم طوقان، ص 45.

المطلب الرابع: معاداة الزعماء والأحزاب

"كانت الأحزاب السياسية هي الوجه التنظيمي المعبر عن مصالح الطبقات الثرية، وقد حملت تناقضاتها وتناحرها الدائم على منافعها الخاصة، ومنافع أنصارها، من هنا كانت الأحزاب في حرب داخلية دائمة مع بعضها... أما بالنسبة للحكومة فكانت تجانب مواقف الحزم والصلابة، وتميل إلى المهادنة والملاينة... وحين كانت الحركة الوطنية تتصاعد، وتشتد النقمة الشعبية على الحكومة، بسبب تواطئها مع الصهيونية، كانت الأحزاب تضطر إلى التظاهر بالصلابة خداعا ومسايرة للشعب"¹.

حين يلقي الشعراء الآخرون اللوم على الزعماء الفلسطينيين في ضياع الوطن، وعلى تمزق الجبهة الداخلية، تجد الصوت الأقوى لدى عبد الكريم الكرمي، فنراه يحمل الحكام المسؤولية كلها²:

زعماء دنسوا تاريخكم وملوك شردوكم دون ذنب
وجيوش غفر الله لها سلمت أوطانكم من غير حرب³

لقد عبر الشعراء عن قضية الزعماء والأحزاب والسماسة بلغة خطابية عاطفية مؤثرة، لكن إبراهيم طوقان تناول هذه القضايا بأسلوب السخرية والتهكم⁴:

الخفيف

أنتم المخلصون للوطنيّه أنتم الحاملون عبء القضيّه
أنتم العاملون من غير قول بارك الله في الزنود القويّه
في يدنا بقيّة من بلاد فاستريحوا كي لا تضيع القضيّه⁵

¹ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص105.

² الموسوعة الفلسطينية، مجلد4، ص23.

³ الكرمي، عبد الكريم، ديوان المشرّد، المكتبة الكبرى للتأليف والنشر، دمشق، ص6.

⁴ الموسوعة الفلسطينية، ص23.

⁵ طوقان، إبراهيم ديوان إبراهيم طوقان، دار الأسوار عكا، ص86.

من هنا صمم العبوشي على الكفر بهذه الأحزاب، بسبب انصرافها عن القضايا الوطنية، وانقيادها خلف أطماعها الشخصية، فهي كأعجاز النخل الخاوية، أو هي تماثيل لا حول لها ولا قوة، اللهم إلا من إسداء الخدمات للصهيونية:

الطويل

لقد كفرت أحزابنا فاكفروا بها	فقد عبثت خمر الهوى بصلابها
وماذا ترجي من تماثيل نصبت	كأعجاز نخل قد خلت من لبابها
سبا عقلها الكرسي وهو مذمة	كما فتن الشوواء لون خضابها
تلج علينا الحادثات بشرها	وأحزابنا مشغولة بنصابها ¹

ثم يدعو العبوشي إلى الثورة على الأحزاب، والتخلص منها، لأنها آفة هذه البلاد وسر مرضها، ويدعو كذلك إلى قمع الأحزاب والبطش بها نتيجة تمزيقها الوطن، وبيع الأرض، وخداع الشعب:

البسيط

ألا اضربوا هامة الأحزاب وانعتقوا	من رقها فكفانا الهم نجرعه
أكلما صاح كذاب بأمته	(عاشت فلسطين) خنا الصدق يدفعه
تقدموا يا شباب الجيل وانتزعوا	زعامة الشعب فالأحزاب تفجعه ²

ويصرح بأن الشعب هو صاحب القضية، وغيره لا يحلها، ويدعو الشعب إلى أخذ قضيته بيده حتى لا تلعب بها الأهواء:

الكامل

يا شعب غيرك لا يحل قضية	لعبت بها الأهواء ستة أشهر
يا شعب دونك والسلاح فلا أرى	منجاة عز دونه في الأعصر ³

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص168.

² نفسه، ص174.

³ نفسه، ص178.

وكان لهجومه على الأحزاب ما يبرره سيما وأن "قادة الأحزاب الوطنية كانوا من كبار الإقطاعيين والملاك والتجار بحكم مواقعهم الاقتصادية والدينية والعشائرية"¹، وقد اتصفت مواقفهم "بالسير في ركاب الحكم العثماني والانتداب البريطاني فيما بعد، والتخاذل والمساومة مع الصهاينة - تمثل ذلك في عقد الصفقات السياسية وبيع الأراضي وقبول التقسيم - بينما اقترب فريق آخر من هذه الطبقة من الحركة الصهيونية وماشأها في مطالبتها، دون أن تصل به وطنيته إلى حد الافتراق والصدام مع سلطات الانتداب البريطاني"²

"لقد كانت البلاد قد انحدرت على أيدي زعمائها وأحزابها انحدارا أظلمت معه آفاقها، وتبددت آمالها، فراح الشعراء يدعون إلى الكفر بهذه الأحزاب وزعمائها، ويحثون شباب الجيل على التصدي للعمل الوطني، وقيادة البلاد"³، يقول العبوشي منددا بالزعماء ومبشرا بجيل الشباب الذين يمثلون أمل الأمة:

الكامل

وطن العربوبة داؤه زعماؤه	وبلاؤه والشر في ساداته
وأخالهم دخلاء غرّوا شعبهم	لما رأوه يئن من ويلاته
إن ترخصوه فقد رخصتم أنتم	وغنمتمو فيه أذى لعناته ⁴

بل يصل الأمر بالعبوشي إلى أن يشبه الزعماء بالأعداء، الذين يعملون على تفريق الناس من أجل أن يخوضوا في شهواتهم دون أن يقف في وجههم أحد، هذا ما جاء في قصيدة "الإعدادية المركزية":

¹ مصطفى، خالد علي، الشعر الفلسطيني الحديث، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، 1978م، ص22.

² الكيالي، عبد الوهاب، النضال الفلسطيني، دروس وعبر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1971م، ص12.

³ شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، ص192.

⁴ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص318.

الكامل

فإذا بحاكمنا يفرّق شملنا كعدونا ويتيه في شهواته¹

في غمرة الأحداث المتلاحقة التي مرت بها فلسطين كان لزاما على الشعراء أن يضطلعوا بدورهم، فيخففوا معاناة شعبهم، فوجد العبوشي نفسه مضطرا إلى أن يسخر شعره لـ "فضح الحكام، ومهاجمتهم، وإعلان النعمة عليهم، وعلى عرض صور المأساة وحياة اللاجئين في مخيماتهم، وبكاء البلد الضائع، وبث روح الاحتمال والأمل، وخلق العزم والتفاؤل لدى أبناء وطنه، استعدادا للجولة الثانية"²، يقول العبوشي في قصيدة "كنت سهما":

الكامل

وغدت ثعالب أمّتي حكامها فوقعت في حرب الأقارب والعدا
في كلّ يوم صفعه ومهانة ثم اعتداء بعده ألف اعتدا
أفلا غضبنا مرة فنبّدهم ونذيق إسرائيل صاعقة الردى³

إن تنديد العبوشي بباعة الأرض وسماستها لم يقتصر على الباعة المحليين، بل تعداهم إلى الباعة القوميين، زعماء الأمة وملوكها وأمرائها، فقد شملتهم الحمم الشعرية التي لفظها العبوشي لتواطئهم مع المحتلين، وخيانتهم لأمانة الوطن، فجّل همّ ساستنا تفريق شمل الأمة، لتظل مصالحهم آمنة، يظهر ذلك من خلال قصيدة "الناصره قبيل ضياعها":

الكامل

الدين يجمع لا يفرّق إنّما هم السياسة أن يشيع الداء
كم من شعوب الله وهي بريئة عصفت بهن سياسة خرقاء
إن التجارب إذ عجمنا عودها كشفت سرائرهم وبان خفاء⁴

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص318.

² شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، ص31.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص260-261.

⁴ نفسه، ص53.

المطلب الخامس: الثورة ومحاربة الاستعمار والاحتلال

إن من تقرير الحقيقة أن نؤكد أن الشعر الفلسطيني كان سلاحاً فتاكاً من أعظم أسلحة المعركة التي خاضها عرب فلسطين ضد الانتداب والصهيونية... فصبت بريطانيا جام غضبها على الكتاب والشعراء، فطاردت بعضهم حتى اضطروا للهجرة من فلسطين إلى الأقطار الشقية، كالشاعر عبد الرحيم محمود، وبرهان الدين العبوشي، وزجت بآخرين في غياهب السجون والمعتقلات، وسنت تشريعات ظالمة تجعل السجن عقوبة لكل من ألقى خطبة، أو نشر مقالة، أو نظم قصيدة حماسية فيها حض على الجهاد¹ كالشاعر برهان الدين العبوشي الذي أمضى ربحاً من حياته منتقلاً بين المعتقلات المختلفة، وعلى الرغم من كل المضايقات إلا أن العبوشي عبّر بشعره عن الروح الحماسية الثورية تعبيراً صادقاً نابعاً من القلب، بكل فخر واعتزاز وشجاعة.

يعدّ برهان الدين العبوشي من أبرز الشعراء الذين مارسوا الثورة قولاً وفعلًا "فالعبوشي يتوق إلى لقاء الردى في سبيل وطنه، فهو يدعو بحرارة إلى النضال والفداء، وصبغ الربوع بالدماء لإعزاز الوطن وصون كرامته"²، يقول العبوشي في قصيدة "حيّ الشهيد":

الكامل

ارفع أيّا عربيّ رأسك عاليّا	وازحف وناضل فالعدو تجهّما
جابه عداك بما يروم لك العدا	واضرب ولا ترض المذلّة والعمى
إني أيّا وطني أتوق إلى الردى	من أجل مجدك كي تعيش مكرما
فالدهر علّما بأنّ الحرّ لا	يرقى العلا إلا إذا سفك الدما
فلسوف نصبغ بالدماء ربوعنا	حتى نراك معزّزا متبسّما ³

ونراه يركّز في دعوته للثورة على فئة معينة من فئات المجتمع الفلسطيني، ألا وهي فئة الشباب، لما لهذه الفئة من عناصر قوة تميزها عن غيرها، ويذكر العبوشي الشباب بما لحق بفلسطين من ويلات لشحذ هممهم، ويذكرهم بأن مصير المتقاعسين الشقاء والجلاء:

¹ انظر: الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص 109.

² الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص 124.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 158-159.

الكامل

قد بُح صوتي في الشباب كأنهم
لم يسمعوأ أم أُنْهَم صمّاء
لبّي ندائي يا شبيبة وانظري
قد حلّ بالوطن الذبيح بلاء
إن لم تذودوا عن قداسة أرضكم
فمصيركم فيها شقا وجلاء¹

"لقد مثل الشعراء الشباب طليعة الجيل الذي حمل لواء الثورة ضد الانتداب وأذنايه، وكان للمتقنين دور مهم في الثورة ، فقد شارك الكثير منهم في حمل السلاح والخروج إلى الجبال إعلانا للتمرد والثورة على الانتداب وسياساته، وكان هؤلاء الشعراء قد حملوا هم الكلمة المقاتلة، فكان أن زأوج بعضهم الهمين معا وعلى رأس هؤلاء الشعراء الذين جمعوا الهمين، همّ الكلمة وهمّ السلاح، برهان الدين العبوشي، لذلك جاء شعره بمثابة منشورات ثورية تحض الناس وتحرضهم على الثورة، حتى قبل اشتعال نيرانها"²، يقول برهان الدين العبوشي في قصيدة "يا عرب":

الكامل

يا موت ماذا تنتظر
يا شعب مالِك تحتضر
قم سرّ فمثلك لا يموت
وإن طغى فيه الأشر
يا شعب قد آن الأوان
فسرّ وطالب قم وثر
إنّا إذا مال الزمان
بنا سنرجع ما غبر³

ويتخذ العبوشي من الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم- ومن صحابته الكرام - رضوان الله عليهم- المثل الأعلى في الثورة على الظلم، وقاتل الأعداء، فقد قاتلوا وهم قلة، وانتصروا على عدوهم مع قلة عددهم، ويعود الفضل في ذلك إلى الإرادة والتصميم، مع الإيمان المطلق بالله تعالى أنه ناصرهم لا محالة:

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص54.

² شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، ج1، ص149-150.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص155-156.

الكامل

والحر يدفع عن حماه بسيفه فإذا تحطّم سيفه فبنابه
فلنمش للموت الزؤام كما مشى جيش النبي بشيبيه وشبابه
جيش من الجبروت شقّ طريقه في الأرض حتى أذعنت لحرابه¹

"والعبوشي أحد أبناء طبقة الفلاحين المثقفين الثوريين، ونضاله يمثل نضال طبقة كاملة بل شعب كامل، فقد طوف في البلدان داعياً للثورة ومنظماً لها، وقد تعرض لشتى أصناف العذاب بسبب ذلك فسجن وعذب وأصيب في سبيل الثورة على أعداء البلاد، وقد نشر عدة قصائد في الجرائد والمجلات العربية يدعو من خلالها لمواصلة الثورة حتى دحر الاحتلال، وهو من خلال هذه القصائد يتابع عمله في الدعوة للثورة، فيذيب في دعوته طعم الممارسة، ويبث قوة التجربة، فيسري في شعره نفس العنف وروح الفداء، ويمجد في شعره لغة القوة وتضحية الشهداء، وفي ذلك درس عملي يشجع الشباب على ممارسة النضال والعمل الثوري، لاسيما وهو يرى في النشء الجديد غوثاً من الرب أقال به الشعب من عنت الظالمين"²، يقول العبوشي في قصيدة "في المعتقل" التي نظمها وهو معتقل في سجن صرند:

الكامل

صرند معتقل الأسود جنّاك نرفل في الحديد
إنّا نعاهدك الثبا ت ولو نساق إلى اللّهود
لسنا نبالي بالخطو ب ولا نبالي بالوعيد³

ثم يمضي العبوشي في القصيدة حاثاً الشباب على الثورة ومحفزاً لها:

الكامل

هذي الشباب توابت كتواب الأسد العنيد
فتسلقوا قُلل الجبا ل ومزقوا ثوب الجمود

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 51-52.

² شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، ج 1، ص 153.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 137.

ثَار الشَّباب لِحَقِّهِمْ وَالْحَقُّ يُوْخِذُ بِالْحَدِيدِ¹

ويستغرب الشاعر تسابق الزعماء العرب على توقيع المعاهدات مع الأعداء، فلو لا الشباب الثائر لانتهت القضية لصالح العدو لا محالة:

الكامل

وَطَنِي فِدَيْتَكَ كَيْفَ يَذْ هَبْ قَوْمَنَا صَرَعَى الْعَهْودِ
لَوْلَا الزَّعَامَةُ مَا رَأَى تَ بِلَادِنَا مَلِكُ الشَّرِيدِ
إِنِّي أَمُوتُ لَكِي أَرَى وَطَنِي يَعِيشُ بِلَا قِيُودِ²

لا يثور العبوشي لأغراض شخصية أو دنيوية، بل يثور ليتحرر وطنه من نير الاحتلال الذي سام البلاد والعباد سوء العذاب، وهو مستعد أن يبذل روحه فداء وطنه.

بهذه الروح الحماسية التي يزيدها اندفاعا اشتعال الثورة، يمضي العبوشي يبيث من معتقله في صرفند قصائد التحريض على رُفد الثورة وتعزيز مطالبها³، فيقول في قصيدة "زراعة الأرواح":

الطويل

نَغَامِرْ لَا نَرْضَى سِوَى الْمَجْدِ مَوْطِنَا وَلَسْنَا نَبَالِي إِنْ نَأَى الْمَوْتُ أَوْ دَنَا
لَنَا حَقًّا الْوَضَاحُ لَسْنَا نَبِيعُهُ وَكَيْفَ يَبِيعُ الْحَقُّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنَا
لَنَا الْمَجْدُ لَا تَبْنِيهِ إِلَّا شَبِيبَةٌ وَرُودُ الْمَنَايَا عِنْدَهَا غَايَةُ الْمَنَى
لَبَسْنَا لِبُوسَ الْحَرْبِ لَا سَلْمَ بَعْدَهُ وَلَيْسَ لَدَى قَوْمِي سِوَى النَّارِ وَالْقَتَا⁴

نحس في هذه القصيدة بقوة الإرادة، وبالعزم والتصميم على المضي في الثورة بكل تضحياتها، في سبيل حقوق الوطن الواضحة، ولهذه الروح القوية أثرها في شحن نفوس الثوار بقوة الاستمرار وحمائيتها من أن يلحقها يأس أو فتور، ثم إن العبوشي يركز على فئة الشباب في

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص138.

² نفسه: ص138-139.

³ شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، ج1، ص145.

⁴ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص152-153.

الثورة، بل استخدم أسلوب الحصر ليدلل على أن المجد لا يتأتى إلا بطريقة واحدة وهي روح الشباب.

ونرى العبوشي في دعواته للثورة يركز على الشعب، فالشعب وحده بيده الأمر، وهو من سيصنع النصر لنفسه، فالزعماء باعوا مستقبل شعوبهم، وجعلوا صباحهم ظلاما، حيث يهيب بالشعب أن يظل شاكي السلاح فليس دونه منجاة عز¹، يقول العبوشي في قصيدة "ثورة فلسطين في جبع وبلعا":

الكامل

يا شعب غيرك لا يحلّ قضية لعبت بها الأهواء ستّة أدهر
باعوا حماك وأنت تنظر والدماء تجري وعيشك كالظلام الأكر
أما الهزيمة والفرار والاتخذا ل والاستكانة تلك دون تصوري²

وهكذا فإن الثورة شحذت عزيمة الشعب، وأزالت عن نفسه صداً الخمول، والمقصود بالشعب هنا طبقات العمال والفلاحين والمتقنين الوطنيين التي اصطلت حقيقة بنار الثورة، ولذلك راح الشعراء من أبناء هذه الطبقات - ومنهم برهان الدين العبوشي - يهيئون بالشعب أن يتمسك بحقه في الوطن، وان يستمر في ثورته حتى يضمن فيه حقوقه الطبيعية³.

لقد أطلق العبوشي سهام كلماته داخل الوطن وخارجه ليوقظ الجماهير، وينبه من المخاطر، ويحرض ويدعو إلى الثورة من أجل التغيير، واستمر في عطائه ثائرا على الواقع المر، وداعيا من دعاة الثورة.

المطلب السادس: رثاء الشهداء

بمجرد أن وعى العبوشي طبيعة التهديد والمكائد التي تحاك لوطنه، حتى انبرى ينظم القصائد الوطنية، ويدعو إلى محاربة الاستعمار، والوقوف في وجه الهجرات الصهيونية

¹ شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، ج1، ص155.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص178.

³ شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، ج1، ص155.

المتلاحقة إلى فلسطين، كما راح يسجل مآثر الشهداء البطولية، حتى وصل الأمر به إلى تمنى الشهادة قولاً وفعلاً في أرض المعارك، دفاعاً عن وطنه، وذوداً عن حماه، وأصيب في هذه المعارك، لكن القدر لم يردّه من بين الشهداء، بل أراده شاهداً بشعره على الأحداث الجسام، يقول العبوشي في رثاء الشاعر الشهيد "عبد الرحيم محمود":

الكامل

عبد الرحيم عجيب أمري إنني قد بتّ بعدك أكره الأيما
قد كنت أرجو أن أنال شهادة ألقى بها ربي أعزّ مقاماً
وسبقنتي فغنمت دار كرامة والله يجزي من أناب وساما
فاهناً بطهرك سوف أرحل طاهراً ألقاك في غرف الجنان سلاماً¹

لقد آمن برهان الدين العبوشي أن تحرير البلاد لأبد له من تضحيات جسام، لا يستطيع بذلها إلا المجاهدون، الذين ببطولتهم يرسمون أجمل لوحات التضحية والفداء، يحملون أرواحهم على أكفهم، يقبلون على الشهادة غير آبهين بما ستؤول إليه أحوالهم، فهم إن انتصروا نالوا تقدير أمتهم وشعبهم، وإن سقطوا في الميادين نالوا الشهادة والخلود، فعجباً لأمرهم، إن أمرهم كله خير، من هذا المنطلق "أراد عبد الرحيم محمود أن يواجه الظلم بالتصدي والمقارعة، ويبحث عن الموت المشرف في الميدان، إنه يحبذ منطق القوة الذي لا يفهم العدو منطقاً غيره"²:

المتقارب

سأحمل روحي على راحتني وألقي بها في مهاوي الردى
وما العيش لا عشت إن لم أكن مخوف الجناب حرام الحمى³
يقول العبوشي في قصيدة "حيّ الشهيد":

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص251.

² أبو عمشة، عادل، الشهيد في شعر إبراهيم طوقان وأبي سلمى وعبد الرحيم محمود، مجلة جامعة بيت لحم، عدد 14، 1995م، ص63.

³ محمود، عبد الرحيم، ديوان عبد الرحيم محمود - روحي على راحتني، مركز إحياء التراث، حيفا، مطبعة ووافست الحكيم، الناصرة، تحقيق: حنا أبو حنا، 1985م، ص101.

الكامل

نثر الجلاّد على الأديم جماجما وتواثب الأبطال فيه ضياغما
واستبسّلوا فاستعذبوا ورد الردى وتقَدّموا كالـموج زاد تلاطمـا
قلّ للشهيد علام تنظر للـسما هنا قنعت بما فدّيت به الحمى
باعوا الحياة رخيصة لبلادهم كي يفتدي وطننا رأوه مهـدّما¹

لقد "تتابعت قوافل الشهداء في ثورات فلسطين المتعاقبة" فمنهم من قضى في ساحات المعارك، ومنهم من قضى على أعواد المشانق، وجل هؤلاء من أبناء الطبقات الشعبية الفقيرة، أبناء الفلاحين والعمال، وشاركهم في كرامة الاستشهاد هذه نفر من أبناء الأمة العربية الأشاوس، الذين كان في طبيعتهم الشيخ عز الدين القسام، وفي ربيع عام 1939م استشهد المجاهد القائد "عبد الرحيم الحاج محمد" في ساحة المعركة برصاص الإنجليز فكانت خسارة الثورة به فادحة²، فأبّنه الشاعر برهان الدين العبوشي بقصيدة تحمل عنوان "عبد الرحيم":

الكامل

فيم التجمّل يا زمان قتلتني وسلبتني يا دهر ما ملكت يدي
وخطفت من لو نستطيع فداه نفداه بالدم كل أروع مفتدي
(عبد الرحيم) أما علمت مقامه يا دهر فهو بنا كصحب محمد
بطل أعير من القضاء مضاءه أبلى بلاء السيف في الكف الندي
ما أنت أول ثائر فجعت به أرض السلام ولست آخر مُحدّ³

وفي عام 1936 استشهد في منطقة الخليل المجاهد السوري سعيد العاص "فهاجت الخواطر، وسفح الحزن دموع الناس"⁴ فتسابق الشعراء في رثائه، وتقدم برهان الدين العبوشي بقصيدة رثاء لابنته "سعاد" بعنوان "لعينيك سعاد" فقال:

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 157-158.

² الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص 141.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 178-179.

⁴ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص 142.

الخفيف

أَمَّكَ الشَّعْبَ وَالْخُلُودَ أَبُوكَ يَا ابْنَةَ (العاص) وَالشَّبابَ أَخُوكَ
مَا تَيْتَمْتُ يَا (سعاد) وَلَكِنْ يُتَمُّ الدَّهْرُ بَعْدَ فَقْدِ أَبِيكَ
فَاغْبِطِيهِ فَإِنَّهُ مَاتَ حُرًّا لَا جَبَانًا كَمَيْتَةِ الصُّعْلُوكِ
يَا فِلَسْطِينَ فَاغْخِرِي بِسَعِيدٍ إِنَّمَا الْفَخْرُ لِلَّذِي يَفْتَدِيكَ¹

لقد وصل الأمر بالعبوشي إلى ربط المجد بجماعم الشهداء فأقبال الشهداء على الموت هو الأمل الوحيد في تحرير البلاد من براثن الغاصبين، سقوط الشهداء لا يعد موتاً، بل وقوداً للحياة التي يكسوها لون العزة والسؤدد، حيث يسوق العبوشي هذه الفكرة في قصيدة "الوطن المبيع":

فالمجد لا يبني بغير جماعم والمجد تحميه سيوف غضابه²

"هذه الجماعم التي تبني مجد الأمة تعود لمناضلين غير محددين، أي لهم جميعاً دون ذكر اسم أو أسماء، فالقضية عامة لأن الهم عام، ولا مكان للتحديد أو التسمية، أو أن الشاعر شهد الكثير من الشهداء، وسمع عن استشهاد الكثيرين، فلم يفضل أحداً على الآخر، ومثل هذا التعبير وهذه الصورة تعد صورة كلاسيكية"³.

وعبر إذاعة القدس دوى صوت إبراهيم طوقان في الثلاثينيات من القرن العشرين يشيد بروح المناضل ونفانيه⁴:

مجزوء الخفيف

لا تسَلْ عَنْ سَلامته رُوحه فَوْقَ راحته
يرقب الساعة التي بعدها هَوَّلَ ساعته⁵

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 131.

² نفسه، ص 52.

³ عراق، عبد البديع، صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر، مؤسسة الأسوار، عكا، 2002م، المطبعة العربية الحديثة، ط 1، ص 240.

⁴ شريتح، محمود، الشعر الفلسطيني المعاصر، الموسوعة الفلسطينية، مجلد 4، ص 31.

⁵ ديوان إبراهيم، ص 47.

المطلب السابع: نبوءة النكبة قبل حلولها

لقد كان خطر ضياع فلسطين وتشريد أهلها يتراءى للعيان بفعل التصدع الوطني الداخلي لدى الطبقات الفلسطينية، وبفعل التفريط الذي وصل إلى مستوى الخيانة الوطنية، فقد كانت نذر النكبة تسعى بخطى متلاحقة، نحو البلاد والعباد "وقد تفجرت هذه المخاوف نذرا محذرة مفزعة من سوء المصير المنتظر، أرسلها شعراء فلسطين صيحات مدوية، توقظ النيام، فجاءت مرآة صادقة لهواجس الشعب وتوقعاته، وكأنهم شهدوا المأساة بأنفسهم، وعانوا تجربة النكبة برمتها"¹، يقول العبوشي في قصيدة "المرج الحزين":

البسيط

و(سيلة الحارثي) اليوم تضطرب	(جنين) (زرعين) (بيسان) مهددة
به الدخيل ويبقى سادر طرب	إن الجلاء على الأبواب أُنذرنا
من الشقاء وذا واديك ينتحب	يا مرج مالك تجري فيك قافلة
وللعذاب غدير فيك ينسكب ²	كأن روضك للأرزاء منتزه

وهذا برهان الدين العبوشي "ينبه قومه قبل أن يأخذهم الجلاء عن البلاد، ويحرك فيهم الحمية التاريخية بذكرى الخالدين العرب الذين فتحوها وبذلوا حياتهم ودماءهم في سبيلها"³، يقول العبوشي في قصيدة "ذكرى الثورة العربية":

الخفيف

عن بلاد فيها عظام الجدود	فأفيقوا يا قوم قبل جلاء
بالنجيع الزكيّ من عهد هود	واذكروا الغابرين قد جبلوها
لصلاح وخالد بن الوليد ⁴	ما تقولون إن نزحتم صغارا

¹ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص118.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص46.

³ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص119.

⁴ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص172.

لقد جاء شعر العبوشي تنبيها للأمة من الخطر المحدق بها من كل فج، فقد ألهمت قصائده مشاعر الأمة وحثت على رص الصفوف، وتوحيد الكلمة، لردع أطماع المستعمرين والمحتلين، فالعبوشي تنبأ بالأحداث قبل وقوعها، وحذر مما ستؤول إليه الأحوال.

ولم يكن برهان الدين العبوشي وحيدا في هذا الشعور بل شاركه غيره من أبناء وطنه ممن أحسوا بنفس الشعور ومنهم الشاعر حسن البحيري "فمنذ بداية الأربعينيات تضخم الإحساس بمصير البلاد لدى شعرائها، فخفتت في شعرهم نبرة الأمل، وطففت سمة الحزن تخوفا من هذا المصير المرتقب، وإن حاولوا أن يلفوا الطابع الحزين في لفائف من عظمة الأمجاد والفخر بالماضي، وأوضح من يمثل هذا الاتجاه برهان الدين العبوشي وحسن البحيري"¹، فقد هزتهما غفلة الأمة، والناس لاهون في رغد وحياة هنيئة، بينما العدو يتربص بهم الدوائر، ويحيط بالبلاد من كل مكان. وشاركهم النبوءة نفسها عبد الرحيم محمود، فقد نظم قصيدة بعنوان "نجم السعود" ألقاها في عنتابا في حفل استقبال الأمير سعود بن عبد العزيز، وعبر فيها عن نبوءته بضياح المسجد الأقصى:

الكامل

يا ذا الأمير أمام عينك شاعر ضمت على الشكوى المريرة أدمعه
المسجد الأقصى أجئت تزوره أم جئت من قبل الضياع تودعه²
إن الأديب محمد إسعاف النشاشيبي كان أول شاعر نظم قصيدة تناولت التهديد الصهيوني لفلسطين، وكانت بعنوان (فلسطين والاستعمار الجديد)، وقد ظهرت القصيدة عام 1910م في النفائس العصرية:

المديد

يا فتاة الحي جودي بالدماء بدل الدمع إذا رمت البكاء
إن الاستعمار قد جاز المدى دون أن يعدوه عن سير عداء

¹ شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، ج1، ص182.

² عبد الله، نافع، الشاعر عبد الرحيم محمود، د.ن، ص125، د.ت.

إنها أوطانكم فاستيقظوا لا تتبعوها لقوم دخلاء¹

وعندما يتحدث برهان الدين العبوشي عن نبوءته بالرحيل فإننا نفتقد صوته المدوي، ونبرته العالية "ليحل محلها عروق حزن دفين يطفو بغمره على سطح قصائده وفي أجنادها، وحزنه ليس حزناً يعيي النفس ويثبط الهمة، وإنما هو حزن باسل، يذيب في قعر النفس جمودها، ويذهب عنها خمودها، ويحرك فيها القلق والتساؤل، ويشير أمامها إلى سوء المصير والمآل"².

ثم يبدأ الشاعر في بث روح الحسرة والألم على المدن الفلسطينية قبل الجلاء، فينظم قصائد "بيسان والناصره والوطن المبيع وطبريا"، ونحس من خلال هذه القصائد بـ"لهفة الشاعر على مصير هذه المدن والوطن أجمع، فهو لا يفتأ يجسد الأخطار، ولا يني يحث على العمل وافتداء البلاد، وهو يرى ان المستعمرات اليهودية قد خنقت المدن العربية، وسدت دونها السبل"³، يقول العبوشي في قصيدة "بيسان":

الكامل

ما للهوى يشجيك في بيسان	ويثير فيك حمية الشجعان
بيسان قد سدت سبيلك دوننا	مستعمرات الخبيث والبهتان
يا حسرتا للحي ينظر قبره	ويتيه حافر قبره بأمان ⁴

ثم يتعجب العبوشي من صمت أهل بيسان والعدو يطوقها من كل مكان، وهم مستكينون خانعون:

الكامل

فاستيقظوا قبل الجلاء فما لكم والله غير دقائق وثنوان⁵

¹ الفراء، محمد، مدخل إلى دراسة القضية الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، مجلد 5، ص9.

² شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، ج1، ص182.

³ نفسه، ج1، ص183.

⁴ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص55.

⁵ نفسه، ص55.

"وكان مهرجان صندوق الأمة فرصة الشاعر لبيث فيها روح الوعي والتنبية على
الخطر الصهيوني المحدق بالبلاد، فيذكر أهلها بمصير الأندلس، ويثير فيهم مشاعر الأسى
وعنفوان الحقد على كل الأعداء"¹، يقول العبوشي في قصيدة "الوطن المبيع":

الكامل

يا ابن البلاد وأنت كل رجائها	يوم الجلاء اسمع نعيق غرابه
ما مسّ أندلسا يمسك مثله	فابذل له تلحقه قبل ذهابه
قد شردوا العربيّ عن أوطانه	قد جردوا العربيّ من أثوابه
ماذا تبقى غير قاع أجرد	نرعى مع القطعان من أعشابه ²

"يدق العبوشي ناقوس الخطر، ويعيد إلى الأذهان مأساة الأندلس، وخروج المسلمين منها
مشردين، ويرسم صورة العربي المشرّد عن أوطانه والمجرد من ثيابه"³:

إنّ لمحة الحزن التي طفت على قصائد العبوشي قد أثرت عاطفته، فبدت أشعاره طرية
نابضة، مثيرة للأحزان "ولكنها أحزان دافئة مثيرة وليست مستكينة، ونستبين أثر هذا الحزن حتى
في ألفاظ قصائده... كما نستبينه في قوافي القصائد وروياها حيث حرف المد المتبوع بحرف
قصير وبالهاء المشبعة، كأنها قنوات صغيرة تنفتح على النفس الحزينة، تخفف عنها أحزانها،
لتروي بها أرض القصيدة"⁴، أما عن الإحساس بالفجيعة فقد ظهر بوضوح في أشعاره، فنراه
يحث على قتال الأعداء ويدعو إلى الوحدة:

الطويل

تعالوا نضمّ الشمل فالحى قد خلا	وقائده ناءٍ وناديه مبتلى
تعالوا فإن الشرّ أبدى نواجذا	وحدد أنيابا وجرد أنصلا

¹ شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، ج1، ص183.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص51.

³ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص119.

⁴ شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، ج1، ص184.

تعالوا فإنّا أخوة من سلالة تباهت بها الدنيا وسادت على الملا¹

فالعبوشي عندما ينظم القصيدة، ينظمها وكأن النكبة أمر واقع لا محالة، بل وصل به الأمر إلى أن يرى البلاد قد أصبحت منهارة، تخلق عنها أهلها وهنا الفجيعة عينها، لكن السبب في ذلك هو إيقاظ الجماهير لطبيعة الخطر المحدق، لتستفيق الأمة من سباتها .

هذه التنبؤات ما هي إلا انعكاس للواقع السياسي والاجتماعي المر الذي كانت تعيشه البلاد في تلك الفترة، فزعماء البلاد ألهاهم التنازع على المناصب، وسكروا بالثروة عن الأمة. ثم يتابع العبوشي بنوع من الحسرة والمرارة ما سيحل بأهل البلاد بعد ضياعها، وكأن الأمر قد غدا حقيقة مرة لا يمكن تجاوزها:

الطويل

وما قيمة الدنيا وقد صاح صائح الجلا ء عن الأوطان سيحوا فلا أهلا
لقد عاش فيه السابقون أعزّة ويهوي بنوه اللاحقون إلى السفلى
فيا لهف نفسي كيف أقوت وأقفرت وقد كان فيها الروض مزدهراً جذلاً²

"ويهوله الخطر المحدق بالبلاد، فيوقظ أهلها بصيحة مخلصة تعبر عن مشاعر الخوف على شعب فلسطين كله"³:

الكامل

يا ساكني بيسان من بدو ومن حضر ومن شيب ومن شبان
أضحت مدينتكم يهددها الفنا ومصيركم فيها إلى خسران
فاستيقظوا قبل الجلاء فما لكم والله غير دقائق وثنوان
لا ترخصوا الأرض التي في قلبها رقدت جدودكم بنو قحطان
إن ترخصوها ترخصوا عرضاً لنا هل تشتري الأعراض بالآثمان⁴

ثم يؤكد العبوشي حتمية الجلاء فيقول:

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص44.

² نفسه: ص175.

³ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص120.

⁴ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص55.

إن لم تذودوا عن قداسة أرضكم فمسيركم فيها شقا وجلاء¹

المبحث الثاني: الشعر القومي

"يربط بين العرب شعور مشترك، فضلا عن الدين واللغة والتراث والتاريخ والمصير، يجمعهم ويؤلف بينهم ليكونوا أمة واحدة متميزة عن سائر الأمم، وهو يقوى ويشد في المناسبات والأحداث والاحتفالات، والحروب التي تهدد سلامة الأمة وأرضها ومصالحها، ومن هنا فإن منبع القومية وبذرتها الأصلية هو حبّ الأهل"²، وقد أولى شعراء فلسطين العروبة والشعور القومي أهمية بالغة عندما تناولوا "قضايا الوطن وهمومه في أشعارهم، كانوا يدركون ارتباط هذه القضايا ارتباطاً وثيقاً بما يدور في محيطهم العربي، ذلك أن الوضع في فلسطين لم يكن ليصل إلى ما وصل إليه لولا الضعف والوهن الذي أصاب الأمة، وأدركوا أن تحرر الشعوب العربية من قيود العبودية يعني سرعة مشاركة هذه الشعوب في تحرير فلسطين"³، فقد جاء "الحس العروبي في قصيدة الشعر الفلسطيني حساً متقدماً، ومحددًا بالجماهير الكادحة"⁴.

"وقد برزت الروح القومية عند العرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، نتيجة لاقتحار الأتراك بطورانياتهم، ما أيقظ في العرب فخرهم بأجدادهم القديمة، بعد أن كان العرب والترك يلتقون عند الإسلام الذي جمع بينهم، وسوى بين أفرادهم... وكانت بلاد الشام أسرع أجزاء الوطن العربي تأثراً بالفكرة القومية التي سادت أوروبا؛ لأنها كانت أكثر أجزاء الدولة العثمانية تعرضاً للتأثر بالتيارات الفكرية الغربية المختلفة"⁵.

وقد عبّر عن الروح القومية غير شاعر من شعراء فلسطين كان في طليعتهم الشاعر إبراهيم اليازجي، ويوسف النبهاني، وسليمان التاجي الفاروقي، وقد عبر برهان الدين العبوشي

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص54.

² عطوات، محمد عبد الله، الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر 1918-1968م، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1998م، ص358.

³ جعيد، عبد الرحمن علي عبد الرحمن، علي الخليلي أديباً، إشراف الأستاذ الدكتور عادل أبو عمنه، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 2006م، ص34-35.

⁴ أبو نضال، نزيه، الشعر الفلسطيني المقاتل، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ط1، 1974م، ص136.

⁵ أبو عمنه، عادل محمد، الاتجاه السياسي في شعر إيليا أبو ماضي، ط1، 1987م، ص81.

في غير قصيدة من قصائده عن خيبة أمله في الزعامات العربية والملوك والأمراء العرب، وخاصة أولئك الذين ارتبطوا مع الكيان الصهيوني بمعاهدات الصلح، فتنازلوا بذلك عن قضية الأمة العربية - القضية الفلسطينية- وتحولوا إلى عبيد يتلاعب الغرب بهم متى يشاء وكيف يشاء، يقول العبوشي في إشارة إلى معاهدة السلام مع اليهود التي وقعها الرئيس المصري السادات في كامب ديفيد:

الكامل

وقعت أم أوقعت تلك مصيبة وقعت على رأس الموقع ذاته
وطن العروبة داؤه زعمائه وبلاؤه والشر في ساداته
وإخالهم دُخل غرّوا شعبهم لما رأوه يئن في ويلاته
من بعد ما جعلتك مصر رئيسها أدلت شعبك نادبا لقتاته¹

وتابع العبوشي مذكرا السادات - زعيم مصر- أن عقد المعاهدات مع اليهود ليس هو الحل لإعادة الوطن السليب، بل الحل يكمن بالتمسك بالبندقية، فلغة الرصاص أفصح من لغة القلم:

مجزوء الكامل

خذ من لسان البندقية لنا يثير بك الحمية
فلسان تغرك لا يفيد الناس في حل القضية
لغة الرصاص هي الفصيحة حة واللسان هو المطيبة²

حمل العبوشي على حكام الأمة العربية لأسباب كثيرة؛ منها ضعفهم وهوانهم وقلة حيلتهم في مقارعة الأعداء، فكانوا سببا من أسباب ضعف الأمة، وتجريدها من بهاء الانتصارات التاريخية التي عرفوا بها، فورثوا الملك من الآباء والأجداد العظماء لكنهم هانوا فأهانهم أعداؤهم:

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 317-318-319.

² نفسه، ص 301.

الوافر

وما قدرَ ابن يعرب سر ملك توارثه من الله الحميد
تسلمه أبوه وكان شهما فسلمه إلى عبد بليد¹

ينظر العبوشي إلى الوطن العربي على أنه وطنه الكبير، فلا فرق بين فلسطيني وأردني، وعراقي وشامي، لهذا يظهر التداخل بين الشعر الوطني والشعر القومي في الأعمال الكاملة للعبوشي، لكننا سنضع حدودا فاصلة بين الوطنية والقومية؛ فالقومية هي حب الأمة والشعور بارتباط باطني نحوه، والوطنية هي ارتباط الفرد بقطعة من الأرض تعرف باسم الوطن.²

"فالعبوشي عصبِيّ في قوميته، يؤمن أشدّ الإيمان أن السياسة الاستعمارية بفلسطين، ليست إلا حربا صليبية، وهو لا يؤمن بالسياسة والدبلوماسية، أو يعترف بهما، ولا يؤمن بالمعاهدات والمفاوضات، فهو رجل حرب، وجندي وطن، ولا غرو في ذلك، فهو يعتقد اعتقادا جازما أن لا حلّ لقضية البلاد إلا عن طريق الثورة، والثورة لا غير"³.

كان العبوشي "متقفا وواعيا، ومدركا لما يدور حوله من مؤامرات على وطنه، وكان يدعو لتجسيد الوحدة العربية، كي تتحطم عليها كل المؤامرات الرامية لاحتلال الوطن"⁴، يقول العبوشي في قصيدة "أبشر يا وطن العروبة":

الخفيف

ليبك سيضـرمها بطل عربيّ الثار أيـا وطني
فتـرى أعلامك خافـقة من أرض القدس إلى عدن⁵

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 86.

² انظر: الحصري، ساطع، آراء و أحاديث في الوطنية والقومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984م، ص 9.

³ عبد الستار، إبراهيم، شعراء فلسطين العربية في ثورتها القومية، نادي الإخاء العربي، حيفا، 1947م، ص 57.

⁴ الخواجا، علي، برهان الدين العبوشي، ص 6.

⁵ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 92.

وها هو ذا العبوشي يذكر مشاركة الإخوة العرب في التضحية والاستشهاد في سبيل فلسطين، من حيث هي حقيقة واقعة تستحق الإكبار والإعجاب، فينوه بأربعة شهداء، كل واحد منهم من قطر عربي:

الكامل

هذي قوافلنا التي نزهو بها خطت لأمتنا العلاء بدمائها
هذا عراقي وهذا أردني قد أبلى الله في أعدائها
انظر إلى السوري يطفح نوره وإلى فتى لبنان سيف إبانها
لا تعجبوا هذي فلسطين لنا وجميعنا نفى لأجل هئائها¹

القومية العربية تشكل رمزا من رموز العزة والأنفة عند العبوشي، فنراه يفاخر بعروبته، ويباهي بانتمائه لبني العرب الذين منهم الرسول محمد - صلى الله عليه و سلم- والذين تعود أصول عائلته (العبوشي) إليهم²:

الرميل

أنا قومي وقومي أنا
أنا قومي وجدي يثربي أرحم الخلق وذا خلق أبي
رايتي لا يعتليها أجنبي نسجتها كف حرّ يعربي
أنا قومي وقومي أنا
أنا قومي من العرب الأباة كيف ينسى الحرّ في الضيق أباه
أمي الفصحى بها نال مناه هادم العزى وأودى بعداه
أنا قومي وقومي أنا³

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 397.

² يعتقد أن أصول عائلة العبوشي من الجزيرة العربية ومن (نجران) اليمنية تحديداً. رسالة من سماك برهان الدين العبوشي، بتاريخ 16-5-2011.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 320.

من هنا لم يقف العبوشي في شعره عند وطنيته، بل اتسعت دائرة شعره لتشمل القومية العربية التي يفخر بالانتماء إليها، فقد كان العبوشي سابقا إلى الدعوة للوحدة العربية التي تمثل حلمه وحلم كل المخلصين من أبناء هذه الأمة، يقول العبوشي في قصيدة "كنت سهما":

الرجز

انظر إلى الأفلاك في جوف السما	تلتف حول الشمس كونا مفردا
وانظر إلى طير السماء كتيبة	وأمامها فرد يطير مفردا
ترتاد دفء الأرض وهي جماعة	جعل الإله لها المحبة موردا
فإذا دهاها النسر لفت حوله	ورمته بالمنقار سهما مصردا ¹

ونراه يتغنى بأمجاد العروبة التليدة، وفعالهم الحميدة، ويحثهم على سرعة الوحدة ورص الصفوف، تظهر تلك الدعوة في غير قصيدة من قصائده ومن ذلك "الوحدة الكبرى":

مجزوء الكامل

يا إخواني في القدس	إخوان الكنانة والعراق
والمغرب الأقصى وصنعا	ربّة الخيل العتاق
قد حن قلب اليعرب	ي إلى التعانق والتلاقي
والروح عافت نأيها	والدمع جفّ من المآقي ²

ونراه يذكر الأمة بأيامها الخالدة ويطالبها أن تتعظ وتعتبر من سالف الأيام، فالسعيد من اتعظ بغيره، ثم يدعو الأمة أن توحّد الصف لتكون على قلب رجل واحد، المغربي مع الأردني مع الفلسطيني مع العراقي...

البسيط

فيوم بدر وحطين لهم عبر	وهل يساوي أخا بدر أخو كفر؟
إخوان بدر تراهم في سويسهم	وفي دمشق وبغداد مع النذر
وفي فلسطين نذكيها ونقحمها	كأنها عرسنا عنت على وتر
حي المغاربة الأبطال قد ربضوا	وأسد عمان فوق المسلك الوعر

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص262.

² نفسه، ص213.

وحي بغداد قد ثارت أشاوسها أرضا وجوا وهزت راية الظفر¹
إن المتفحص لشعر العبوشي يجده تارة يمدح العرب وتارة يذمهم؛ فهو إن تحدث عن
العرب كأمة نراه يمدحهم ويجزل في مدحهم؛ لما قدّمته الأمة العربية من دعم لصمود الشعب
الفلسطيني، لكنه إذا تعرض لذكر زعماء العرب فإنه يهجوهم بأفطع الكلمات، فهم زعماء زور
وبهتان، باعوا البلاد لقاء دريهمات، انظر إلى ما أورده في قصيدة "إلى الحرب":

الخفيف

قل لمن يدعي الزعامة زورا أي نفع جنيته للعباد
بعث شعبا وأمة وبلادا بأمان مصيرها للفساد²
أما شباب العروبة فهم أمل الأمة، وجيل المستقبل، عليهم يتوقف تحرير الوطن، ورد ما
اغتصب منه إلى أهله، لا بالمعاهدات والحلول، بل بالقوة والجهاد:

الخفيف

سر إلى الحرب يا شباب وناد كل ليث فدى العروبة صاد
يا شباب البلاد ماذا ترجي أي عيش تعيش يا ابن البلاد
أين نفس ورثتها عن أباة أين عزم ورثته عن إباد
دوحة الجد أهملت فتداعت قم تعهد غداءها بالجهاد³
أما عن الأمل بالنصر رغم كل المصاعب، فله مكان، ومكان كبير في شعر العبوشي،
فالإعصار - جيش العروبة- قادم وسينسف كل الحصون التي بناها العدو لحماية نفسه،
وسيزيقهم من نفس الكأس التي شرب العرب منها، يقول العبوشي مخاطبا أعداء الأمة الذين
شردوا أهل البلاد في قصيدة "الله جل جلاله":

مجزوء الكامل

يا مجرمون ترقبوا غضب الإله يحل غد
وترقبوا جيش العروبة يوم ينسف كل سد

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 289.

² نفسه، ص 324.

³ نفسه، ص 323-324.

ويهـب كالإعصار يقذف بالعقيدة مَن فسـد
لتذيقهم ما قد أذاقونا بأكواب الكمـد¹

ولم ينس العبوشي القسام وجماعته، الذين تجمعوا من كل حـدب وصوب ، من كل أقطار
البلاد العربية، نفشت فيهم روح العروبة، ونمى القسام في نفوسهم حب الشهادة، فتنادوا إلى
ساحات الوغى في فلسطين، باعوا نفوسهم رخيصة في سبيل الله، من أجل تحرير فلسطين
ليكونوا شوكة في حلق المحتلين:

الكامل

تبـنى الممالك بالنجيع وتفتدى بجماجم وتـصان من عنت الردى
يا عـصبة القسام لولا عـزة في النفس ما ثـرتم تلبون النداء
ثرتم على كيد الغريب لنجدة الوطن السليب وعادة العرب الفدا
وغضبتم لله غضبة مؤمن في دينه والله خير منجدا
يا من يقدم للبلاد حياته أكرمت محتسبا وعشت مخلدا²

إن القومية عند العبوشي ليست تلك القومية الضيقة التي تبعث على الانغلاق عن العالم،
بل القومية المستمدة من القرآن الكريم، يظهر لنا ذلك من خلال قصائده التي يدعو من خلالها
أمتة إلى التمسك بالقرآن الكريم منهاجا لحياتها، فنراه يدعو العرب إلى نبذ الخلافات والتمسك
بكتاب الله تعالى حتى يتخلصوا مما حلّ بهم من أرزاء، يقول العبوشي في قصيدة "الله جل
جلاله":

مجزوء الكامل

لا تحسبوا عزم ابنـ يعرب قد تبلى أو جمـد
فلدى العروبة دينها نجم الفداء به صـعد
والله ينصـرنا علـيكم مَن سعى خيرا وجـد³

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص315.

² نفسه، ص231.

³ نفسه، ص315.

ولا يخلو كتاب الأعمال الكاملة للعبوشي من قصائد يمدح فيها الشعوب العربية الأبية،
الشعوب التي أخذت على عاتقها سدّ الثغرة التي تركها الحكام خلفهم في خاصرة هذه الأمة، فأخذ
العبوشي يمدح الشعوب الشامية والعراقية والمصرية...

الكامل

أحنو وأجلو للشام وأسجد	مالي إذا ذكروا الكرام ومجدوا
والنيل والحرمين لا أتردد	مستلها حب الشام ودجلة
لبطولة العربي إن مدت يد	ما بورسعيد ولا جنين سوى سنا
والبلبل العربي عاد يغرد ¹	تجد الأخوة والفتوة والصفاء

ونراه يمدح الجيش العراقي على وجه الخصوص، فالجيش العراقي قاتل باستبسال
لحماية مدينة جنين من برائن اليهود، وقاتل العبوشي مع إخوانه العراقيين لحماية مدينته جنين،
يقول في قصيدة "جيش العراق":

الكامل

لما رأيته واستراح جنانيا	قد بسملت شفتي وسبح خاطري
نظرت إليها المثلقات روانيا	لم لا وأنت من النبي بقية
نهج النبي وكن لشعبك بانيا	عوفيت جيش الأكرمين فسر على
وأزف للوطن الغريق تهانيا ²	فوقفت في (جينين) أعلن سيركم

ولم ينس العبوشي مدح شباب مصر الذين ناصرُوا إخوانهم في فلسطين، فجادوا بأعلى
ما يملكون لنصرة فلسطين وأهلها، ودافعوا عن وطنهم مصر في أكثر من حرب ضد الإنجليز
واليهود والفرنسيين، يقول في قصيدة "فلتحيا مصر":

الكامل

من ذا الممدجج بالسلاح من ذا المهرول للكفاح

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 233.

² نفسه، ص 218 - 219.

من ذا الذي لبس النطا ق وصاح حي على الفلاح
فإذا تكلم خرت ال خطبا سجودا في البطاح¹

وفي قصيدة "مصر" يعدد العبوشي الروابط التي تجمع مصر بالدول العربية المختلفة،
ويشير لدور مصر العظيم في الدفاع عن بلاد العرب قاطبة، ويردد آيات المدح والثناء لمصر:

الطويل

سنا المجد والعلواء في النيل بارقُ وجو المعالي من سجاياه رائق
فلا شبل كابن النيل في حبّ يعرب ولا مثل عز النيل تحوي المفارق
ففي عزّها عزّ لنا لا نبيحه ومن خيرها خير على العرب دافق
يوحدنا التاريخ والدين والحجا وإنّي بجمع الشمل لله واثق
فنرفع شبل النيل للأفق ظافرا وتسعى فلسطين لمصر تعانق²

وكان للجزائر بريق في شعر العبوشي إذ مدح شعب الجزائر بأكثر من قصيدة، فوصف
نضالهم ضد الفرنسيين، وإقبالهم على الموت فداء لبلادهم، يقول في قصيدة "أنجدوا الجزائر":

الكامل

في المغرب الأقصى تأجج نار وتكلم الرشاش والبتّار
وتضخم العربي في ساحاته بشذا النجيع وجندل الأحرار
يمشون للموت الزوام كما مشى أجدادهم والطارق المغوار³

ثم أخذ يصف حال بلدان المغرب العربي، وهي تقاسي ويلات الاحتلال، وتناضل من
أجل الحرية والاستقلال، ويطلب في شعره النجدة لهذه الدول؛ المغرب والجزائر وتونس:

الكامل

مراكش تسعى وتونس أعولت وابن الجزائر سامه الجزار
وأنا وأنت هنا نعافر خمرة أفلا يحركننا دم أو دار

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص111.

² نفسه، ص113-114.

³ نفسه، ص101.

أما عن الأنظمة العربية فقد صبّ العيوشي جامّ غضبه عليها، فهي سرّ الهزيمة النكراء التي حلّت بفلسطين، فقد تخاذلت ودبّ الشقاق بين صفوفها وكونت الدول العربية حلفين أحدهما عدو للآخر، فانتهز اليهود هذه الفرصة واستباحوا البلاد، ظهر ذلك جليا من خلال حوار ملؤه الأسى والحسرة دار بين شخوص مسرحية شبّح الأندلس.

الشاعر: الذنب ذنب العرب كلهم فلا	تنسوا خلفهم المشين المزدري
أمسى يقاتل كل جيش وحده	متنابذين وعين صهيون ترى
محمود: لو أنهم دحروا العدو وهيمنوا	في الأرض ما عبَّتُ الخلاف المنكرا ²

الوافر

خليــــل: لقد عجلتم
محمود: أحقا راية العربي تطوى
وما زالت سرايا الخصم تغشو
إلى أين الرحيل بنى أبينا

ولم تفرح بكم شمس الأصيل
وما زال الأعادي قيد ميل
بأرض الله والوطن الجميل
أخفتم صولة الخصم الذليل⁴

64

ثم يصف العبوشي جيش الإنقاذ الذي أسسته جامعة الدول العربية، فقد منع هذا الجيش تسليح المواطنين لأنه سيقوم بحمايتهم من اليهود، فسقطت المدن الواحدة تلو الأخرى وكأن الأمر متفق عليه مع اليهود، فكان ذلك أشد ما فجع به الناس، وأخذت الأنظمة العربية تغطي تقاعسها وتخاذلها عن نصرة أهالي فلسطين بالوعود والتظاهر، والخطب والحماس في الإذاعات، فندد العبوشي بهذا الموقف¹، يقول العبوشي في مسرحية "شبح الأندلس":

مجزوء الوافر

مضت صفد وحيفا	ثم يافا منتهى حبي
وما زلنا هنا ندعو	إلى الحرب إلى الحرب
فهرب الناس كلهم	وكل الخير في الشعب
وباعوا الدار والمرعى	ولم يبقوا سوى الثوب
فلم نجد السلاح وما	تفيد حماسة القلب ²

ولا أنسى في هذا المقام أن أذكر المقارنة التي عقدها العبوشي بين جاهزية اليهود للحرب، وجاهزية العرب لها كما وضّحها العبوشي بمسرحيته الشعرية (شبح الأندلس) وعلى لسان شخصها:

الطويل

محمود (للجميع): علينا بهم	
الشاعر: هيا	
داود: أعدوا سلاحكم	
عبدالله: وهل هم سوى أطفال صيد تلتثوا	
داود:	
كذلك كانوا غير أن أمورهم	بأيدي رجال علموهم ونظموا
ونحن ولا يخفى عليك كما ترى	نذود ولا رأس يقدود ولا فم
إذا نحن قاتلنا فللدين والبقا	فهيا اشتروا الأوطان مهما غلا الدم ³

¹ انظر: الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص 215.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 441.

³ نفسه، ص 463.

المبحث الثالث: الشعر الاجتماعي

لم يقف العبوشي في شعره عند الموضوعات الوطنية والقومية فحسب، بل جادت قريحته بأغراض الشعر؛ الوطني والقومي والديني والاجتماعي...، فجاء شعره معبرا أصدق تعبير عن طبيعة الحياة الاجتماعية في عصره.

نظر برهان الدين العبوشي إلى بني وطنه فرأى جلّ مجتمعه يقاسي ويلات الظلم والحرمان، تتحكم في أرضه فئة قليلة من الإقطاعيين والمتعاونين مع الاستعمار والاحتلال، وكان الفقر وضنك العيش سمة ملازمة لشعبه، فنظم شعره متمردا على شتى أنواع الظلم الاجتماعي التي كانت تسود مجتمعه في تلك الفترة. "والشاعر حينما يتصدى لأحد المظاهر التي تبدو شاذة غير مألوفة في مجتمعه، إنما يهدف إلى الإصلاح، والتوجيه، ورسم معالم الطريق السوي"¹، يقول العبوشي في قصيدة "قيم افتخارك":

مجزوء الكامل

فـيـم افتخـرت أبـالمهـانـة	والجـهـالـة والجـمـود
سـبـعون مـليـونـا قـد	امـتـثـلت سـجـودا لـلـيـهـود
ذـبـحـوا نـسـاك الفضـليا	ت الـعـرـبـيـات الجـدود
والطـفل فـوق نـهـودـهن	مُضـرَّجٌ بـدم الشـهـيد
يـصـرخـن وـا عـرـبـا فـصـاح	العـلـج قـومـك فـي اللـحـود ²

"وبدافع من الحرص الوطني، راح العبوشي يقدم نقدا ذاتيا للواقع النفسي المصاب بالضعف والتخريب والجهل"³، فالعبوشي يصف ضعف الحال، وقلة الحيلة، فقد أصبح اللاحقون يهدمون ما بناه السابقون، يقول في قصيدة "بيسان قبل ضياعها":

¹ عليان، محمد شحادة، الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث، ط1، 1978م، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ص255.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص78.

³ الشعر الفلسطيني الحديث، ص34.

الكامل

تلك العروبة قد بنت وبنائها
أضحى يهدمه بنوه فحسرة
يا حسرتا للحي ينظر قبره
(السبيبة)¹ الخضراء أضحت مسرحا
عالي الذرى فانظر إلى البنيان
فكأنما قد شيد للغربان
ويتيه حافر قبره بأمان
لكلابهم يا ذلة الفرسان²

في غمرة الأحداث الجسام كان لزاما على الشعراء أن يضطلعوا بدورهم، فيخففوا معاناة شعبهم، ويعلوا من همته، فوجد الشاعر الفلسطيني نفسه مضطرا إلى أن يسخر شعره ل"فضح الحكام ومهاجمتهم وإعلان النقمة عليهم، وعلى عرض صور المأساة، وحياة اللاجئين في مخيماتهم، وبكاء البلد الضائع، وبث روح الاحتمال والأمل، وخلق العزم والتفاؤل لدى أبناء وطنه استعدادا للجولة الثانية"³، انظر إلى صورة اللاجئين الفلسطينيين بعد النكبة، وروح الألم تغلف حياتهم، يقول العبوشي في قصيدة "الفداء":

الكامل

أفلم ير الآلاف لفهم العرا
كم درة مكنونة قد شردت
كم من وجيه شاب وهو معزّز
قد شردوه ورنلوه وأزهقوا⁴
وفؤادهم متمزّق يتفتق
ترجو الطعام ومن حياء تطرق

ثم لا ييأس الشاعر مما لاقاه أبناء جلده من أسى ومهانة وتشرد، بل يدعوهم إلى الصبر، ويدعو العرب إلى التوحد لدفع الخطر، حيث يقول في نفس القصيدة:

الكامل

فانهض فإنك قد خلقت لمعمع
فمتى أرى علم العروبة واحدا
إن المناصب للبطولة مزلق
من تحته جيش الفدا يتدفق

¹ قطعة أرض دائمة الخضرة، مرحت فيها خيول خالد بن الوليد يوم فتح بيسان.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص54.

³ شعر المقاومة الفلسطينية - دوره وواقعه في المنفى 1948-1967، ج3، ص31.

⁴ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص257-258.

إن الفداء أجل فضل يبتلى فيه الإباء والعز فيه يشرق¹

أما عن دعوته أبناء قومه من اللاجئين للصبر، فمبعثه أنهم ليسوا وحدهم في الميدان، بل هم جزء من أمة، وستستفيق هذه الأمة في يوم من الأيام لتعيد الوطن السليب إلى أهله، يقول في قصيدة "يا أخي اللاجئ":

الرمل

يا فتى المقدس اصمد للأذى	كن حديدا حاميا قلبا ويد
واحمل النفس على الصبر فما	ينفع البأس إذا الصبر نفذ
أيها اللاجئ يا كبش الفدا	أنت علمت الورى الجود فجُد
لا تقل إنني غريب ها هنا	إنما أنت أصيل من (معد) ²

"لقد تناول الشعراء بنقدهم البخلاء، والأثرياء الذين يضمنون بأموالهم على الفقراء، وعلى أعمال البر والخير، وحملوا على المنافقين والمتكبرين"³، فهذا العبوشي يشن حملة إعلامية شعواء على أولئك الذين ينفقون أموالهم هنا وهناك على الفتيات اليهوديات، ويتركون اللاجئين الضعيفات دون أن ينفقوا عليهن شيئا ولو بسيطا، انظر الى قصيدة "قيم افتخارك":

مجزوء الكامل

قل أين حيَّ على الصلاة	وأين إيتاء الزكاة
أعطيتها للزانيات	وما خجلت من البكاة
ومن الحفاة، من العراة	العائشين على الفتات
ومن البنات الطاهرات	الفاتنات التائبات ⁴
الهائمات النادبات	الصابرات المؤمنات ⁵

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 258-259.

² نفسه، ص 70-71.

³ الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص 255.

⁴ المقصود من هذا البيت الفتيات الفلسطينيات اللاجئات اللائي ذلن بعد عز.

⁵ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 78.

لقد كانت فاجعة سقوط المدن تهزّ العبوشي، ومن ذلك سقوط اللد والرملة، فتوجع برهان الدين العبوشي لمصير البلدين وأهلها بحرارة وألم، وبكى بيأس ومرارة لما حل بهما من التعاسة والشقاء، وما نكبوا به من الذل والتشريد، كما صورها العبوشي بلسان شخص مسرحيته الشعرية "شبح الأندلس":

الوافر

الشاعر:

لقد عَفْتُ القتال وعَفْتُ نفسي	وعَفْتُ العرب والوطن المبيعا
فهذي (الرملة) البيضاء ضاعت	بلا حرب ولم تقبل خنوعا
فدافع أهلها عنها وثارت	كرام اللد قد أنفوا الهجوعا
تعالوا فانظروا تسعين ألفا	بلا مأوى قد افترشوا الربيعا

صالح:

فكيف يطيب للعربي عيش إذا فقد الأحبة والربوعا¹

ولم يكتف اليهود بطرد الفلسطينيين من أرضهم وقراهم بالقوة، بل ارتكبوا المجزرة تلو الأخرى وذلك من أجل إلقاء الخوف والرعب في قلوب السكان، وحملهم على الفرار من بلادهم خوفاً، ومن أهم هذه المجازر؛ مجزرة "دير ياسين"² وقد قتل فيها نحو مائتين وخمسين فلسطينياً، وإلى هذه المجزرة أشار برهان الدين العبوشي في مسرحية "شبح الأندلس" قائلاً:

الكامل

وبدير ياسين مذابح قد جرت فيها دم الشهداء كالأنهار³

ولم يكتف العبوشي بوصف المذابح التي ارتكبتها العصابات الصهيونية ضد أبناء شعبه، بل وصف الجرائم الوحشية التي كان الإنجليز قد ارتكبوها، يقول في قصيدة "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين":

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 490.

² حدثت في بلدة دير ياسين غربي القدس في 9 إبريل عام 1948م على يد العصابات الصهيونية.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 439.

البسيط

أرهقتمونا وقربتم مناياتنا واليوم تبغوننا ننسى ضحاينا
لم تتركوا فوقها أنثى ولا ذكرا إلا قتلتم له أهلا وأخدانا¹

وبقدم العبوشي صورة مظلمة لما آلت إليه الأمور بعد النكبة، فقد تغير وجه الأرض،
وأقمرت الديار، وتزعم الطاغوت البلاد، وانتشر الهم والأسى، وغمت القلوب:

الطويل

تغير وجه الأرض واشتط حكمها وأقفر ناديها ومئسها ولى
تزعمها الطاغوت فالحق واجم وحاكمها باغ ومحكومها مولى
تلبّد في أحشائها الهم والأسى وأمن فيها فهي من غيظها حبلى²

وسادت البلاد الفوضى والشقاق، وامتدت الخصومات، فدعا العبوشي إلى توحيد الكلمة،
ورصّ الصف الوطني، وتأليف القلوب، جاء ذلك في قصيدته "استفيقوا":

الكامل

هذا الدخيل لقد تربص أن يرى فينا الشقاق ليستبد ويظلمنا
فلم التناذب والشقاق وافقنا من جهلنا أضحى علينا مظلمنا
ضاع الذي قد ضاع فليبق الذي يؤوي حفيدكم إذا ما يتمنا³

ولم ينسّ العبوشي فئة الإقطاعيين وملاك الأرض من النقد، فقد "أنكر على الطبقات
العليا استغلالها جهود الشعب، وابتزازها أمواله، ويصمها بالسعي في هلاك الشعب واستعباده،
فالعبوشي يهاجم الإقطاع بصراحة، ويدعو إلى سقوطه وتحرير الفلاح من رقّه، ويرى فيه أصل
البلاء، ويحمل على الطبقة الإقطاعية، فيحرم استعبادها الفلاحين واستغلالها إياهم على لسان
فلاح فقير"⁴:

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 119.

² نفسه، ص 175.

³ نفسه، ص 163.

⁴ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص 101.

الكامل

كأنّما الموسر المغرور طينته من غير طينتنا فاحتال واحتقرا
يا أمتي إنما الإقطاع آفتنا متى أراه تولى عنك واندثرا
كنا عبيدا به والرق حرمة رب البرية والإنسان ما ازدجرا
فليسقط الرق وتسقط حكومته ولتعل حريّة الفلاح والفقرا¹

ثم يعقد العبوشي مقارنة بين حال الفلاحين الفقراء، وحال الإقطاعيين ملاك الأرض، فيظهر البؤس والشقاء في بيت الفلاح المسكين، وتظهر السعادة والنعيم في بيت الإقطاعي الثري فيكشف وجه الاستغلال، هذا ما يظهر من خلال قصيدة "أيها الشعب":

مجزوء الكامل

فلاحنا في حقله يش قى ومثرينا بأنس
والعامل الجبار يد أب في الشقا يغدو ويمسي²

ثم ينكر العبوشي على الإقطاعيين النهب والاستغلال والابتزاز، ويعزز دفاعه عن الفلاحين، وهذا يدل على صدق تجربته الطبقية، وانتمائه بإخلاص إلى الفلاحين³، يقول العبوشي في مسرحية "وطن الشهيد":

الرمل

نحن أبناء القرى منا الفدا وعلينا أن نلبّي المطلب
نحرث الأرض ونرعى زرعها وعلى ذنب الحمى أن ينهب⁴

ولأنه شاعر شابّ كان متفهما لحاجات الشباب، فدعاهم إلى التسلح بالعلم والأخلاق الحسنة، وحفزهم لمحاربة أعداء الأمة، وعدم اليأس والقنوط، فقد ظلّ العبوشي "يخاطب فتية

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 34-35.

² نفسه، ص 154.

³ انظر: الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص 101.

⁴ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 402.

العرب أن يغسلوا العار بالدم، وإلا خسروا الباقي من أوطانهم، لأن أطماع اليهود تتمدد على الأرض كلها"¹، تتجلى هذه الدعوة في قصيدة "دعانا النفير":

المتقارب

تَجَلَّى الشَّبابُ وَرَفَّ الْعِلْمُ تَلُوحُ عَلَيْهِ رَمُوزُ الْهَمِّ
عَبِيرُ الْجِهَادِ وَعَزَمُ الشَّبابِ وَحُبُّ الْحَصِيدِ وَخَطُّ الْقَلَمِ
دَعَانَا النَّفِيرَ فَتَرْنَا إِلَيْهِ نَصُونُ الْحُدُودَ وَنَرَعِي الزَّمَمَ²

وقد حارب العبوشي في شعره آفات الشباب التي كانت تحول دون قيامهم بمهامهم على أكمل وجه، ومن هذه الآفات التدخين، يقول هائل لمارد - وهما من أشخاص مسرحية الفداء -:

الوافر

هائل لمارد: دع التدخين فهو لنا عدوً
ضرار: ويفضحنا وقد وجب الخفاء
مارد:

صَدَقْتَ فَإِنَّا فِي حَالِ حَرْبٍ فَلَا هَزْلَ وَلَا نُورَ يَضَاءِ
يَضِيقُ الصَّدْرَ مِنْهُ إِذَا سَعَيْنَا وَكَيْفَ تَحِبُّ شَرًّا وَهُوَ دَاءُ³

وكذلك الخمرة التي تذهب بالألباب وتقتل القلوب، وتجلب الفواحش، حيث تقول فاطمة لعياض - في مسرحية الفداء -:

الوافر

فاطمة لعياض: ولا تنس الخمر وما إليها يضيع السر فيها
عياض:
والإباء
سعيد: وتقتل قلب شاربها فكونوا على حذر وعندكم الذكاء

¹ شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في المنفى 1948-1967، ج3، ص49.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص320.

³ نفسه، ص579.

هائل: معاذ الله أن نرضى رقيقاً يعاقرها ويغريه البغاء¹

ولم ينسَ العبوشي ظاهرة الفقر التي كانت منتشرة آنذاك، بين طبقة الفلاحين والعمال، فقد عاب على أبناء وطنه إغراقهم في اللذات بينما إخوانهم يتضورون جوعاً:

مجزوء الكامل

يا آكلاً مال الفقير يا راقداً فوق الحريـر
أنسى لعيشك أن يطير ب وذا أخوك على الحـصير
تمسي و تصبح في اللذائـذ وهو في العيش المـريـر²

وقد ألقى الفقر بظلاله على بعض طلاب العلم، حيث سأل برهان الدين العبوشي عن أسباب تغيب أحد طلابه النجباء عن مقاعد الدراسة مدة طويلة؛ فقبل له أن ذلك الطالب قد غيبه موت والده وما تبع ذلك من الجوع والفقر، فأسف العبوشي على ذلك الطالب:

البسيط

رأيتُه مَكْفاً في جلد إنسان في وجهه صفرة المحموم والعاني
في كفّه قلم كادت أنامله تلقيه من فرط إعياء وخـذلان
يقلب العين في الأوراق يدرسها فينتهي وكأنَّ الحرف حرفان
وكان في الأمس ذا جدّ وذا جلد يجود إن نطق الفصحى كسحبان
سألت عنه فقالوا مات والده فبات في شظف مرّ وحرمان
الجوع أقعدهم عن نيل غايتهم ولو أُغِيثُوا لكانوا خير إنسان³

وقد ألقى العبوشي باللائمة على الاحتلال وأذنبه في تسميم الأجواء الأخلاقية بما يفسد نقاءها ورونقها، فالشباب رمز العزة والفتوة، أصابهم الوهن والضعف، وأعرضوا عن الاهتمام بشؤون الوطن المسلوب، وأقبلوا على الغواني، فأخذ العبوشي في قصائده يصف تلك الفئة من الشباب، يقول العبوشي في قصيدة "تمادى الليل":

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 579.

² نفسه، ص 154.

³ نفسه، ص 90.

الوافر

تمادى الليل واستهوى حناني
تقلبني الهموم على فراشي
رمانا بالخبائث والبدنايا
وزين للشباب الخُبث حُسنا
وصرت ترى الفتى يختال عجا
يرخم صوته ويميس دلا
فبتُ أعد للصبح الثواني
فريدا والشباب مع الغواني
ودنس فيه أخلاق الحسان
وما علموا بأن الخُبث جان
بمفرقه وألوان الدّهان
كأنثى تستعد إلى قران¹

ثم ينصح الشاعر الشباب للتخلص من آفة فساد الأخلاق، واتباع الغواني، أن يلجؤوا
للزواج من الفتيات الشريفات العفيفات، حيث يقول العبوشي في نفس القصيدة:

الوافر

إذا ما اخترت عرسك ذات يوم
فزوجك نصف كونك إن توفق
فخذ من قد حوت شرف المعاني
فقد أنجيت نسلك من هوان²

ولم ينس برهان الدين العبوشي في شعره الاجتماعي أن يؤرخ للقضايا الاجتماعية
الشخصية، فقد نظم الشعر بمناسبة ميلاد ولَدَيْهِ "سماك وحسن"، فبعد عراك طويل مع الحياة،
وتقلب على قتاد الشعر والنفي والتشريد، وبعد سهر طويل، وعذاب مرير، وجهاد عظيم بالنفس
والنفيس على المكاره والحرمان في سبيل العروبة والاسلام، وقع برهان الدين العبوشي على
نصفه الضائع عام 1952م، وإذا به يستقبل مولودا ذكرًا عام 1953م،³ يقول العبوشي في قصيدة
"سماك العبوشي":

الكامل

ولدتك أمك في الربيع فهل تكون لي الربيعا
ولدتك أمك وهي في فك الردى تذري الدموعا

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص312.

² نفسه، ص312.

³ انظر: نفسه، ص93-94.

ولدتك فاستقبلت بالبشرى وبؤنت الضلوعا
فعلى جبينك صورة الجندي قد شرب النجيعا
وعلى محياك الهداية صيرتك فتى رفيعا
فاعلم وكن للعرب يا ابني الدرع والحصن المنيعا¹

وكذلك نظم العبوشي قصيدة "ولدي حسن" وهو ابنه الثاني، وكان الشاعر حينها يُدرّس في مدينة النجف العراقية، وأظنّ أنه سماه "حسن" تيمنا بالحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما -، فسيدنا علي يرقد في مدينة النجف، وقد ذكر لي سماك العبوشي أن والده سمّى ابنه الثاني (حسن) احتراماً وتقديراً من والده الشاعر الراحل لاسم جده حسن قاسم العبوشي وإكراماً له، وهي عادة اعتاد عليها أبناء العروبة في تسمية أبنائهم باسم آبائهم وأجدادهم²:

الرمّل

حسّن هل فأرحب بالحسن	إنّه نور مبيد للـحزن
لاح كالومضة في جوف الدجى	فرايت البشر فيه والمنن
وقرأت الـيُمن في غرّته	فهفا قلبي إلى قلبي وحن
فارح حقّ الله في الأهل وسر	في طريق العرب درعا للوطن ³

وأخيراً فإنّ "الشعر الاجتماعي رسالة تنبثق من رسالة الأديب في المشاركة الوجدانية في أحداث الأمة وأمانيتها وآمالها وهمومها في كل المجالات ...، وهذه المجالات على تنوعها وتباينها تحتاج إلى ذلك الشعر الذي يعيش الحياة وللحياة، وينفعل بالأحداث، ويصور تلك الأحداث، ومن هذا المفهوم الاجتماعي للكلمة يصبح الشعر الذي لا يحمل رسالة ولا يخدم هدفاً اجتماعياً- يصبح نوعاً من الأصوات المجردة"⁴.

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص94.

² رسالة الكترونية من سماك برهان الدين العبوشي بتاريخ: 14-7-2011.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص126.

⁴ الفار، مصطفى محمد، الشاعر أبو سلمى أدبياً وإنساناً، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1985م، بيروت، لبنان، ص75 .

المبحث الرابع: الشعر الديني

ينطلق الشاعر في الاتجاه الديني من تصور ديني في نظرته إلى الكون والإنسان والحياة، وفي نظرته إلى القضايا والأحداث، والأشخاص والمشكلات، وفي تعبيره عن العواطف والمشاعر¹، والأشعار الدينية حاضرة بكثرة في شعر العبوشي، ومن ذلك قصيدة "يوم النبي" حيث تغنى بعزة الإسلام، وتمازج هذا الدين:

الكامل

الله أكمل دينه وأتمها	نعما تفيض وعزة تتألق
هي عزة الإسلام لا عوج بها	دان الغروب لها ودان المشرق
سسنا بها الدنيا وسسنا ملكها	سل قيصرا والفرس أنى أزهقوا
فيها كتاب الله ينظم عقدنا	كسلاسل الدرع لا تتشقق ²

ومن ذلك قصيدته في مدح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "رسول الله البطل الخالد" حيث يقول:

الطويل

تغلغل في قلبي الندي حُبُّ (أحمد)	فَحِرْتُ بِأَيِّ اللَّفْظِ أَمْدَحُ سَيِّدِي
وماذا ترى أجزي الذي ردد اسمه	مع اسم إله الكون عند التشهد
لقد غنت الورقاء شوقاً لذكره	وعيش الفلا حنَّت وهامت بأحمد ³

ثم ينتقل العبوشي في أبيات رائعة من نفس القصيدة ليصف القرآن الكريم، فهو ينبوع العلم والهداية، وهو الفرقان، بل مصدر الحق سرمدي:

الطويل

كتاب هو الفرقان ما بين ظله وحق وإن الحق فيه لسرمدي

¹ عطوات، محمد، الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني المعاصر، www.bab.com .

² فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 127-128.

³ نفسه، ص 322.

كتاب هو ينبوع للعلم والعلی هو النور يفضي للطريق المعبد¹

ثم يبين فضل القرآن الكريم على الغرب قبل الشرق، وعلى الأعاجم قبل العرب:

الطويل

فلولاه ظل الغرب في غربه غبي ولولاه ظل الشرق في شرقه صدي
ولولاه ما قامت ليعرب دولة تسامت بها الدنيا وسارت لفرقد²

"كان برهان شابا وطنيا متدينا، امتازت ثقافته بطابعها الديني، ويظهر ذلك جليا في شعره.. ومن ذلك قصيدته "في الرسول" التي نظمها بمناسبة الإسراء والمعراج، وهي أقرب ما تكون للنشيد"³:

في البكور في حمى الكعبة طاف نور
يستجير أمتي أمتي يا غفور
انصر المؤمنين واحفظ المسلمين
من أذى العابثين يا إلهي الرحيم
أمتي قد تولى الغريب قبلتي
فاتبتي للزمان المريب اثبتي
أبشري لن يسود في حمانا اليهود
اقصفي يا رعود واخفقي يا بنود
وازحفوا يا جنود واسعدوا القديم⁴

ومن إبداعاته الشعرية الدينية تضمين شعري على وزن واحد وقافية واحدة لأسماء سور القرآن الكريم، اقتبس أبياتها من سور القرآن الكريم كلها، ووضع اسم كل سورة عنوانا لببيت أو أبيات شعرية اقتبسها من السور "والقصيدة مليئة بالحكم والمواعظ والتعاليم الإسلامية التي وردت في القرآن الكريم"⁵، حيث يقول برهان الدين العبوشي "كنت أظن أن أحدا لم يسبقني إلى

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص322.

² نفسه، ص322.

³ أدباء من جبل النار، ص63.

⁴ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص128.

⁵ أدباء من جبل النار، ص64.

الوافر

إلى أن ينهى تضمينه الشعري القرآني بسورتي الفلق والناس:

الوافر

ويعيب العبوشي على الشعراء مباركتهم لأنفسهم بشعر الغزل والصبابة، والبعد عن نظم الشعر الديني "ما بال الشعراء يباركون انفسهم بشعر الصبابة والغزل ومدح الحاكمين، ولا يتقربون لخالق هؤلاء وخالقهم بشعر تفوح منه روائح الجنة، وتطمئن به قلوب المؤمنين، وتصحو به قلوب الغافلين، ويستلهم به الطلاب والشباب معرفة خالقهم، فينسجون نسج الصالحين

³ نفسه، ص 286.

المجاهدين، فيكسبون العزيمة والعز والعمل، ويسعون إلى طلب العلم الصحيح، فيستقيم لهم درب البر والايمان وحب الوطن والعز والجاه"¹، يقول العبوشي في قصيدة "الفداء":

الكامل

لا بأس فالهَمُّ العريضُ شعارنا	هَلَّ القريضُ وغيَرنا يتغرَنق
زاد الأديب همومه، وشرابه	من جرحه لا خمرة تتعق
أفشاع من قام ينشر عهره	وهو الذي من بؤرة يتسوق
يحسو الشراب مع البنات كأنه	بنت تغنج يَسْتَحَفُّ ويخلق
ما كل من ركب المنابر فارس	أو كل من نظم القصيدة مفلق ²

ثم يهاجم العبوشي أولئك الشعراء الذين أفسدوا على الناس العادات والتقاليد، فالمعاني عند العبوشي منتزعة من تربة القرآن الكريم، لا من الصبابة والخنوثة، بل يشن العبوشي حرباً شعواء على الشعراء الذين تركوا قضيتهم، وراحوا يفسدون شباب الأمة بأشعارهم، بل يدعوهم أن يقتدوا بعنترة وأبي فراس:

الكامل

النثر والشعر القديم فخارنا	ويريد عيبيهما ثوب أبرق
إننا لنغترف المعاني حرة	من تربة القرآن يا متزندق
بيني وبينك يا خليع عداوة	ما دمت تهدم أمتي وتزوق
إن الأديب الحر ينثر ريشه	للمستجير وفي المعارك بيرق
كأبي فراس أو كعنترة الذي	خلقته عبلة ليث غاب يسحق ³

ومن قصائده الدينية الاجتماعية الرائعة، قصيدة بعنوان "الحيم"⁴ الإنسان "اقتبس معانيها من القرآن الكريم، ففي القصيدة لمحات علمية فلسفية لطبيعة خلق الإنسان، وفيها عرض موجز لمراحل خلق الإنسان في بطن أمه، منذ كان نطفة إلى أن يصل إلى التراب، يدعو فيها بني

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 275 - 276.

² نفسه، ص 257.

³ نفسه، ص 257.

⁴ يبدو أن لفظة "حيم" منحوتة من حيوان منوي.

البشر إلى التواضع وعدم التكبر، وفكرة القصيدة مستمدة من الآية الكريمة "فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ"¹:

البسيط

يا (حيماً) سال من ظهر إلى رحم	حتى استقر على وهن وفي وخم
قل لي أكنت زعيماً في الحشا ملكاً	أم كنت فيه أميراً غير متهم
أم كنت فيه جباناً لا تطيق فدى	أم عالماً خاض بحر العلم والحكم
ومذ برزت تلقفتك المنون يدا	فرحت تصرخ يا مجنون من ندم
وإن غدوت قوياً رحت منسجماً	مع الغرور نسيت الماء في الرحم
كما نسيت الذي سواك مضغته	فرحت تكفر بالرحمن ذي الكرم
غدا تعود لبطن الأرض تسألها	نزلت من رحم أشقى إلى رحم ²

كما أن القصيدة تحتوي من الأبيات ما يدعو به الشاعر للتفكير بعظمة خلق الله علاوة أن الشاعر أراد بأبيات القصيدة أن يقرّع قادة العرب، ويستهن فيهم روح التغطرس والكبر والجبروت وخيانة الأوطان، ... نستشف ما كان الشاعر يرمي إليه من خلال قوله:

البسيط

قل لي أكنت زعيماً في الحشا ملكاً	أم كنت فيه أميراً غير متهم
أم كنت فيه جباناً لا تطيق فدى	أم عالماً خاض بحر العلم والحكم ³

وعندما أدى العبوشي فريضة الحج عام 1974م، نظم الشعر الديني الذي يملأ النفس طمأنينة وراحة، فوصف شعائر الحج بتفاصيلها، وذكر الأمن والنظام، وعفاف الألسنة، ونقاء القلوب، وسمو الأفكار، يقول العبوشي في قصيدة "يا رب":

البسيط

لبيك لبيك يا ربي ويا سندي نزعنت ثوبي وقد هرولت بالجسد

¹ سورة الطارق، آية 5.

² فارس السيف والقتل - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 245 - 246.

³ نفسه، ص 245.

سَعَيْتَ يَا رَبُّ مِنْ بَغْدَادٍ مَتَزَرًا أَبْغَى رِضَاكَ وَأَرْجُو النَّصْرَ لِلْبَلَدِ
فَلَبَّ يَا رَبُّ مَا أَرْجُو فَإِنْ يَدِي مُدَّتْ إِلَيْكَ وَقَلْبِي ذَلَّ فَوْقَ يَدِي
وَلَيْسَ لِي مِنْ أَرْجِيهِ فَيَغْفِرَ لِي سِوَى الَّذِي سَمَكَ الْجُوزَا بِلَا عَمْدٍ¹

ثم أُرْدِفَ حَجَّتَهُ الْأُولَى بِثَانِيَةٍ عام 1978م، وأعاد رسم الصورة الدينية الرائعة لمظهر
الحجاج يطوفون ويسعون مسبحين مهللين، يحذوهم الأمل بالعفو والمغفرة، يقول العبوشي في
قصيدة "نور مكة":

الوافر

تَحْرِكُ رِكْبَنَا وَالشُّوقُ نَامَ يَهْيِجُ بِنَا إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ
يَكَادُ اللَّيْلُ يَبْكِيهِ دُعَانَا وَتَحْرِقُهُ تَسَابِيحُ الْكَرَامِ²
ولا يقتصر دعاء الحجاج لأنفسهم، بل يدعون مبتهلين أن ينصر الله أمة العرب
والمسلمين، وأن يقيض لها حكماً يحفظون البلاد والعباد:

الوافر

إِلَهُ الْكَعْبَةِ الْغَرَاءِ إِنِّي قَصَدْتُ نَدَاكَ قَصْدَ الْمُسْتَهَامِ
لَتَمْنَحَ أُمْتِي رَأْسًا سَلِيمًا يَصُونُ بَعْقَلَهُ حِفْظُ الذِّمَامِ³
وللكعبة المشرفة حصة من شعر برهان الدين العبوشي الديني، فهي ملجأ الأرواح،
تطرب الأذن وتلذذ لسماع التسبيح والتهليل في رحابها، إذا ضاقت الدنيا بالعبد فلا ملجأ إلا إلى
الله في رحابها المقدسة، يقول العبوشي في قصيدة "حنانك بيت الله":

الطويل

حَنَانُكَ بَيْتَ اللَّهِ يَا سِرْحَةَ الْهَدَى وَيَا مَلْجَأَ الْأَرْوَاحِ يَا كَعْبَةَ الْفَدَا
أَتَيْتُكَ وَالْإِيمَانَ يَغْمُرُ خَافِقِي وَيَطْرِبُ أَذْنِي بِالتَّسَابِيحِ وَالْصَدَى
فَلَا بَيْتَ إِلَّا أَنْتَ يَسْعَفُ مَهْجَتِي وَلَا رَبَّ إِلَّا اللَّهُ يَرْحَمُنِي غَدَا

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 291.

² نفسه، ص 294.

³ نفسه، ص 295.

إذا ضاقت الدنيا بعبد فماله سوى الله ينجيّه إذا دهره عدا¹

ولم تتفرد الكعبة المشرفة بشعره من بقية المساجد، بل نظم العبوشي شعره داعياً أمة المسلمين لبناء بيوت الله، فهي الملاذ للنشء، ومن شعره في ذلك قصيدة بعنوان "مسجد الفاروق" أرسلها لمحافظ بغداد عام 1971 يدعو لإتمام بناء المسجد:

السريع

الجامع المحزون في حيّا في (حيّ تموز) حليف الألم
الجامع المحزون ما ذنبه حتى توارى عنه أهل الذم
فالخير كل الخير في مسجد يستقبل النشء ويعليّ الهمم²

ويتحسّر برهان الدين العبوشي لما آل إليه حال أولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين الشريفين، فالصخرة المشرفة في المسجد الأقصى تندب، وكنيسة القيامة تستغيث، لا ترى أنى نظرت سوى الكآبة والحزن، يقول العبوشي في قصيدة "لهفي على القدس":

مجزوء الكامل

لهفي على القدس الشريف قد عاد كالشبح المخيف
الصخرة الغراء تندب والقيامة كالخريف
قد أصبح الإنجيل نسياً والمصاحف في الرفوف
أنى نظرت فلا ترى غير الكآبة والكسوف³

وبمناسبة إحراق المسجد الأقصى نظم العبوشي قصيدة يقدح فيها بالعرب والمسلمين على السواء، فالضعف والمهانة والذل، سمات تطغى على حكام العرب والمسلمين، ولا يوجد من يحرك ساكناً ليوقف اليهود عند حدّهم، بل يصل بهم الأمر إلى ممارسة شعائر الإسلام خفية خوفاً على مناصبهم، يقول في قصيدة "الأقصى الحريق":

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 296.

² نفسه، ص 309.

³ نفسه، ص 136.

الكامل

صوموا ضعافاً ثم صَلُّوا خَفِيَّةً واستنفسوا بكرامة الأزلام
لستم من الإسلام في شيء وإن كنتم فأنتم سُبَّةُ الإسلام
المسجد الأقصى استجار وأنتم لاهون عنه في هوى وخصام
النار تحرقه وتأكُل قلبه وقلوبكم من صخرة ورُغام¹

يعد القرآن الكريم من أهم الروافد التي جعلت من برهان الدين العبوشي أديباً، فقد كان من أكبر الأسباب التي أعانته على نظم الشعر مبكراً، فالعبوشي كان كثير التلاوة، عميق الفهم لآياته الكريمة، وشعره يؤيد ما خلصنا إليه، يقول العبوشي في قصيدة بعنوان "الله جل جلاله":

مجزوء الكامل

الله مولانا أحـد رفع السماء بلا عمد
متنزه سـبـحـانـه عن كل أم أو ولد
صمـدٌ تكفَّلَ خـالـقـه بالرزق أعظم بالصمـد
مرج البحار وصاننا في الأرض من جزر ومـد²

وبعد التفكير في آلاء الله وعظمته، يجب على الإنسان أن لا يظلم أخاه الإنسان، وأن يتعظ ويعتبر ممن قبله:

مجزوء الكامل

لو أدرك الإنسان آلاء إليه لما اضـطـهد
حتى إذا صرعه حـمـى صاح: ربي واعتقـد
فإذا شـفاه رأيته نسي إليه ومن عبـد³

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 313.

² نفسه، ص 314.

³ نفسه، ص 314.

لم يقتصر العبوشي في شعره الديني على قصائد محددة دينية خالصة، بل انطلق في كل الاتجاهات التي نظم الشعر فيها من منطلقات إسلامية، سواء في الشعر الوطني أو القومي أو الاجتماعي...، فالدين يمثل بالنسبة للعبوسي منهج حياة متكامل.

المبحث الخامس: شعر النكاية

يقول برهان الدين العبوشي في أعماله الكاملة تحت عنوان شعر النكاية- الهتريات:-
"نظمها نكاية بأعدائنا الذين أضاعوا فلسطين وغيرها، رغم أنني أكره كل استعمار مهما كان لونه، ولا أَرْضِي بغير العروبة مبدأً والقرآن كتاباً".¹

تقع الهتريات في أربع قصائد نظمها العبوشي بمناسبات مختلفة، منها قصيدة بعنوان (هتلر)؛ نظمها بمناسبة اجتياح هتلر لبولونيا وفرنسا، فقد اعتقد العبوشي أن جيوش فرنسا وبريطانيا ستسحب من البلاد العربية، فتستقل بلاد العرب التي كانت تحتلها بريطانيا وفرنسا فينتفس الناس، وينتهي الاستعمار.²

وشعر النكاية باب جديد من أبواب الشعر الحديث، وهو ليس حبا لهتلر أو إعجابا بأفعاله، بل هو نكاية في الإنجليز الذين نهبوا خيرات البلاد، وأسلموها بعد ذلك لليهود "ولقد استحدث باب جديد في الشعر العربي الحديث قيل تشفيا بالحلفاء، وبالإنجليز، خاصة أيام كان هتلر يجتاح البلدان الأوروبية، ويسحق جيوش الحلفاء تحت ضرباته الباطشة، ما أدخل الظن بأن ذلك سيضطر جيوش فرنسا وإنكلترا إلى سحب جيوشهما من البلاد العربية التي ستجد في ذلك فرصة استقلالها، وسمي هذا الباب شعر النكاية"³، يقول العبوشي في قصيدة "هتلر":

الطويل

إلى أين ماض أنت قل لي إلى أينَا أخاف عليك الأذن والقلب والعينا
إلى (السين) أم (المانش) أم لكليهما دفعت بجيش الرِيخ ترهقه بينَا

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 117.

² انظر: حياة الأدب الفلسطيني الحديث، ص 300.

³ شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، ج 1، ص 181.

لشعبك ثارات تريد سدادها فلم تلق مثل الجيش ينجزك الدينا¹

ويمضي العبوشي في وصف المهانة التي لحقت فرنسا وبريطانيا من هتلر وجيشه:

الطويل

أذل فرنسا في ثمان وهذه نساء فرنسا بالزعيم تحامينا
أقضى منام الانجليز وقد غدا جلالته أنى استغاث فلا عوننا
تهل عليه السابحات قذائفها غنة في الجو أما تدانينا²

ثم يذكر العبوشي سبب نظمه للهتريات، مخاطبا فرنسا وبريطانيا:

الطويل

فأنتم عدو الشرق لسنا نريدكم تشابهتم ظلما تباينتُم لونا
خطيئكم في القدس هذا جزاؤها تركتم بها عماتنا يتباكيننا³
ثم يمدح برهان الدين العبوشي فصل الربيع؛ وذلك لأن هتلر أخذ يهدد الحلفاء بضرباته
القاصمة في الربيع، فالشتاء يمنعه من مواصلة زحفه نحوهم:

المتقارب

لقد بُحَّ صوتي فما من سميع وطال انتظاري لزهر الربيع
يجدد في إهاب الشباب ويشفي فؤاد المعنى الصريع
ويحيي النفوس وقد شققها الشاء وأخنى عليها الصقيع
وتهزم فيه جيوش الطبيعة جيش الهوام بفتك ذريع⁴

لقد حمل الشعر دوره في وصف طبيعة المرحلة "فحين أحس الرأي العام بتفاؤل من
جاء انتصارات الألمان أخذ الناس يظهرون التشفي بالأعداء، فرأينا في هذه المرحلة بابا يسمى
الهتريات في ديوان جبل النار للشاعر برهان الدين العبوشي"⁵، حيث أبدع العبوشي قصيدة في

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 117.

² نفسه، ص 117 - 118.

³ نفسه، ص 118.

⁴ نفسه، ص 118.

⁵ حياة الأدب الفلسطيني الحديث، ص 300.

نكاية الإنجليز عندما طلبوا من العرب إغاثةهم في المعارك، وكان الإنجليز يظاهرون اليهود ويذبحون العرب ويشردونهم، قال العبوشي في قصيدة "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين":

البسيط

أرهقتمونا وقربتم مناياتنا	واليوم تبغوننا ننسى ضحايانا
ولم تتركوا فوقها أنثى ولا ذكرا	إلا قتلتم له أهلا وأخدانا
وما جمعتم طوال العمر بدده	وصرتم للعبيد السود عبدانا
أبعدا جرتم واشتط حاكمكم	جئتم تريدوننا أهلا وخلصنا
أبعدا بعتم صهيون حرمتنا	وعرضنا تبغون العرب إخوانا ¹

ويظل شعر العبوشي يحمل عبء التوعية والتنبيه، ويفضح دسائس المستعمرين، فحين أقبل الجنرال "سبيرز" على دمشق منتصرا لها-على زعمه- ضدّ الفرنسيين، نشرت جريدة الوحدة العربية المقدسية عام 1956م على إثر زيارته قصيدة للشاعر برهان الدين العبوشي عنوانها (التاريخ يعيد نفسه)²:

البسيط

هل مات لورنس أم هل عاد للناس	أم هل تقمص في أثواب خناس
لقد تقمص في "سبيرز" فلا عجب	إن أشكل الأمر يا هذا على الناس
أجئت تحمل ترياقا لأمتنا	من لندن أم لدس السم في الكاس
أم جئت تحمل أموالا وأوسمة	قد جاء قبلك لورنس بأكياس ³

ثم يسخر العبوشي من الجنرال "سبيرز" مغلفا سخريته بلسعة لحكام العرب حيث يقول على ألسنتهم:

البسيط

أهلا وسهلا فإننا من عبيدكم نحن الضيوف وأنت المطعم الكاسي⁴

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 119.

² انظر: حياة الأدب الفلسطيني الحديث، ص 301.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 119-120.

⁴ نفسه، ص 120.

ثم ينصح العبوشي الجنرال "سبيرز" أن يعود من حيث أتى لأن خططه مكشوفة مُعادة،
فقد حملها من قبله لورنس وباء بالفشل، ويحمّله مسؤولية ضياع فلسطين والقدس:

البسيط

إن رُمّت تسدي يدا للعرب ناصعة فمن ترى نكب الأقصى بوسواس
قد جاء قبلك لورنس فما نفعت رقاها بل طمروها تحت أكدا¹
المبحث السادس: شعر السخرية والفكاهة

يمتلك برهان الدين العبوشي روح السخرية والفكاهة، وقد انعكست هذه الروح في شعره، فنراه تارة يسخر من الزعماء العرب، سخرية فيها استنكار ورفض لحالهم، ويطلب منهم أن يمتلكوا الشجاعة والغيرة اللتين يمتلكهما الديك الذي يهاجم كل من يقترب من قفصه، ظاناً أنه عدو يريد أن يفتك به وبرعيته، حيث تظهر سخرية العبوشي في غير قصيدة من قصائده ومنها قصيدة "الديك البطل":

الوافر

حلفت بديكنا وحلفت حقا بأي لم أجد بطلا سواه
يهاجمني وينقرني ويرمي بمخالبه وتجرحني مداه
ويقفز كالهزبر سخرت منه ويبذل روحه يحمي حماه²
ثم تبدأ المحاوراة بين الشاعر والديك:

الوافر

وقلت له علام تنال مني فقال اخرس لكل أذى دواه
أحبسنا وتأكلنا وتعدو على الأقفاص تنهب ما تراه
ولو كنا سباعا لم تنلنا فإن السبع تحميه يده
وإني ثرت أدفع عن كياني وفيم عجبت إذ أفنى فناه³

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 120.

² نفسه، ص 252.

³ نفسه، ص 252.

ثم يصل العبوشي في نهاية القصيدة إلى سبب نظم القصيدة، وهو عقد مقارنة بين الديك والحكام:

الوافر

فقلت لعلّ هذا الديك أذكى من الزعماء إذ يفدي لواه¹
لقد وجد العبوشي أن خير وسيلة للتعبير عن الحزن الذي يعتصره السخرية والتهكم، فهو يفضح الحكام ويضحك الناس عليهم بالشعر، فسخريته مستمدة من الواقع المعاش، وقد لجأ العبوشي إلى هذا الأسلوب لمعرفته أن السخرية لها قوة في التأثير، وإثارة للانتباه، ثم يعيد العبوشي الكرة في قصيدة أخرى بعنوان "الأرضة"، فالأرضة تهاجم العدو باستماتة، وتضع الخطط قبل الهجوم، ولا تخشى الحرب، ولا تعود إلا بعد أن تغنم:

الوافر

بليت بأرضة أكلت فراشي وثوبي والخزانة والكتابا
لها خطط العساكر والسرايا إذا زحفت ولا تخشى الحرابا
فلا تتردد إلا بعد غنم لملكتهما التي باضت يبابا²
ثم يعرض العبوشي لسير المعركة مع الأرضة، فهو لا يهادن كملوك العرب وحكامهم، بل يقاوم ويقاوم، ويدفع الضيم عن مملكته:

الوافر

شهدت جيوشها في سور بيتي فقامت أصب من ناري شهابا
حفرت الأرض ثم صببت نفطا وحرقت الخنادق والقبابا
ولم أك كالملوك رأوا عداة تغير فهادنوا منهم ذئابا
إذا هادنتها هادنت نذلا (كإسرائيل) قد نشروا الخرابا³

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 252.

² نفسه، ص 219 - 220.

³ نفسه، ص 220.

وتارة يصف حيّة دخلت الصف أثناء حصة دراسية في مدرسة "الشامية"، فراح يصف حركاتها وشكلها، ورعب الطلاب منها، وقد أبدع العبوشي في فن الوصف:

الكامل

يا من رآني في الصباح مساورا	أفعى مرقطة كبنّت الجان
دخلت عليّ الصف وهي أمانة	لتشيع رعب الموت في صبياني
فجبت من حسن يرصع جلدها	مثل الدنانير اكتست بجمان
وقوامها لدنّ يموج كأنه	ماء جرى والرأس كالفنجان
نظرت إليّ فخلت حبة عينها	زرا أضاء على قضيب البان
فجبت من ضدين قد جُمعا معا	حسن الكيان ولدغة الثعبان ¹

ثم تبدأ المعركة مع الحيّة، فهو يهاجمها ليفتك بها، ولا يرضى بالحلول السلمية، وهي تدافع بشراسة:

الكامل

لم أعطها درب السلامة فانتثت	فرميتها حجرا من الصوان
فتحفت فرميتها فتواثبت	لتعضني فلقيتها بجناني
وركلتها فتشبثت فدفعتها	فتخاذلت فقتلتها ببناني
أحمي حمى الطلاب فوق عروشهم	لأكون فيهم قدوة الشجعان ²

ثم يصل إلى عقد المقارنة بين حالة الحية والوضع السياسي في فلسطين، بأسلوب تغلفه الحكمة:

الكامل

لا تلقين سلاح حرب طالما	فأس العدو تهدّ في البنيان
إن ابن آدم لابن آدم حيّة	فاحذر أخاك ولا تنم بأمان
لا تأمن الرؤساء إن رؤوسهم	رأس الأفاعي سمّمهم بلسان

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص264.

² نفسه، ص264.

سَمَّ الأَفْعَايَ بَعْضَهُ نَفْعٌ وَلَا نَفْعٌ لِسَمِّ مَضْيَعِ الأَوْطَانِ¹

ثم يسخر العبوشي من الجيوش العربية التي دخلت فلسطين لتحارب العصابات الصهيونية، فلطالما تغنت الدول العربية بأنها سترمي اليهود في البحر، ولا يقلل من قيمة الجنود العرب فهم فدائيون قولاً وفعلاً، لكن سخرية العبوشي من الساسة، الذين ما إن مالت الكفة لصالحهم حتى أمروا جيوشهم بأن تتسحب من أرض المعركة، يقول في مسرحية "شبح الأندلس" مستغرباً من انسحاب الجيوش العربية:

الوافر

المقدّم:

أمرت بأن أعود فقلت ديني أأخذله فلم أرض انسحاب

الشاعر:

علام إذا مسيركم إلينا أ للنزهات

سعدي:

طاب العيش طابا

فيرد المقدم نوح على الشاعر وسعدي:

نوح:

دعوني واسألوا الأعلى

سعدي:

ترى برق الرجا عيني سرايا

يمينا

الشاعر:

أ ينسحب المسيطر وهو عال على أعدائه؟

محمود بآلم:

متنا عذابا

قيادتهم بأيدي أجنبي يدس بكأسنا سمّا مذابا

فقد خلق الخصومة والتجافي وخادعنا ولم نحسب حساباً²

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 264.

² نفسه، ص 444-445.

لقد سخر برهان الدين العبوشي طاقاته الفعلية والقولية للسخرية من زعماء الدول العربية الذين أمروا جيوشهم بالانسحاب من أرض المعارك في فلسطين، بل حتى الاستفهام الذي استخدمه الشاعر خدّم غرض السخرية والاستتكار.

ثم تأخذ سخرية العبوشي من الجيوش العربية شكلاً آخر؛ فنراه يستهزئ من تخلف الجيوش العربية، وأخذها بالأساليب القديمة، وإتباعهم الوسائل والأنظمة القبلية في الدفاع، ثم يدعو أمة العرب أن تحتذي بالغرب لتبلغ سدة الأمم، يقول العبوشي في مسرحية "شبح الأندلس":

الهزج

أخي ما ينفع الصمصا	م عند الطعن والضرب
فهذا العصر عصر المد	فع الرشاش والكتب
وفيّه ذرة تكفّي	لحرق الأرض والسحب
فهبيء جيلك الذري	تبلى مرتقى الشهب
مشى الغربي في ركب	وسرنا نحن في ركب
ولو سرنا على نور	لسدنا أمة الغرب ¹

إن العبوشي في هذه الأبيات يندّد بالجهل والغفلة والجمود، ويدعو إلى نبذ كل ذلك، والأخذ بالعلم الحديث والحضارة العصرية؛ لتنهض أمة العرب، وتثور على أعدائها، وتسترجع ما اغتصب من أرضها.

ثم يسخر العبوشي من حجج الزعامات العربية التي سحبت جيوشها من فلسطين بداعي الهدنة مع اليهود، فأجمل شعور الناس تجاه الهدنة بقوله في مسرحية "شبح الأندلس":

الوافر

وقالوا (هدنة فرضت علينا) بلّى فرضوا وربك أن نضيعا²

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 441.

² نفسه، ص 490.

أي أنها هدنة من وجهة نظر العرب، وضياح ولجوء وتشرذم من وجهة نظر الفلسطينيين ومن السخرية والدعابة ذكره لحر بغداد، فهو يحجب الإنسان في الموت للخلاص منه، حيث يصف ذلك الحر في قصيدة بعنوان "حرّ بغداد":

مجزوء الرمل

حَبَّبَ الأخرى إليّ	إنّ في بغداد حَرّاً
ويراعي في يدي	ألصق الثوب بجلدي
عَفَتُ ذا الجلد علي	عَفَتُ ثوبي وقميصي
في جحيم يوم كي ¹	من يزر بغداد يسعد

هذه بعض القصائد الفكاهية الساخرة التي تبين قدرة برهان الدين العبوشي على نظم الشعر في شتى الجوانب الشعرية، فالقصائد التي استخدم السخرية والفكاهة فيها كثيرة، جُلّها انصب في الجانب السياسي، وخالطته روح المعاتبة لبني قومه، مما تقدم نرى أن الشاعر يستعمل السخرية تنقيساً وتعبيراً عن مرارته، وقديماً قيل: (شر البلية ما يضحك).

المبحث السابع: الغربة والحنين للوطن

منذ وطئت قدما العبوشي أرض دجلة والفرات أحسّ بلوعة الفراق، فراق وطنه الذي لطالما تغنى بسهوله وجباله، وتلاله وهضابه، ولم يصدق أنه غادر أرض الإسرائ والمعراج بلا عودة، فما زالت ربي بلاده تعيش في خاطره، إنه الإحساس بالغربة، إنه الإحساس بالظماً إلى تراب الأرض، تراب مدينته جنين، يظهر هذا الإحساس في قصيدة "جنين":

الوافر

حبيبة قلبي يا (جنين) سلام	فديتك لو تدرين كيف أنام
أنام على هم يؤرقني الهوى	فألقاك في حلمي وحلمي أو هام
وأصحو على غم يكاد يميّتي	فاستبعد الشكوى ولست ألام

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 94.

وقد كنت حرّاً والزمان مواتياً وحولي أشبال وخال وأعمام
وها أنا في بغداد أصبحت مفرداً يبادلني فيها الحنان كرام¹

كلما مرّ الزمان، وتوالت الأيام، ازداد شعور العبوشي بألم الفرقة والاعتراب، إنها جنين
التي سكنت سويداء قلبه، وحاصرت أفكاره في يقظته ونومه، إنه الشعور بالحنين وألم الفراق
يبثه العبوشي زفرات شعرية، تتجلى بوضوح في قصيدة "الحنين":

الوافر

تناهى في الحنان إليك نفسي لأنك أنت أفراحي وأنسي
أحبك من صميم القلب حبّاً يثير النار في قلبي وحسّي
فإنك مقاتلي وشعاع فكري وبلسم مهجتي ومداد طرسي
تلحّ هواجسي خوفاً لأنّي أغار عليك من جنّ وإنس
وأحذر أن تغيبني عن لساني فتسعف مقاتلي شفّتي بهمس²

لكن الأمل بالعودة لم يخبُ من شعر برهان الدين العبوشي، نعم هي الفرقة والغربة لكن
العودة قريبة، وسيبرز فجر قريباً:

الوافر

حرمتم لقاءها يا لهف نفسي وأشفق أن يكون غدي كأمسي
فإن تك فرقة فالى لقاء بروض الحب حيث تهيم نفسي³

إن لهيب الشوق والحنين لم يرغب عن مهجة العبوشي لحظة واحدة، فهذا هو يحدث نفسه
أحاديث غريبة عن الوطن لينسى هموم الغربة، لكن ذلك يؤدي إلى اشتعال نار العشق للوطن
أكثر فأكثر:

حدثت في الليل الكريب نفسي أحاديث الغريب
أطفئ بها حر الهوى فإذا بها زادت لهيبي

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 310.

² نفسه، ص 133.

³ نفسه، ص 133.

وكتمت أشواقِي وإذ بالشوق يفضحه نحبي¹
بل يصل الأمر بالعبوشي نتيجة الغربة عن الوطن أن يحسب النهار ليلاً، فالموت أهون
عليه من بعده عن وطنه:

يلحّ عليّ الهم حتى ألفتَه فكل نهار كنت أحسبه ليلاً
إذا ما استوى الديجور والنور لامرئ فشقّوا له لحداً فذاك أولي²
تتملك العبوشي اللهفة والحنين على الروابي والربوع والأودية والجبال، فلا يغمض له
جفن إذا لاح جبين البلاد، وعندما يملكه الشعور باليأس من العودة يبرق وصيته لأهله وذويه؛
أن يحفروا له قبراً في ربوع البلاد:

أطبق الليل بالأسى والسواد وتقلبـت في فراش قتاد
لا تكاد الأجفان تغمض جفنا كلما لاح لي جبين بلادي
لهف نفسي على ربيع الروابي لهف نفسي على ربوع وواد
احفروا قبركم هناك وقبري فتراب الأقصى أجل مهاد³
لقد عبّر العبوشي عن الغربة بالليل، وعن العودة بالصباح، لكن الصباح ابتلعه التنين،
والتغيير يجب أن يكون من العرب أنفسهم ليتغير الحال، فالشكوى لغير الله مذلة:

طال انتظاري للصباح فهل له من عودة تجلو نهار جنين
فكأنما انطفأت ذكاء واختفت في بطن حوت أو حشا تنين
لا تنفع الشكوى إذا لم تستعر نار الوغى في القدس أو حطين⁴
"لم تعرف الآداب العربية والعالمية أدب قطر حمل معاني الحنين، والتشرد والتمزق،
والنضج الفني، والشجاعة والمقاومة، والتقاؤل الثوري، مثل أدب أبناء فلسطين من حيث
النضج الفني، والرؤية المستقبلية"⁵ "فلقد دوّى صوت هؤلاء الشعراء الوطنيين، أمثال عبد الكريم

¹ فارس السيف والقتل - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص170.

² نفسه، ص175.

³ نفسه، ص237-238.

⁴ نفسه، ص241.

⁵ نشاوي، نسيب، المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، مطبعة ألف باء الأديب، دمشق، 1980م، ص426.

الكرمي، وإبراهيم طوقان، وعبد الرحيم محمود، وبرهان الدين العبوشي...¹ فالعبوشي نذر حياته لفلسطين، وجاهد من أجلها، وحمل لواء الكلمة في سبيلها.

¹ دياب، صبري يوسف، الوطنية في شعر حسن البصري، رسالة جامعية لنيل شهادة الإجازة (ليسانس)، إشراف: نسيب نشاوي، جامعة عنابة، دار المعرفة، ط1، 1985م، ص169.

الفصل الثاني

المسرحيات الشعرية

المبحث الأول: تاريخ المسرح العربي الحديث في فلسطين

المبحث الثاني: تاريخ المسرح الشعري الفلسطيني

المبحث الثالث: مضامين المسرحيات الشعرية لبرهان الدين العبوشي

المبحث الرابع: الالتزام في المسرح الشعري عند العبوشي

المبحث الخامس: عناصر المسرحيات الشعرية

المبحث الأول: تاريخ المسرح العربي الحديث في فلسطين

لم ينسب فنّ المسرح إلى شعب من الشعوب قبل الميلاد إلا إلى اليونانيين القدماء، فلم يعرف عن شعب غيرهم أنه كان له فن مسرحي واضح المعالم كما كان عندهم، حيث كان المسرح عندهم عبارة عن أناشيد وتراتيل دينية غنائية بطولية في أعياد الآلهة وخاصة إله الخصب (ديونيسوس)... ثم تطورت هذه الأناشيد التي اكتسبت طابع الجوقة الغنائي، واقتصرها على ممثل غنائي واحد إلى تقليل أهمية الجوقة، وزيادة عدد الممثلين، ورسم المناظر، وغير ذلك من وسائل المسرح¹.

أما الجهود المسرحية العربية فلم تتجاوز النصف الأول من القرن التاسع عشر²، وما تناقله النقاد بخصوص بذور المسرح العربي، أو جذور مسرحية عربية قديمة، إنما هي رغبة في أن يكون للعرب أصول في هذا الفن. ومما يوهم العرب بتاريخ عريق في المسرح بعض الفنون التي تشبه المسرح، ومنها فن خيال الظل، وفن البابات، وفن الأراجوز، وصندوق العجائب، وأقرب هذه الفنون إلى المسرح خيال الظل، فهو يشترك مع المسرح في بعض النقاط، لكنه ليس من الفن المسرحي. وقد كان معظم ما تقدمه المسارح الفلسطينية فترة العشرينيات والثلاثينيات؛ مسرحيات مترجمة عن الروسية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية والألمانية، منها مسرحية البخيل، ومدرسة الأزواج...³.

"ويمكننا أن نقرّ باطمئنان أن المسرح العربي الحديث لم يكن إلا بعد أن جرى الاتصال بين الحضارة العربية الإسلامية، والحضارة الأوروبية، أيام الحملة الفرنسية بقيادة نابليون على مصر، وما تلاها من بعثات علمية أيام محمد علي باشا، ومن سار على سنته من سلاطين"⁴.

¹ انظر: _الملاح، ياسر، صفحات مطويات من تاريخ المسرح الفلسطيني، ط1، جمعية العنقاء الثقافية، الخليل، فلسطين، 2002م، ص7. - الدسوقي، عمر، المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها، دار الفكر العربي، ص5، د.ت.

² انظر: ياغي، عبد الرحمن، في الجهود المسرحية الإغريقية الأوروبية العربية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980م، ص7.

³ انظر: الجوزي، تاريخ المسرح الفلسطيني 1918-1948م، ص41.

⁴ صفحات مطويات من تاريخ المسرح الفلسطيني، ص22.

ومن أشهر رواد المسرح العربي: مارون النقاش وهو لبناني، وأحمد أبو خليل القباني وهو سوري، ويعقوب صنوع وهو مصري¹.

لقد اتكأ المسرح العربي على المسرح الأوروبي، وفي طليعته المسرح الفرنسي بالترجمة والاقتباس عن أدباء كبار أمثال "راسين وموليير"، وأول كاتب مصري ظهر في بداية القرن العشرين وامتازت كتاباته بالابتعاد عن الاقتباس والتأثر بالأوروبيين هو إبراهيم رمزي، ومن أهم مسرحياته "الحاكم بأمر الله" عام 1914م، و"أبطال المنصورة" عام 1915م.²

المبحث الثاني: تاريخ المسرح الشعري الفلسطيني

يعد المسرح الفلسطيني حلقة من سلسلة المسرح العربي، بل تأخر المسرح الفلسطيني عن أقرانه من المسارح العربية بسبب أصناف الاحتلال التي تعرض لها، فكان على الشعب أن يواجه جهوده لمواجهة بريطانيا والصهيونية، والتصدي لمخططاتهما. بل وصل الأمر بـ"يعقوب لنداو" الادعاء أن اليهود الذين وفدوا إلى فلسطين هم أساس المسرح الفلسطيني³، وهذا الكلام عار عن الصحة لأن العرب عرفوا فنون المسرح قبل الاحتلال الإسرائيلي.

واختلف آخرون حول مستوى نضج المسرح الفلسطيني قبل عام 1948م، فرأى بعضهم ضعفه وعدم نهوضه بالمسؤولية، وأن القائمين عليه كانوا أنصاف متقفين، ورأى آخرون فيه قسطاً من الجد والاجتهاد، لا يقل عن المسرح العربي في تلك الفترة⁴، والأمر سيان بعد عام 1948م، فقد أشار الكثيرون إلى انعدام المسرح الفلسطيني بعد النكبة⁵، ولكن ذلك لا يعني عدم التأليف في فن المسرح، بل ظلت روح المقاومة لدى الأدباء مشتتة تتحدى الواقع، وتصنع من

¹ انظر: صفحات مطويات من تاريخ المسرح الفلسطيني، ص23.

² انظر: أبو الشباب، واصف كمال، القصة والرواية والمسرحية في فلسطين 1900-1948م، الموسوعة الفلسطينية، المجلد الرابع، بيروت، ط1، 1990، ص155.

³ انظر: تاريخ المسرح الفلسطيني 1918-1948، ص184.

⁴ انظر: الملاح، ياسر، مسرح الاحتلال في فلسطين، ص214-215.

⁵ انظر: محاميد، محمد، مسيرة الحركة المسرحية في الضفة الغربية 1967-1987، الطيبة-المثلث، مركز إحياء التراث العربي، 1989م، ص24.

المسرح جذوة للمستقبل، فبعد عام 1967م أنتجت فلسطين جيلا تمرّس الصعاب، وراح يعبر عن واقعه بشكل جديد، ويقاوم من كل المواقع، ومن أساليب المقاومة التي ابتدعها الأدباء الفلسطينيون، المسرحيات الأدبية؛ الشعرية والنثرية.

"وانعكس ذلك على الحياة المسرحية بكافة فروعها، حيث شهد النص المسرحي غزارة نسبية، كما شهدت العروض المسرحية انتعاشا، الأمر الذي وضع المسرح على طاولة البحث النقدي، ما جعل البعض يشير إلى نضج الحركة المسرحية في مرحلة ما بعد عام 1967م¹.

لقد هيأت كثرة الجمعيات والنوادي جوّ البلاد لغرس بذور نهضة تمثيلية مسرحية، في مدن فلسطين، وأخذت الإذاعة الفلسطينية منذ عام 1936م تخصص جانبا لها في برامجها، وممن كتبوا الروايات والمسرحيات التي مثلت على بعض مسارح فلسطين وعدد من الأقطار العربية؛ جميل البحيري، وبرهان الدين العبوشي، ومحمد حسن علاء الدين، ومحيي الدين الحاج عيسى². "وقد استفاد رواد المسرح الفلسطيني من التفاعل الوثيق بين المسرح العالمي والعربي، فراحوا يستمدون مسرحياتهم من الواقع المعيش، ممزوجا بالالتكاء على التاريخ والتراث الشعبي، وراحوا يغذون مجتمعهم المتعطش لهذا الفن في النوادي والمدارس والجمعيات"³.

ويعزو محمد أبو عزة ندرة المسرحيات الشعرية الفلسطينية والعربية إلى أن كتابة المسرحية الشعرية تحتاج إلى قدرة شعرية واسعة، ترفدها قدرة فنية موازية على فهم المسرح وآلياته، ولذلك كان الإبداع الشعري المسرحي قليلا في إبداع الأدباء الفلسطينيين في موازاة الأجناس الأدبية الأخرى، فلا يمكن أن يقارن عدد المسرحيات الشعرية بعدد الدواوين الشعرية، ولذلك يمكن وضع اسم "برهان الدين العبوشي" إلى جانب "أبو خليل القباني" و"أحمد شوقي" و"عزيز أباظة" و"عدنان مردم بك" و"علي محمد لقمان" من رواد المسرح الشعري في مصر وسوريا واليمن، ولا يحضرنا من الأسماء غير برهان الدين العبوشي، ومحيي الدين الحاج

¹ المرعشلي، الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصة، قسم 2، ج4، ص237.

² انظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر من 1918-1968م، ص71.

³ غنيم، كمال أحمد، المسرح الفلسطيني، ط1، دار الحرم للتراث، القاهرة، 2003م، ص25.

عيسى.¹ لكن ليس غريباً أن ترى أجيالاً من الفلسطينيين لا يعرفون شيئاً عن العبوشي، وإن كانت الدراسات النقدية والأدبية للشعر الفلسطيني في القرن العشرين أفردت مساحات واسعة للحديث عن شعره الغنائي وتجربته النضالية قياساً بتجارب أبناء جيله من الشعراء الفلسطينيين.²

لقد "حمل المسرح الفلسطيني هوية خاصة، تميزه عن المسرح العربي، متمثلة في هذا الهمّ الوطني النابع من خصوصية التجربة الفلسطينية، بالإضافة إلى أنه لم يقع في شرك المسرح التجاري، الذي غرقت فيه بعض المسارح العربية، إذ ظلت مسحة الفكاهة فيه قليلة... وظلت ممزوجة بالألم والمعاناة".³

لم يتأخر المسرح الشعري في فلسطين عن نظيره- المسرح النثري- بل بدأ خطواته مبكراً بموازاة المسرح النثري، فكتب فؤاد الخطيب قبل الحرب العالمية الثانية مسرحية تدور حول فتح الأندلس⁴، وكتب محمد حسن علاء الدين مسرحية (امرؤ القيس بن حجر) عام 1945م، واعتمد فيها على تاريخ الشاعر الجاهلي امرؤ القيس، وسعيه الدؤوب من أجل الثأر لوالده.⁵

وأبدع برهان الدين العبوشي مسرحيات شعرية عدة شكلت مسرحية (وطن الشهيد) عام 1947م مرحلة البدايات المسرحية الشعرية الفلسطينية، وغرة ما كتبه العبوشي، فقد عرض العبوشي في مسرحيته لمكانة الشهداء الأبطال الذين رووا بدمائهم الزكية تراب الوطن، وأشار إلى ظاهرة بيع الأرض الفلسطينية لليهود التي بيع معظمها عن طريق سماسرة غير عرب، وعرض للمؤامرات الصهيونية التي تبغي تفريق الصف الفلسطيني، وزرع الفتنة بين العائلات والمجاهدين لسهولة السيطرة على الأرض، وأبدع في تصوير حيل اليهود وخططهم للسيطرة

¹ انظر: أبو عزة، محمد، مقدمة مسرحية شبح الأندلس، دار مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق، ص10.

² انظر: عودة، هشام، مجلة بلسم، العدد306، كانون الأول، 2000م، ص85.

³ المسرح الفلسطيني، ص533.

⁴ انظر: المرعشلي، الموسوعة الفلسطينية، ج4، ص209،

⁵ انظر: تاريخ المسرح الفلسطيني، ص126.

على فلسطين¹، وكتب محيي الدين الحاج عيسى مسرحية (مصرع كليب) عام 1947م، ودارت حول حرب البسوس التي حصدت أرواح العرب زهاء أربعين سنة، ودارت رحاها بين قبيلتي بكر وتغلب.²

ثم واصل برهان الدين العبوشي إيداعاته المسرحية الشعرية، فكتب سلسلة من المسرحيات وهي على الترتيب (شبح الأندلس) عام 1949م، و(حرب القادسية) عام 1951م، و(الفداء) عام 1956م،³ "وسار على طريقته إبراهيم أبو ناب، عندما كتب مسرحيته الشعرية (ديك الجن) عام 1952م، متناولا فيها مأساة الشاعر عبد السلام بن رغبان الحمصي الملقب بديك الجن... ونشرت هدية عبد الهادي عام 1955 المسرحية الشعرية (طالب الحق ما قعد)، وكتب أحمد جاموس مسرحيته الشعرية (مأساة لاجئة) عام 1965م..."⁴، وواصل محيي الدين الحاج عيسى الصفدي في دمشق نشر مسرحياته الشعرية ومنها مسرحية (أسرة الشهيد) عام 1965م.⁵

ثم أخذ المسرح الشعري ينمو بشكل سريع في مرحلة السبعينيات، فكتب معين بسيسو سلسلة من المسرحيات الشعرية منها (مأساة جيفارا) عام 1969م، و(ثورة الزنج) عام 1970م، وكتب عام 1972م (الصخرة) و(العصافير تبني أعشاشها بين الأصابع)...، وممن كتب المسرح الشعري كذلك أحمد عبد العزيز حنون عام 1970م، حيث نشر مسرحية (ملحمة الحرية)، أما الشاعر سميح القاسم فكان له نصيب وافر من تاريخ المسرح الشعري الفلسطيني، فنشر عام 1970م مسرحيته (قرقاش)، وهي مسرحية تاريخية اتخذت من شخصية قرقوش "رمزا لسطوة الاحتلال وعجرفته"⁶، وفي العام نفسه كتب القاسم مسرحيته الشعرية الثانية (هكذا استولى هنري على المطعم الذي كان يديره رضوان وشلومو، وحوله إلى دكان لتجارة المعلبات)، كما كتب

¹ انظر: فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، من ص 325-421.

² انظر: الصفدي، محيي الدين الحاج عيسى، مصرع كليب، ط1، القاهرة، دار مكتبة الحياة، 1947م، .

³ انظر: فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص5.

⁴ المسرح الفلسطيني، ص129.

⁵ انظر: نفسه، ص130.

⁶ نفسه، ص132.

عام 1974م مسرحية (الابن)... وكتب هارون هاشم رشيد مسرحية (السؤال) عام 1973، تحدث فيها عن الثورة الفلسطينية، وتعرض في مسرحيته الشعرية الثانية للموضوع نفسه، وهي بعنوان (عاصفة على قصر مسروق) وقد نشرها عام 1978م¹.

المبحث الثالث: مضامين المسرحيات الشعرية لبرهان الدين العبوشي

لكل مسرحية فكرة أو هدف يرمي الأديب إلى تحقيقه، حيث يحاول توصيله إلى الجمهور عن طريق عناصر المسرحية المختلفة، ويحشد الأديب كل ما يلزم من شخصيات وأحداث وحوار وإيحاءات ورموز من أجل أن يثبت للمتلقين على اختلاف ثقافتهم أن فكرته صائبة، والفكرة هي التي تحدد موضوع المسرحية سياسية أم اجتماعية... ولا يسوق الأديب الفكرة جزافاً دون مؤثرات، بل لا بد من أسس معينة لعرض الفكرة، كأن تكون ضمن حكاية مترابطة تشدّ الجمهور إلى تفاصيلها باهتمام.

وإذا عرجنا على الأعمال المسرحية الشعرية لبرهان الدين العبوشي، فإننا سنجد له أربع مسرحيات هي: وطن الشهيد، وشبح الأندلس، وعرب القادسية، والفداء.²

المطلب الأول مسرحية (وطن الشهيد)

تعد مسرحية "وطن الشهيد" باكورة المسرح الشعري لبرهان الدين العبوشي، وعند قراءتك للمسرحية تطل عليك فراسة الشاعر، واستشرافه للمستقبل من خلال معايشته للأحداث وبعين بصيرة للأمور، حيث تقع المسرحية في 94 صفحة من الحجم المتوسط، وكانت أول طبعة للمسرحية عام 1947م، في المطبعة الاقتصادية بالقدس الشريف، وتمتد المسرحية في الأعمال الكاملة من صفحة 327-421، وقد أهدى الشاعر مسرحيته إلى الشهيد، وافتتحها بآية من سورة آل عمران: "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ"³، ثم سجل الأبيات الشعرية الآتية في مقدمة المسرحية:

¹ انظر المزيد من عناوين المسرحيات الشعرية الفلسطينية: المسرح الفلسطيني للدكتور كمال غنيم من ص 128-136.

² انظر: _ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 5.

_ الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الرابع، ص 158.

³ آل عمران، آية 69.

الكامل

أهدي الكتاب إلى الشهيد فخير ما يهدي إلى رجل الجهاد كتاب
قد رمت أهديه المكارم كلها فإذا بها من فيضه تنساب¹

وتتكون المسرحية من خمسة فصول باللغة العربية الفصحى "موضوعها سياسي وطني يتعلق بفلسطين، وبيع الأرض، ومؤامرات اليهود، والعمل على رأب الصف العربي، والدفاع عن الأرض الطهور"²، يضم الفصل الأول ثلاثة مناظر، والثاني ثلاثة مناظر، والثالث يضم منظرين، والرابع ستة مناظر، والخامس ثلاثة مناظر.

وقد أصدر العبوشي المسرحية بمقدمة تضمنت سبب تأليفها وأهميتها فقال: "إن كتابي هذا هو الأول من نوعه في فلسطين، إذ صورت فيه بالشعر المتواضع نوايا العدو، وتخيلت ما يضره لنا، واستعنت بالمطالعة والجرائد والأخبار اليومية والحوادث الدامية ... والعقل والعاطفة وتجارب الذين خدموا القضية، استعنت بكل هذا لتصوير مبلغ استعداد العدو وخداعه وبذله وتنظيمه وحيله لنزع فلسطين وما جاورها منا؛ لعل في هذا التصوير حافزا لأمتنا لتتدارك الأمر وتستعد وتحرص على الباقي، وتنظم شملها وتنسى أحقادها"³، ثم يتابع الشاعر "لقد أردت بكتابي هذا وجه الله لا أعتمد على غيره، وإسداء الثناء إلى من عرف الله من أمتنا فضحى ولو بخفقة من قلبه..."⁴.

وقد عالجت المسرحية أحداث القضية الفلسطينية تاريخيا منذ اعتزام الشريف حسين - شريف مكة- إشعال الثورة العربية ضد الدولة العثمانية سنة 1915م، وتنتهي أحداث المسرحية بانتهاء ثورة فلسطين عام 1936م.⁵

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص329.

² تاريخ المسرح الفلسطيني 1918-1948، ص101.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص335.

⁴ نفسه، ص332.

⁵ انظر: الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص394.

يصور العبوشي في الفصل الأول من المسرحية سخط العرب على الأتراك، خلال الحرب العالمية الأولى، وقيام الثورة العربية الكبرى بإشارة من الشريف حسين في الحجاز¹، رغبة منه في إنشاء وطن خاص بالعرب بمساعدة بريطانيا، ويشير إلى تلبية كافة الأقطار العربية لطلقة الثورة التي أشعل فتيلها الشريف حسين في الحجاز، لتمتد الثورة على الأتراك في شتى أقطار البلاد العربية الخاضعة لسلطة الدولة العثمانية، ولا يخفى من مناظر الفصل الأول الشعور بالفقر والفاقة في شتى البقاع العربية التابعة لسلطة الدولة العثمانية.

بينما يصور الفصل الثاني من المسرحية الفرحة الغامرة التي تسود أوساط الزعامة الصهيونية لنجاح مساعيهم في الحصول على وعد بلفور² بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، كما يصور الأمل الذي يساور اليهود بإنشاء دولة خاصة بهم في فلسطين، ثم يصف الاستعدادات التي يجريها قادة الحركة الصهيونية من جمع المال، وتجنيد الشباب، وإنشاء شبكة من الجواسيس، وتجنيد الفتيات اليهوديات ليقمن بأغراض إفساد الشباب العرب، وإيقاعهم في الرذيلة، ثم يصف رسم الخطط للانقضاض على فلسطين، ويهتم العبوشي برسم عظم التبرعات المالية التي يقدمها الغرب لليهود خدمة لغرض إنشاء الدولة على أرض فلسطين، ويظهر الشاعر ممثلاً للضمير الحي في نهاية الفصل، حيث يقوم بدور الناصح.

أما الفصل الثالث فيصور من خلاله سعادة اليهود بالهجرة إلى فلسطين وشراء مساحات واسعة من الأراضي، واكتمال هوائهم برؤية القدس³، ويرسم صورة قاتمة للعرب من خلال سهولة وصول اليهود المهاجرين إلى فلسطين، فقد تملك اليهود الأرض في ليلة وضحاها، وغدا أهل البلاد لاجئين، ولا ينسى أن يذكر بأهم حدث؛ ألا وهو طبيعة الحصول على الأرض من أهلها عن طريق السماسرة الذين باعوا دينهم ووطنهم لقاء دريهمات، كما يشير إلى آليات التزوير والتلاعب في الاستيلاء على الأراضي، ثم يصور حزن العرب على فقدان أرضهم.

¹ انظر: الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين، ص336.

² نفسه ص336.

³ نفسه، ص337.

ويعصور العبوشي في الفصل الرابع كفاح عرب فلسطين الرائع، وبطولة أبنائهم في الدفاع عن فلسطين، وصد الصهيونية عنها، ثم يصف تدفق الشباب العرب من شتى الدول العربية إلى فلسطين، ووقوفهم إلى جانب أبنائها في ميادين القتال، وجريان الدم العربي المتحد في سهولها وجبالها أثناء الثورة عام 1936م، والمعارك التي حدثت بين المجاهدين والجيش البريطاني، ويركز الشاعر على ذكر التفاصيل كأسماء الأبطال المجاهدين، وطبيعة الحوار الذي كان يدور بينهم...¹ وفي نهاية الفصل نرى مجموعة من المجاهدين أسرى لكن معنوياتهم عالية.

ثم يتابع في الفصل الخامس رسم ألوان البطولة التي تحلّى بها شباب العرب في مواجهة بريطانيا والعصابات الصهيونية، حيث يقوم المجاهدون بأسر مجموعة من اليهود كرهائن، لكن الإنجليز يحاصرون الموقع ويفشلون العملية، ويصف إعجاب مندوبي الدول العربية ببطولة عرب فلسطين، وشعورهم بوجوب التضامن مع أهل فلسطين، والعمل على إنقاذ فلسطين بالقتال، لا بتأليف اللجان، وإصدار البيانات، وينتهي الفصل بإبراز الشاعر لجهود المفتي أمين الحسيني وعزم رجال المقاومة على مواصلة الكفاح.

لقد بذل العبوشي جهودا جبارة في تحري الحقائق التاريخية، والوقائع الحربية، وتسلسل الأحداث، ومواقف الأبطال والمجاهدين، ووفق في تصوير البطولة بأزهى الصور، وفي تصوير الشهداء بالصور المشرقة، وقد ساعده على ذلك سهولة النظم، وبساطة الأداء، واستطاع أن يصور نوايا الأعداء، وشر ما يضمرونه، كما استطاع أن ينبه الأمة العربية، ويوقظ مشاعرها.²

يعد العبوشي شاعرا ومسرحيا بعيد النظر، يمتلك من القدرة ما يجعله قادرا على تصوير أحاسيس كل البشر - كما يظهر من خلال مسرحية "وطن الشهيد" خاصة، حيث يصور أحاسيس اليهود وأفكارهم بدقة متناهية - هذا ما نجده في أعماله المسرحية الفذة،³ فالعبوشي من أوائل المسرحيين الذين كتبوا عن فلسطين، وصوروا أحداثها مسرحيا، وهذا إبداع جليل يسجل لبرهان

¹ الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين، ص 337.

² انظر: نفسه، ص 337.

³ انظر: العميرة، محمد، مقالة بعنوان "العبوشي فارس الكلمة المقاتلة"، فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 776.

الدين العبوشي، رغم اعترافه بموضع النقد في مسرحياته¹، حيث قال العبوشي منبها النقاد والأدباء "ليعلم إخواني الأدباء كبيرهم وصغيرهم أنني أردت الشعب، الذي هو موضع العناية، والعرق النابض"²، ولا ضير فهي من أوائل المسرحيات الشعرية التي تؤرخ لطبيعة المرحلة بقلب تاريخي. "فشعراء المسرح في فلسطين غلبت عليهم الموضوعات التاريخية المستقاة من التراث العربي والإسلامي، بينما سعى برهان الدين العبوشي إلى توسيع الدائرة، فعالج مأساة فلسطين، أو نذر المأساة قبل أن تحدث، من خلال وعد بلفور والثورات المتعاقبة التي ناهضت المشروع الصهيوني البريطاني، وهجرة اليهود إلى فلسطين، وقضية السماسرة حتى اندلاع ثورة عام 1936م، وذلك في مسرحية "وطن الشهيد" التي عدّها المسرحية الشعرية الوحيدة التي اهتمت بطرح القضية في وقت مبكر، الأمر الذي يشكل إرھاصا قويا بكل ما جرى بعد ذلك في العام 1948م، وبصرف النظر عن درجة التوفيق التي حالفت هؤلاء الشعراء في كتابة مسرحياتهم الشعرية، وعن إمكاناتهم المتاحة لتوظيف الشعر كأداة درامية، فإن مؤرخ الأدب في فلسطين سوف يعتبر هذه المحاولات إشارة باكراً إلى وجود مسرح شعري في فلسطين، كان يواكب أحمد شوقي وعزيز أباظة في مصر، وأحمد باكثير في اليمن، ما يدل على وعي متقدم في هذا المجال البكر"³.

المطلب الثاني: مسرحية شبح الأندلس

شبح الأندلس مسرحية شعرية طبعت لأول مرة عام 1949م، في مطابع دار الكشف في بيروت، تدور أحداثها حول نكبة فلسطين، ومعركة "جنين" بين العرب والمستوطنين اليهود، وقد كتب العبوشي الأبيات الآتية على غلاف مسرحيته:

مجزوء الكامل

من كان يطمع في الخلود ففي فلسطين الخلود

¹ الخواجا، علي، برهان الدين العبوشي، ص15.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص335.

³ القاضي، محمد حسيب، عن المسرح الشعري الفلسطيني، منتدى مسرحيون، التاريخ: 15-2-2006م.

أبوابها الفـولاذ تفتحها المـدافع والجـنود
فـي قلبها سـكن الشـهيد وبالشـهيد غـدا تـعود¹

وقد أهدى الشاعر مسرحيته إلى فلسطين الباسلة، ومن الإهداء قوله:

المتقارب

بلادي إليك العذاب المذاب بصفحة عمري وهذا الكتاب
فأنت الحياة وأنت الممات وأنت الطعام وأنت الشراب
ستعلو بنودك فوق البنود وتشرق شمسك بعد الغياب
سلام عليك فإن تسلمي فإن الوجود جميل الشباب²

المسرحية عن مأساة فلسطين، ومعركة جنين الكبرى، وجنين هي مدينة الشاعر برهان الدين العبوشي التي أهداها هذه المسرحية، وقدم الشاعر للمسرحية بمقدمة لخص فيها أسباب تأليف المسرحية، وتحدث عن إحساسه بأن ما أصاب بلاد الأندلس ليس بعيدا عما سيصيب فلسطين، ولذلك على أمة العرب عامة، وأهل فلسطين خاصة، أن يستيقظوا من سباتهم، ويجمعوا أمرهم، ويدافعوا عن بلادهم، ويحبطوا مخططات الاستعمار والصهيونية، فبالاتحاد يحافظ العرب على بلادهم، ويجب عليهم أن يعتبروا من غيرهم، وأهم تلك العبر نكبة العرب والمسلمين في الأندلس³، لذلك سمى العبوشي مسرحيته "أخت الأندلس" ثم اقترح عليه بعض الأصدقاء أن يسميها "شبح الأندلس" ففعل.

كما تحدث العبوشي في المقدمة عن مادة المسرحية ومضمونها، واعتذر عن مواطن التقصير لأنه لم يسبق له أن قرأ مسرحية شعرية عربية تجسد مأساة فلسطين، فكان سباقا رائدا في هذا المجال.

تقع المسرحية في ثلاثة فصول من الحجم المتوسط، حيث يتكون الفصل الأول من أربعة مناظر، والثاني من خمسة، والثالث من ثلاثة مناظر، وتمتد المسرحية في الأعمال الكاملة من

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص423.

² نفسه، ص425.

³ الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، 395-396.

الصفحة 423-502، أي أنها تتكون من 79 صفحة، وفكرة المسرحية تدور حول نذر المأساة المحدقة بفلسطين، وزحف الجيوش العربية من الدول المجاورة لحماية فلسطين من الاحتلال الصهيوني وكان ذلك عام 1948م، وتمتد أحداث المسرحية حتى توقيع اتفاقيات الهدنة وضياع البلاد وتشرد أهلها، وقد عرّج على أسباب الهزيمة المدوية للجيوش العربية، وندد بالزعامات والحكام واتهمهم بالتآمر، ومدح الجنود العرب الذين شاركوا في صد العدوان، وعزا سر الهزيمة إلى الساسة.

تدور أحداث هذه المسرحية الواقعية في دوائر متصلة تبدأ ببقعة مفتوحة في إحدى المدن وتنتهي بميدان المعركة فيها، مروراً بمعسكرات المجاهدين ومواضع رباطهم مع إخوانهم في الجيش العراقي وثلة من الجيش السوري؛ ويلعب الدور فيها عشرات الشخصيات الذين يشكلون في مجموعهم دور البطل مع بروز مسرحي محدود للشخصية اليهودية العسكرية في آخر مناظر المسرحية.

يعرض الفصل الأول لبعض الآراء السياسية لبعض الشخصيات الرسمية والشعبية في تلك الفترة، ويلج الشاعر على شعور بالإحباط والتوجس، وقد حرص الكاتب على ذكر أسماء القادة العسكريين المنتصرين في تلك المعركة، وهم "المقدم نوح" و"العقيد الركن صالح زكي" و"الزعيم طاهر الزبيدي"، كما حرص على ذكر جميع القرى والأماكن التي دارت رحى المعركة فيها، وعرج على ذكر قائد الجيوش العربية الإنجليزي "كلوب باشا"، وردد الشاعر أسماء القادة المكافحين والسيدات المشرفات على علاج الجرحى، ثم ذيل الفصل مبرراً ذلك بأنه يرى ذلك ضرورياً، حتى يعلم العالم أن العرب أهل للبقاء، وفيهم مخلصون.

ثم عرض في الفصل الثاني سير المعركة مع التركيز على منطقة "تل خروبة" وهي موقع قيادة الجيش العراقي الذي دافع عن جنين وحماها من الاحتلال، وركز على تفاصيل المعركة، وروح المقاومة التي تحلّى بها الشباب والنساء، ثم يتابع القائد نوح الأحداث برصد المعركة شرقاً وغرباً بالمنظار ويصف الأحداث للجميع... بينما يدخل خشبة المسرح يهود مسلحون يجرون امرأة عربية وطفلها، ويقومون بقتل الطفل خوفاً من أن هذا الطفل عندما يكبر سينتقم لبلاده، ثم يقبل العرب بالهدنة.

ويعرض الشاعر في الفصل الثالث الحسرة والألم على ما حل بفلسطين من مأساة، فقد تشرد أهلها، ونكست رايتها، وهزمت الجيوش التي دخلت إليها من كل الدول العربية لمجابهة مجموعة من العصابات الصهيونية، ويستغرب الشاعر انسحاب جيش الإنقاذ من المدن والقرى العربية، واليهود مازالوا يهاجمون القرى، ويقتلون ويبطشون.

المطلب الثالث: مسرحية عرب القادسية

عرب القادسية هي المسرحية الشعرية الأولى التي خطها برهان الدين العبوشي خارج بلاده فلسطين، فقد كتبها وهو في مدينة الشامية في العراق، وكتب تحت العنوان "فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم"، وفي هذه العبارة إشارات كثيرة أهمها؛ أن يقتدي العرب بأهل معركة القادسية، وكتب الأبيات الشعرية الآتية تحت الإهداء:

الطويل

إلى المؤمنين الثائرين على الأذى	أقدم سفرا لا أريد به كسبا
كفاية ما أرجوه إنقاذ أمة	تكابد دائين؛ المذلة والكربا
ولا تعجبوا إن ذبت في حب أمتي	وأهديتها روح المعذب والقلبا
أقدم هذا السفر ملكا إلى الذي	يدمر رب الغدر صهيون والغربا ¹

وقد كانت الطبعة الأولى لهذه المسرحية عام 1951م، في مطبعة المعارف ببغداد، وتقع المسرحية في ثلاثة فصول من الحجم المتوسط، يتكون الفصل الأول من منظر واحد، والثاني من ستة مناظر، والثالث من خمسة مناظر.

قدم الشاعر للمسرحية بتمهيد ذكر فيه السبب الذي أوحى بالمسرحية لديه، فقد كان يدرس في العراق بمدينة الشامية "فقلت لأستوحين من وحي القادسية شعرا يبعث في أمتي الغافلة إيمانا كإيمان عرب صدر الإسلام في القادسية واليرموك، وزعامة كزعامة قوادهم، فبهذا نعيد السليب من وطن واستقلال"².

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص503.

² نفسه، ص505.

يبدأ الفصل الأول بذكر الماضي التليد للعرب، أيام كانت لا تجاريهم أمة، فيقول زعيمهم للسحابة اذهبي أني شئت فإن خراجك راجع إليّ، ثم تبدل حال العرب فأضحوا في غفلة وذلّ، تستبيح الدول المستعمرة أرضهم، ولا تحسب لهم حساباً، وينتهي الفصل الأول بقول إحدى الشخصيات أنها ستسرد على الحاضرين رواية بطولية لعلّها تعيد العزة للنفوس المنهارة.

ويصف الفصل الثاني فترة تاريخية محددة هي صدر الإسلام، حيث الفرس والروم يسيطرون على بلاد العراق والشام، والعرب والمسلمون يعدّون العدة لفتح بلاد الرافدين ودحر الفرس منها، حيث تبرز شخصيات قيادية إسلامية كـ"خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص..."، وهذا الفصل يعيد القارئ إلى الأمجاد العربية العظيمة التي تثير في النفس كبرياء أجدادنا وعظمتهم، ثم يصف في آخر الفصل الحوار الذي دار بين أمراء الفرس وهم يتعوذون بالنار من شرّ العرب، كما يصف طبيعة الحوار الذي دار بين وفد المسلمين إلى الفرس حيث يستلهم العبوشي الحدث التاريخي بتفاصيله، ويظهر "خالد بن الوليد" في هذا الفصل ليحث بني تغلب على قتال الفرس، وعدم الوقوف موقف المتفرج، وينتهي الفصل باستشهاد المثني بن حارثة الشيباني.

أما الفصل الثالث فيدور حول تجهيز المسلمين للجيش التي ستهاجم الفرس، ودور الشعراء في الحثّ على الجهاد ومنهم "أبو محجن الثقفي"، كما يصف بذل الأمهات ويركز على شخصية "الخنساء"، وينتهي الفصل الثالث بانتصار الحرية وانهزام الاستعمار، حيث يحاول "رستم" الفرار لكنه يقتل في المعركة.

المطلب الرابع: مسرحية الفداء

تعد مسرحية الفداء آخر مسرحية شعرية خطّها برهان الدين العبوشي، فقد كتبها في عام 1968م، بعد مأساة فلسطين الثانية، وقد طبعت لأول مرة في مطبعة البصري ببغداد عام 1968م، وكتب العبوشي تحت العنوان:

مجزوء الكامل

من كان يطمع في الخلود ففي فلسطين الخلود
أبوابها الفولاذ تفتحها المدافع والجنود
في قلبها سكن الشهيد وبالشهيد غدا تعود¹

وقد قدّم العبوشي كعادته في مسرحياته تمهيدا أفصح فيه عن ألمه وضجره لما آلت إليه أحوال العرب والمسلمين، فحار وعجب لأحوالهم، لكنه لم يفقد الأمل والعزيمة، فمدح شباب فلسطين المجاهدين الذين يقاتلون قوى الشرّ والظلام على أقدس تربة وأطهر بلد بعد الكعبة المشرفة، وتمتد المسرحية في الأعمال الكاملة من صفحة 561-602، أي أنها تقع في 41 صفحة من الحجم المتوسط، وهي أصغر مسرحيات العبوشي الشعرية من حيث الحجم.

تتكون المسرحية من فصلين، كل فصل فيها يشمل منظرين، حيث يبدأ الفصل الأول بحوار بين مجموعة من شباب فلسطين المجاهدين عن آليات الدفاع عن الوطن، وافتدائه بالمال والنفوس، حيث يشجع الشباب بعضهم بعضا على الفداء، ويشير الشاعر أثناء الحوار إلى المواقف البطولية، ومظاهر الوحدة والأخوة بين مختلف فصائل الكفاح المسلح الفلسطينية، ثم يتابع الفصل الأول فرحة الصهاينة لما أصابوه من انتصار على الجيوش العربية المختلفة، ويذكرون دور أمريكا في رعايتهم، ويهنئ بعضهم بعضا، ويعدون الخطط لإكمال ما بدأوا به، وينتهي الفصل الأول بحوار بين ثلاثة ضباط يهود، يملكهم الخوف من مصير مجهول.

أما الفصل الثاني فيبدأ بدخول مجموعة من الشباب المجاهدين، يقومون بالاستعداد لجولة من التصدي لأرتال اليهود التي تتقدم نحوهم، ويطلب أحدهم من الآخرين أن يلقوا عليه أبياتا شعرية تنثير في النفوس الحماس والتشجيع، فيبدأ زملاؤه بذكر الشعر العربي القديم لكبار الشعراء، ما يثير في النفوس الحميّة، ويتلو بعضهم آيات القرآن الكريم التي تحثّ على الثبات والمواجهة، وتبشر الشهداء بجنّات النعيم، ثم تبدأ المعركة.

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 561.

المبحث الرابع: الالتزام في المسرح الشعري عند العبوشي

إن المعاني التي تصدر عن أي أديب إنما تمثل رؤية فكرية يلتزم بها، وكذا حال برهان الدين العبوشي، فهو يمثل مرجعية فكرية وطنية مغلفة بصبغة إسلامية، فنراه ينحاز في كل أعماله الأدبية لقضايا أمته وشعبه، فقد عاش النكبات المتكررة بكل مآسيها، وشارك في الحروب المختلفة ذودا عن حمى الوطن، كل ذلك فرض أن يكون للأديب دور فعال في المجتمع.

ولا يعدّ الالتزام ظاهرة غريبة أو جديدة على المجتمعات العربية، فطالما شارك الأدباء في أحداث عصورهم ومجتمعاتهم، وكان لأدبهم صوت مسموع ومشاركة فاعلة "وقد ظلّ الأدب العربي من أكثر الآداب العالمية التصاقا بالسياسة منذ عصوره القديمة حتى اليوم، وكان شأن الأديب يعظم أو يصغر بمقدار انغماسه في السياسة أو بعده عنها"¹، وقد شارك أدباء الشعر والمسرح في نهضة الوطن العربي الحديثة، وعبروا بأدبهم عن تطلعات شعوبهم وآمالها، وكان للمسرح دور ريادي في الالتزام بقضايا الوطن، فهذا برهان الدين العبوشي قد أخذ على نفسه أن يجعل كل إبداعاته لخدمة أمته ووطنه، وأن يكشف للأجيال المتعاقبة طبيعة المؤامرات والمكائد التي يتعرض لها وطنه، حيث يقول العبوشي في مقدمة مسرحية وطن الشهيد: "لقد أردت بكتابي هذا وجه الله لا أعتمد على غيره، وإسداء الثناء إلى من عرف الله من أمتنا فضحى ولو بخفقة من قلبه أو...، ليعلم إخواني الأدباء كبيرهم وصغيرهم أنني أردت الشعب الذي هو موضع العناية والعرق النابض"².

على أن ظاهرة الالتزام لها بعض المحاذير في الأدب المسرحي؛ منها أن يدفع الحماس الزائد الأديب إلى تحويل الحوار في المسرحيات الشعرية إلى خطب رنانة، فتتحول المواقف المسرحية إلى منابر خطابية، وشخصيات المسرحية إلى خطباء حماسيين، ما يضعف النص المسرحي، ويقلل من قدرة الإيحاء والتأثير على المتلقين³، وقد كان المسرح الشعري عند برهان الدين العبوشي جمعياً وطنياً أخلاقياً، همّة التنظيم والترتيب والتعليم والنقد والاختبار.

¹ القط، عبد القادر، من فنون الأدب - المسرحية، بيروت، دار النهضة العربية، 1978م، ص31.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص332-335.

³ انظر: من فنون الأدب - المسرحية، ص32.

المبحث الخامس: عناصر المسرحيات الشعرية

المسرحية عمل أدبي متكامل الجوانب، لا يسهل تقسيمه إلى عناصر مستقلة، لأن كل عنصر من عناصرها لا ينسلخ عن العناصر الأخرى، بل يتفاعل معها، وتنعقد فعاليتها دونه، لكن الدراسة تتطلب من أجل تعميق الفهم ووضوح الفكرة أن نقسم الأعمال الأدبية إلى عناصر¹ فالمسرحية تحتاج عناصر أولية متأخرة لتسميها مسرحية، كالحبكة والشخصيات والأحداث والحوار، ثم تحتاج إلى فكرة محورية ينسجها الأديب في بوتقة متماسكة الأطراف، تقوم على الحوار بين الأطراف المختلفة " والكاتب المبدع هو الذي لا يهتم بعنصر من هذه العناصر على حساب العناصر الأخرى"².

المطلب الأول: الشخصيات

الشخصيات هي النماذج التي تقوم بتنفيذ الأحداث الدرامية في المسرحية، ويدور على أسننتها الحوار الذي يكشف عن طبيعتها، وتقسّم الشخصيات من حيث التطور إلى؛ شخصيات نمطية تسير باتجاه واحد، يمكن التنبؤ بما ستقول أو ما ستفعل، وشخصيات نامية متطورة، سلوكها غير متوقع، بعكس الشخصيات النمطية.³ ومن أبرز الشخصيات في المسرح الشعري شخصية البطل، حيث تدور معظم الأحداث المسرحية حول هذه الشخصية، وتبقى أطول مدة ممكنة في الحوار مع الشخصيات الأخرى، وهذا لا يعني إلغاء الشخصيات الأخرى "وقد تغير مفهوم البطل المسرحي بتغير المجتمع الإنساني، فكان البطل في المسرحية الإغريقية ملكا أو أميرا أو قائدا، أما في العصر الحديث فقد ظهرت طبقات جديدة لها دور كبير في المجتمع كالمتقنين والفلاحين والعمال وعامة الشعب"⁴

¹ انظر - من فنون الأدب - المسرحية، ص11.

- المسرح الفلسطيني دراسة تاريخية نقدية في الأدب المسرحي، ص 258.

² المسرح الفلسطيني دراسة تاريخية نقدية في الأدب المسرحي، ص258.

³ انظر: معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، ص93. عن كتاب المسرح الشعري، ص277.

⁴ من فنون الأدب - المسرحية، ص27-28.

لقد أغرق برهان الدين العبوشي مسرحياته بالشخصيات الكثيرة، حتى ليربو عدد الشخصيات في مسرحية "وطن الشهيد" عن مائة شخصية، من بينها شخصيات فاعلة لها دور البطولة كشخصية الشريف حسين، وشخصيات ليس لها حضور حتى بالاسم مثل "أربعة عشر مجاهدا"، وشخصيات نمطية غير متطورة مثل "المرأة اليهودية" التي تتبع شرفها، وتتاجر بعرضها لصالح الحركة الصهيونية، رغبة في إفساد الشباب، والحصول على الأرض والمال، وشخصيات رمزية يحركها الشاعر ولها حضور بارز في الذاكرة الفلسطينية مثل؛ الأمين- رئيس الهيئة العربية العليا-، وحلمي- أحمد حلمي باشا-، وجمال- نائب رئيس الهيئة العربية العليا-.

كما يلجأ العبوشي إلى طرح شخصيات مجهولة دون أسماء أثناء الحوار، مثل "رجل"، و"شاعر"، و"بنت"...، ويلجأ أحيانا إلى ذكر عدد الأشخاص ليحقق هدفا معينا مثل "تسعة عشر من معتقلي صرند"، و"وأربعة جرحى من دول عربية"... فذكر أسماء الشخصيات في هذه الحالات غير ضروري، بل العدد هو الذي يحقق الهدف.

إنّ العبوشي حال ذكره الشخصيات النسائية-غالبا-، لا يذكر اسم الشخصية تصرّحا، بل يقول: امرأة أو بنت أو زوجة، كما في مسرحيات "وطن الشهيد"، و"شبح الأندلس"، أما في مسرحية "الفداء" فقد ذكر أسماء شخصيات نسائية مثل، فاطمة وتماضر؛ ولعلّ ذلك يعود لطبيعة الدور العظيم الذي قامتا به في المسرحية، بينما تخلو مسرحية "عرب القادسية" من الشخصيات النسائية باستثناء الخنساء.

بينما تحظى الشخصية النسائية اليهودية بحضور لافت في مسرحيات العبوشي، وخاصة مسرحية "وطن الشهيد"، حيث تقوم سارة بدور العاهرة التي توقع أصحاب الأرض في حبائلها الواحد تلو الآخر خدمة لبني قومها، كما تقوم "شوشانة وراحيل" مع خليل الفلسطيني بنفس دور سارة، فتحاولان الإيقاع به، وإغراءه عن طريق شرب الخمر، والتسلية مع الفتيات.

كذلك تظهر الشخصية النسائية العميلة في مسرحية "عرب القادسية" وتمثل هذا الدور شيرين، حيث تحاول أن تخترق صفوف المسلمين، وتستكشف الأخبار لترسلها إلى الفرس، وتجد

لها عوناً وهو محمود، لكن أمرها لا يلبث أن يفتضح، وتقع في شباك المسلمين مع محمود الذي حاول مساعدتها.¹

لقد اعترف برهان الدين العبوشي في نهاية مسرحية "وطن الشهيد" بكثرة أشخاص المسرحية، لكنه اقر بأن السبب تمجيد أولئك الأبطال المجاهدين، بل اعتذر عن عدم ذكره لأسماء الكثير من الشهداء الذين يجهل أسمائهم، وترك ذكر أسمائهم للشعراء من بعده" لقد وجب علينا أن نمجد الشهيد، ونرفع رايته فوق كل راية، فالشهادة في العروبة والإسلام أعظم غاية، وهي مثلها الأعلى، ولقد آن لنا أن نعطي كل مجاهد حقه، مادامت عروبتنا من مبادئ العدل والوفاء".²

لقد برزت شخصية برهان الدين العبوشي بوضوح في مسرحياته، وخاصة عندما يتعرض لذكر الشخصيات اليهودية، والمتعاونين مع اليهود، فنراه يعبر عن الشخصية اليهودية بشكل رائع، حيث تظهر الكثير من اللمحات الذكية في الحوار بين الشخصيات اليهودية.³

أما الشخصيات التراثية التاريخية فقد أضفى عليها العبوشي لمحة من العظمة والكبرياء، وذلك واضح من خلال الحوار في مسرحية "عرب القادسية"، وخاصة عندما يتحدث خالد بن الوليد، أو سعد بن أبي وقاص، حيث يعرض العبوشي الشخصيات التاريخية ليقندي بها عرب هذا الزمان، فمن الطبيعي أن يكون للشخصيات عزة وكبرياء⁴، فكاتب المسرحية التاريخية لا يختار الأحداث التاريخية والشخصيات عبثاً في إطار النص المسرحي، بل يختار ما يرى أنه ذو دلالة خاصة قد تكون نفسية أو أخلاقية أو اجتماعية أو سياسية، ثم يحاول أن يعرض تلك الدلالة في بناء فني متكامل، تتحقق فيه السمات الفنية للمسرحية.⁵

¹ انظر: فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 526-527.

² نفسه، ص 333.

³ انظر: نفسه، ص 358-366 ، وكذلك ص 372-378.

⁴ انظر: نفسه، ص 518-532.

⁵ انظر: من فنون الأدب - المسرحية، ص 51.

أما الشخصية اليهودية في أعمال العبوشي المسرحية فهي شخصية نمطية، يكن لها العداء لأسباب كثيرة أهمها الناحية الأخلاقية، فهو يرى في أخلاقهم تهديدا للأخلاق العربية الريفية الأصيلة¹، حيث نرى العبوشي عندما يتعرض لذكر اليهود في مقدمة مسرحيته "وطن الشهيد" يصفهم بالعصاة والمتمردين على الله والرسول بل وعلى أنفسهم "إن أخلاقهم شذت قبل الإسلام وبعده، وستظل ماثلة فيهم إلى يوم البعث"²

إن رؤية العبوشي وموقفه من اليهود يستمدهما من الإسلام العظيم، فهو ينطلق من رؤية إسلامية عربية ريفية، ولا يفرق بين اليهودية والصهيونية، بل كلهم سواسية³، يقول العبوشي في مسرحية "وطن الشهيد" واصفا اليهود:

البسيط

يا أيها الطامعون المفسدون إذا	أخفيت الغدر فالعلام يفضحه
كدتم لموسى فتهتم في فداها	وكل كيد فسوف الحق يكبحه
أردتم الملك رغم الله ويحكم	الملك للمؤمنين الله يمنحه
أنا الملاك سفير الرسل أنذركم	أن لا تعيثوا فخير النصح أفصح ⁴

إن النصوص المسرحية تجسد نفس الأفكار التي عرضها العبوشي في مقدمات مسرحياته، فاليهود كما يظهرون في مختلف المسرحيات ماكرون، خداعون، حاقدون، لا يمتون للأخلاق بصلة، يسودهم الطمع والمكر والأنانية، بل هم جبنا.

كما تتصف الشخصيات اليهودية بـ "حب المال، والتعالي على الآخرين، وهي أيضا لا ترى ضيرا في استعمال الرشوة والخداع والكذب واللجوء إلى الإيقاع بالآخرين، كل هذا من أجل الوصول إلى أهدافها"⁵.

¹ انظر: الأسطة، عادل، اليهود في الأدب الفلسطيني بين 1913-1987م، ط1، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 1992م، ص28،

² فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص331.

³ انظر: اليهود في الأدب الفلسطيني بين 1913-1987م، ص27.

⁴ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص368.

⁵ انظر: اليهود في الأدب الفلسطيني بين 1913-1987م، ص31.

إن الشخصيات اليهودية متشابهة في السلوك على الرغم من اختلافها في التفكير، فمثلاً في مسرحية وطن الشهيد نجد أن "وايزمان" يهودي علماني، بينما "الياهو" يهودي مؤمن بالتوراة إيماناً عميقاً، وكان العبوشي يود أن يقول لنا إن اليهود مهما تغير نمط تفكيرهم إلا أن ولاءهم ليهوديتهم أولاً وأخيراً¹.

المطلب الثاني: الحوار

إن أهم ما يلاحظه المتلقي في المسرحيات على اختلاف أنواعها عنصر الحوار، فليس هناك راو يقص علينا أحداث المسرحية، ويعرفنا بالأشخاص والأحداث والعلاقات المختلفة كما في الرواية أو القصة على سبيل المثال، بل تكشف شخصيات المسرحية عن نفسها وطبائعها بواسطة الحوار²، فمهما اختلفت المسرحية كفن مع الفنون الأدبية الأخرى إلا أنها تعتمد على حدث يتجلى أمام المتلقين عن طريق الحوار، ومن خلال التفاعل بين شخصيات المسرحية عن طريق الحوار يمكن للأديب أن ينسج البناء الفني للمسرحية.

"إن الحوار هو الأسلوب أو اللغة التي تدور على لسان الشخصيات، وتكشف عن الصراع بينها، وتوصل إلى فكرتها الأساسية التي يهدف الكاتب إلى الوصول إليها، والحوار المسرحي حوار نموذجي يمثل طبيعة الحوار في واقع الحياة، فالمتحدث في المسرحية يعبر عن عواطفه وأفكاره بلا تلثم أو تردد أو خروج عن الموضوع"³.

"والمسرحيات الشعرية تمتاز بزيادة العبء الفني على صعيد لغة الحوار، إذ أن الكاتب مطالب بالتعبير الشعري وفق متغيرات الحدث واختلاف الشخصيات ووحدة الصراع"⁴ كما أن المسرحية الشعرية تفرض على مؤلفها بعض القيود في رسم المواقف، وإجراء الحوار⁵ إذ يحاول برهان الدين العبوشي أن يحصر المواقف التي يستطيع من خلالها التعبير شعراً عن

¹ انظر: اليهود في الأدب الفلسطيني بين 1913-1987م، ص31.

² انظر: من فنون الأدب - المسرحية، ص11.

³ من فنون الأدب - المسرحية، ص33.

⁴ المسرح الفلسطيني دراسة تاريخية نقدية في الأدب المسرحي، ص408.

⁵ من فنون الأدب - المسرحية، ص33.

طبيعة الأحداث، فالملاءمة بين الموقف والمستوى الفني لم يمثل مشكلة بالنسبة للعبوشي، فلم ير من بأس في اقتراب شعره من لغة الحوار العادي البسيط، ومواقف الحياة اليومية، إذ إن ما يهمه هنا هو إيصال الفكرة عن طريق الحوار إلى كافة المتلقين. ذلك أن الهدف من المسرح الشعري ترويح المعنى الذي تريد كل شخصية مسرحية أن يقتنع به المتلقي¹.

تمتاز مسرحيات برهان الدين العبوشي بالنبرة الخطابية الثورية أكثر من لغة الحوار العادي بين الأشخاص، ففي بعض المواطن في المسرحيات - منها الحوار بين مندوبي الدول العربية - تشعر أن لغة الحوار هي عبارة عن بعض المقطوعات الشعرية القصيرة تجمعت مع بعضها فشكلت مسرحية شعرية، ولو قارنت بين قصائد العبوشي في دواوينه والمقطوعات الشعرية في مسرحياته لوجدت أن لغة الحوار واحدة، تعلوها النبرة الخطابية المؤثرة التي تبعث في النفوس روح الحماس،² فمثلا في الحوار الذي يجمع بين مندوبي الدول العربية، حيث يعبر كل مندوب منهم عن وجهة نظره بمقطوعة شعرية، لا تكاد تجد الحوار إلا على شكل مقطوعات شعرية دون تداخل في لغة الحوار بين الشخصيات، يقول مندوب مصر في مسرحية "وطن الشهيد":

الوافر

رأينا في الأحبة كل خير	فهيا نبحت الخطب الجسيما
فلسطين بها الأحزاب كثر	وكل نهجه أضحى قويا
فهلّا إن جمعناهم جميعا	نلاقي عندهم رأيا سليما ³

ويكمل المندوب المصري كلامه، ثم يرد عليه مندوب لبنان:

الوافر

مصيبتهم مصيبتنا وإنّي أرى هذا المصاب بنا قديما

¹ سلام، أبو الحسن، مقدمة في نظرية المسرح الشعري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2006، الاسكندرية، ص177.

² انظر: تاريخ المسرح الفلسطيني، ص110-111. وكذلك: المسرح الفلسطيني، ص408.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص414.

وتلك خطيئة منا فلو لا تخاذلنا لما هبنا الغريبا
فُتِنَّا بالغريب وكان داء وأسكناه جنتنا نعيما¹

وهكذا تدور لغة الحوار دون أي تدخل في الأبيات الشعرية.

وهذا لا يعيب برهان الدين العبوشي في شيء، فهو من رواد المسرح الشعري الفلسطيني، ولم يكن لديه اطلاع كامل على أسس المسرحية الحديثة، بل أطلق مسرحياته لتصل إلى الشعب فهو موضع العناية، ثم إن طول النفس في الحوار داخل المسرحيات الشعرية يعبر عن الروح الحماسية العالية التي تتطلق من شاعر خبر الأمور، وأراد أن يبيث آماله وآلامه إلى بني وطنه.

لكن ذلك لا يعني أن الحوار في مسرحياته كلها سار على تلك الشاكلة من المباشرة والخطابية، فقد نوع العبوشي في لغة الحوار، فتجد مثلا بيتا شعريا واحدا يأتي على لسان أكثر من شخصية في مسرحياته، ومن ذلك في مسرحية "عرب القادسية" حيث ورد بيت شعري على لسان ثلاثة أشخاص ضمن الحوار:

الطويل

خالد: فقيم انتبذتم جانب السلم أفصحوا

وجدناه خيرا

عدي:

قد وجدناه أحزما²

ساهي:

وهذه السمة في شعر العبوشي ليست نادرة، بل تشكل ظاهرة في مسرحياته³، كذلك يكثر أن يأتي بيت شعري ضمن الحوار على لسان شخصيتين في مسرحيات العبوشي، ومن ذلك في مسرحية "عرب القادسية":

سبيل الحرب

سعيد: عرفنا دربنا ولذا سلطنا

فليعش الفداء

فاطمة:

عياض لسعيد: وهل جندت؟

¹ فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص414.

² نفسه، ص578.

³ انظر: نفسه، ص574-575.

سعيد: ألفا خير ألف أسودا لا يفل لها مضاء

عياض: وما لقتهم

سعيد: كتمان سرّ وتضحية إذا حتم القضاء¹

إن أهم ما يميز مسرحية (الفداء) عن باقي مسرحيات برهان الدين العبوشي أن لغة الحوار فيها قصيرة، وسريعة ومتسلسلة بشكل متقن، فلا تكاد تتكلم الشخصية الأولى حتى تدخل الشخصية الثانية الحوار مبدية رأيها في شطرة شعرية أو أقل.

وفي كثير من المواطن يدخل الشاعر الحوار المسرحي ويتقمص شخصية الناصح لإخوانه، لكنه يمثل لغة حوارية خطابية، ويطيل في عرضه للموضوعات المختلفة، ولعل ذلك يدل على حجم الحرقه والألم اللذين يعتصران الشاعر لما لاقته أمتة من ذل وهوان، "قالمسرحية الشعرية خلق لعالم كامل ومتفرد يقوم على معايشة وجدانية شعورية كثيرة الظلال والايحاءات، ولا ينبع الشعر فيها من صليل القوافي المتتابة... ولكن من علامات تحدد انتظام هذا العالم وتشير الى التنوع والصراع فيه"²، يقول الشاعر في مسرحية "شبح الأندلس":

الكامل

أسمعت همس الناس في أيار	حسبوه شهر مكارم وفخار
هذي المعارك عند سلمة أضرمت	وشبابها وثبوا لغسل العار
وقفوا وقوف الليث واقتحموا العدا	وأسودها لم يذعنوا للنار
وشباب يافا قارعوا العادي فما	لانت قناتهم إلى الفجار ³

المطلب الثالث: الحكمة

"الحكمة هي التنظيم العام للمسرحية، وهي عملية هندسة وبناء الأجزاء المسرحية، وربطها ببعض بهدف الوصول إلى تحقيق تأثيرات فنية وانفعالية، فكل مسرحية حتى لو كانت

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي ص578.

² عبد القادر، فاروق، تنويعات على لحن الثورة المحاصرة، مركز القدس للأبحاث، منشورات الوكالة الفلسطينية، القدس، ط1، 1987، ص18.

³ نفسه، ص439.

عشية لا تخلو من الحكمة، أي من الاشتغال على الحوار والشخصيات والأحداث، وبالتالي لا يمكن فصل الحكمة عن جسم المسرحية إلا نظرياً؛ لأنها هي روح العملية الدرامية¹، فكل مسرحية مهما كان نوعها، ومهما تنوعت أفكارها لا بد لها من حكمة تتأزر فيها الشخصيات مع الحركة الدرامية مع اللغة المتنوعة من محور إلى آخر، فالحكمة أساس المسرحية ولا يمكن فصلها عن جوهر العمل المسرحي، فمصطلح الحكمة من بين المصطلحات الدرامية الهامة، التي تهتم بالتنظيم العام لأجزاء المسرحية، أي ترتيب الأجزاء إلى بعضها في أسلوب ما.

"والحكمة تختلف من كاتب إلى آخر، بل ومن مضمون إلى آخر، ومنذ أرسطو والباحثون يرون تقسيم الحكمة إلى نوعين؛ هما: الحكمة البسيطة، والحكمة المعقدة، وبعد 18 قرناً أضافوا لها نوعاً ثالثاً، وهو الحكمة المركبة"². والحكمة عند العبوشي من نوع الحكمت البسيطة التي يمكن التنبؤ بها، وهي واقعية بعيدة عن الخيال والأسطورة.

ومما يميز مسرحيات برهان الدين العبوشي وجود حكمة رئيسة تتلوها حركات ثانوية، لا تضعف من الحكمة الرئيسية، بل تزيد قوة ومتانة، وتؤكد في إطار النص المسرحي، فالافتقاء بحدث رئيس واحد قد يجعل مجال الإبداع ضيقاً، ويُشعرُ المتلقين أن الحكمة تسير في خط مستقيم ضيق يبتعد عن طبيعة الحياة، فقد رسم العبوشي في مسرحية "وطن الشهيد" حكمة متماسكة ملتزمة بالوقائع التاريخية، حيث تتمثل الحكمة الرئيسية في جهود العرب للتخلص من جيروت الدولة العثمانية، وأردف هذه الحكمة بثلاثة محاور هي: جهود الشريف حسين في الثورة على تركيا، وتأجيج مشاعر العرب، ثم جهود اليهود في جمع المال لشراء الأراضي، وتجنيد الجيش، وأخيراً جهود المواطنين العرب في التصدي للإنجليز والعصابات الصهيونية، وما لقوا من قتل وتشرد واعتقال، لكن انتقال العبوشي من فكرة إلى أخرى كان سريعاً، ما يضعف التواصل بين فصول المسرحية، ولعل ذلك يعود إلى التزام العبوشي باعتماده حرفياً على الواقع مع شيء من الخيال المسرحي، فقد استعان بالجرائد والمجلات والأخبار اليومية، والحوادث

¹ حمادة، إبراهيم، معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، القاهرة، دار المعارف، 1985م، ص93، عن كتاب: المسرح الفلسطيني دراسة تاريخية نقدية في الأدب المسرحي، ص264.

² القضابي، أحمد عادل، مقالة بعنوان "الحكمة"، بتاريخ: 5-8-2009م، موقع maktoobblog.com.

الدائمة، والتحليل والعقل والعاطفة، وتجارب الذين خدموا القضية في بناء مسرحيته¹، فقد تضافرت الموضوعات الثانوية مع الموضوع الأصلي في تحقيق وحدة الأثر العام في المسرحية.

"ومن المعلوم أن الحبكة هي التي تعطي المسرحية قوامها، فهي ترتيب للأحداث، وتحديد للشخصيات وما تنطق به من حوار، بحيث تتحدد معالم الشخصيات بفضل تلك الحبكة، ويتحقق الهدف الذي يرمي إليه المؤلف من مسرحيته، وما تنثيره من أفكار وانفعالات"².

أما مسرحية "شيخ الأندلس" فقد استفاد العبوشي فيها من تجربته السابقة، فدعم من التواصل المباشر بين فصول المسرحية، فجاءت حبكة "صدى لآلام أمة عربية لم تذوق طعم الكرى سحابة ثلاثين عاما، وهي في حلبة الجهاد ومعارك البطولة"³، فالحبكة الرئيسة تدور حول إحساس الشاعر بأن ما أصاب بلاد الأندلس ليس بعيدا عما سيصيب فلسطين، ثم تدعم فصول المسرحية ما أراد الشاعر إيصاله للجمهور، من الإحساس باليأس والحسرة، ثم تتبدد الحسرة بدخول الجيوش العربية مع التركيز على الجيش العراقي، وتنتهي باحتلال العصابات الصهيونية لأجزاء واسعة من فلسطين.

أما مسرحية "عرب القادسية" فقد اختلفت حبكة نتيجة ما أصاب الأمة من وهن وضعف وهزائم، فلجا العبوشي إلى بطون كتب التاريخ ليخرج لنا بمسرحية تاريخية تعكس ارتداد الشاعر إلى روح التاريخ لبناء حاضر جديد، فكتب على جدار مسرحيته "فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم"⁴، وأهم ما يميز حبكة هذه المسرحية أن التاريخ يدخل في الفصل الثاني منها كأداة درامية ليتشبه عرب اليوم بأجدادهم، ويثير النخوة والعزيمة في روح الشباب، فالفصل الأول يبدأ بحوار يضم الشاعر وجماعة من الشباب، يسير الحوار بشكل نمطي إلى أن يصل "عقيل" إلى إنهاء

¹ انظر: فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص335.

² مندور، محمد، المسرح، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1963م، ص83.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص431.

⁴ نفسه، ص503.

الحوار المر؛ لأن فيه الهزيمة، ويخرج المسرحية إلى فضاء التاريخ حيث أبطال معركة القادسية خالد وسعد والمثنى...مستلهما الحكمة من وحي معركة القادسية.

وينتهي العبوشي أعماله المسرحية بمسرحية "الفداء"، حيث تدور حبكة حول تمجيد الأبطال والشهداء الذين شاركوا في التصدي للعصابات الصهيونية، وإثبات النشاء لكل من ضحى من أجل الوطن، ثم يدعم حبكة الرئيسة بمشاهد لحال اللاجئين الفلسطينيين، وما حل بهم ملقيا اللوم على الساسة الذين طعنوا الفداء زلفى لـ"إسرائيل"، ويبرز انبثاق الفجر الجديد بانطلاق الكفاح المسلح والثورة الفلسطينية ضد الاحتلال.

إن أهم ميزة تتميز بها مسرحيات برهان الدين العبوشي هي وحدة الموضوع، فوحدة الموضوع تشكل العمود الفقري للمسرحية؛ "حتى لا تأتي مفككة غير مترابطة أو متعارضة متناقضة الأحداث، ما يذهب بالأثر النهائي الذي تسعى إلى توليده في النفوس"¹.

المطلب الرابع: الحدث وارتباطه بالزمان والمكان

الحدث الدرامي هو كل واقعة تحدثها الشخصيات في حيزي زمان ومكان المسرحية، مساهمة في تشكيل الحركة الدرامية، ويتكون الحدث أو الفعل الدرامي من حركات الممثلين الجسمية بالإضافة إلى كلمات الحوار التي تصور العواطف وردود الأفعال².

والحدث في المسرحية مبني على فكرة الاختيار والعزل³، حيث يختار الأديب من الحياة ما يرى أنه صالح ليكون مادة لعمله المسرحي، وما يرى أنه يثير اهتمام المشاهد، وينقل إليه المعاني والأفكار التي يرغب في عرضها، فإذا اختار الكاتب حدثا معيناً عمد إلى التركيز على ذلك الحدث، وعزله عن بقية الأحداث⁴.

¹ المسرح، ص 83.

² انظر: معجم المصطلحات الدرامية، ص 99-179، نقلا عن: المسرح الفلسطيني، ص 327.

³ انظر: من فنون الأدب - المسرحية، ص 12.

⁴ انظر: المسرح الفلسطيني، ص 327.

لم يلجأ برهان الدين العبوشي إلى نزع الحدث عن ارتباطه بالزمان والمكان، بل أكد هذا الارتباط في معظم أعماله المسرحية، ومن ذلك مسرحية "وطن الشهيد" حيث يبدأ الفصل الأول بحوار بين الشريف حسين وأبنائه عن أحوال دمشق، وجمال باشا، وسخط العرب على الدولة العثمانية، وأنه إن لم يتحسن الحال سيدافع عن العرب بالسيف، ولن يسكت على الضيم، ويدور الحوار في بيت الشريف حسين بمكة المكرمة:

الطويل

ألا خبروني عن دمشق وأهلها وعما جرى في الشام من ظلم ظالم
سمعت بأن الترك عاثوا وأفسدوا وأن (جمالاً) قد أتى بالعظماء
فإن صحّ ما قالوا فيا ويح أمهم إذا نحن ثرنا بالأسود الضراغم¹

هذا الحوار يمثل مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى، حيث استبدت الدولة العثمانية بالعرب، وأذاقتهم أصناف العذاب، وفي ظلّ هذه الأزمة دخل على الشريف حسين رسول الإنجليز، يحثه على طلب الدعم العربي وعقد حلف ثنائي ضد الدولة العثمانية، فرحب الشريف حسين بالموضوع، مشترطاً الحصول على دولة عاصمتها مدينة القدس:

البسيط

بلّغ رجالك أني شاكر لهم ودادهم وجميل كل ما كتبوا
لكن تاجي بغير القدس منقص فإن رضوا سألبّي كل ما طلبوا²

ثم يؤذن للصلاة فيقوم الجميع، وينقل العبوشي الحدث في المنظر الثاني من الجزيرة العربية إلى لبنان، حيث القحط والمحل والفقر، ويناجي الشاعر بيروت:

مجزوء الكامل

ماذا دهالك فقد تلاشى النور واربد الفضاء
والناس في هرج وفي مرج وقد عمّ البلاء

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 337

² نفسه، ص 340

عنيت الوجوه لربها الرحمن تسأله الغداء
الموت يحصد أمتي وجمال ينعم في الرخاء¹

نلاحظ من خلال انتقال العبوشي من مكة إلى لبنان رغم بعد المسافة الجغرافية، والانتقال السريع من مكان إلى آخر، أنه كان قد أبدع في ذلك، فقد ربط بين الأماكن المختلفة التابعة لسلطة الدولة العثمانية، ثم يعود الشاعر في المنظر الثاني إلى مكة المكرمة حيث مجلس الحسين بن علي وجماعته، ويتحاور الحسين مع أبنائه حول خطورة التحالف مع الإنجليز، فيدخل عليهم رسول الإنجليز يحمل كتاباً من (مكماهون):

البسيط

مولاي قد جئت والبشرى على عجل وما اشتترطت على الأحلاف مقبول
فقدسكم وبلاد العرب حقم وشرطكم بوفاء العهد مكفول²

ثم يهبط الحسين بن علي فيطلق رصاصة الثورة ضد الدولة العثمانية، ثم ينتقل العبوشي إلى الفصل الثاني حيث يجلس زعماء اليهود على المسرح فرحين مستبشرين بالنصر على العرب، وحياسة وعد بلفور بالوطن القومي في فلسطين.

لكن الانتقال في الحدث على صعيد الزمان والمكان انتقال سريع، فمرة من الجزيرة العربية، ومرة من بيروت، ومرة من فلسطين، فقد افتقرت المسرحية إلى تسلسل الحوادث ووحدتها، فتبدل المشاهد سريع، والانتقال من مكان إلى آخر فجائي دون مقدمات³. وقد سارت أحداث مسرحية "وطن الشهيد" في خط مستقيم، دون صعود أو هبوط، فكانت أقرب للسرد التاريخي والوصفي، ومن ذلك تصوير الأحداث الحياتية بشكل حرفي للسجناء، من خلال الحوار⁴، كما أن المواقف العربية لا تظهر من خلال الحدث بقدر ما تظهر من خلال الحوار، في أسلوب أقرب للسرد في كلام مندوبي العرب⁵، ويمتد الحدث في أماكن متباعدة من بغداد لبيروت وفلسطين ومكة المكرمة، كما أن زمن الوقائع يمتد من ثورة الحسين على تركيا حتى

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 341.

² نفسه، ص 346.

³ انظر: تاريخ المسرح الفلسطيني، ص 110.

⁴ انظر: فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 391.

⁵ انظر: نفسه، ص 414-415.

لحظة تخلي بريطانيا عن الانتداب على فلسطين، تمهيدا لتأسيس الدولة اليهودية، وصولاً إلى استعداد العرب لمنع ذلك¹، لكن تباعد الأماكن في النص المسرحي له ما يبرره؛ فقضية فلسطين كانت محلّ اهتمام كافة الدول العظمى، ينتقل العبوشي في النص المسرحي من دولة إلى أخرى في فصول المسرحية ليدلل على عظم اهتمام الأطراف المختلفة بالقضية الفلسطينية، واختلف هنا مع الجوزي وغنيم في أن تباعد الأماكن يقلل من قيمة العمل المسرحي، فالانتقال من مكان إلى آخر يزيد من عنصر التشويق، ويدل على أن الأقطار العربية تجمعها قوميتها وتوحد بينها.

أما في مسرحية "شبح الأندلس" فلم يتجاوز العبوشي في فصوله المسرحية، المسرح وساحة المعركة، حيث بقي عنصر المكان محدوداً، وكذلك عنصر الزمان، فلم تتجاوز الفترة الزمنية مرحلة انتهاء الانتداب البريطاني، وبداية الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين.

ثم يعاود العبوشي التباعد في عنصر الزمان خلال الفصل الثاني من مسرحية "عرب القادسية"، حيث يبدأ الفصل الأول مع بداية الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، فقد كان الوضع مأساوياً وأراد أشخاص المسرحية الخروج من الوضع المأساوي، فعادوا بالزمن إلى عصر صدر الإسلام، زمن خالد وسعد والمثنى، لعل الرجوع إلى عصر صدر الإسلام يسلي النفوس، ويعلي الهمم، وينتقل العبوشي في مناظر الفصل الثاني والثالث من الجزيرة العربية إلى بلاد الفرس ذهاباً وإياباً.

أما مسرحية الفداء فقد انحصر عنصر المكان والزمان فيها، فالزمان عام 1967م حيث احتل اليهود ما تبقى من فلسطين، والمكان البراري والتلال والسهول، داخل الخيام وأحياناً في ساحات القتال، والخيام هنا للدلالة على حجم التشرد ومرارة اللجوء.

¹ انظر: المسرح الفلسطيني، ص338.

الفصل الثالث

المذكرات "من السفح إلى الوادي ألبّي صوت أجدادي"

مقدمة

المبحث الأول: دوافع العبوشي في كتابة مذكراته.

المبحث الثاني: أهمية مذكرات العبوشي.

المبحث الثالث: وصف مذكرات العبوشي.

المبحث الرابع: مضمون مذكرات العبوشي.

المبحث الخامس: أسلوب العبوشي في مذكراته.

الفصل الثالث

المذكرات "من السفح إلى الوادي أُلبي صوت أجدادي"

مقدمة

"يعدّ فنّ المذكرات من أقدم أنواع الفنون، فقد لجأ إليه العلماء والسياسيون والزعماء والقادة، حيث يحفل التاريخ بالمذكرات المتنوعة التي خلفها الأقدمون، ما يثري رصيدنا المعرفي وينميّ تجاربنا في الحياة"¹، وقد ظهرت المذكرات منذ القدم مسجلاً لأحداث التاريخ البارزة، أو معنياً بالشخصيات المعاصرة للكاتب، وذاعت في الآداب العالمية خلال القرون الوسطى، وأصبحت في العصر الحديث من الفنون الأدبية الرائجة"².

والمذكرات نوع من العمل الأدبي يتبع الأديب في كتابتها إما على تسلسل الأيام، وإما بشكل متتابع لأهم الأحداث، ولا يكتب فيها إلا ما هو ذو أهمية، يبرز قضية، ويوضح مشكلة من مشكلات العصر الذي يعيشه، وقد يتوقف عند شخصية أثرت فيه وفي عصره، وقد يكثر من ذكر ما يمر في حياته. فالمذكرات "سرد كتابي" لأحداث جرت خلال حياة المؤلف، وكان له فيها دور"³.

وقد عدّ برهان الدين العبوشي المذكرات جنساً أدبياً، لأنها ليست بحثاً في التاريخ تدعمه المراجع والوثائق، ولأنها ليست تأملات فلسفية قابلة للمناقشة، وإنما هي اجترار الماضي واستبطان أحداث ماضية أسهم فيها الكاتب، وبتدوينها يمنحها دفء الحياة، وتألّق الحركة والنشاط، حيث يقول العبوشي "لا أريد أن ألبس ثوب المؤرخ، فكتابي ليس للتأريخ، وإنما هو للتلميح والتلميح"⁴.

¹ انظر: أبو شريفة، عبد القادر، إشكالية مصطلحات أدب السيرة، بحث ضمن كتاب أدب السيرة والمذكرات في الأردن، ط1، 1999م، ص13.

² عبد النور، جبور، المعجم الأدبي، ص246.

³ المعجم الأدبي، ص246.

⁴ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص672.

المبحث الأول: دوافع العبوشي في كتابة مذكراته

إن كاتب المذكرات حينما يكتب مذكراته لا يكتبها هكذا عشوائياً، وإنما يسجلها جراء بعض الدوافع التي تجره إلى الكتابة، ليحفظ بذلك تاريخ حياته مرتبطاً مع الأحداث المختلفة التي عايشها وكان له دور فيها، وهذه الدوافع تختلف من كاتب إلى آخر تبعاً للظروف المختلفة، لكن ذلك لا يعني أننا لا نجد كاتبين يشتركان في سبب واحد، وهذا يعني أن الأسباب كثيرة والدوافع متعددة.

لقد أراح برهان الدين العبوشي النقاد من تصنيف عمله الأدبي، فذكر غير مرة أنه يقع في باب المذكرات، حيث أطلق على كتابه "مذكرات برهان الدين العبوشي"¹، فقد شغل نفسه بذكر الأحداث العامة الهامة، حيث ركز على شخصيته وعائلته وأقربائه في مقدمة المذكرات، لكنه لم يفصل ذلك عن طبيعة الأحداث، وبهذا هدفت مذكرات العبوشي إلى ترجمة حياته غير منفصلة عن أحداث عصره، فهذه العبوشي من مذكراته سرد الأحداث، وتحليلها وتوضيح حقائقها، وعرضها بشكل واقعي.

حيث يقول العبوشي في مقدمة المذكرات "كنت أسير في شوارع بغداد والشام وبيروت والقاهرة وعمان، فألمح عناوين كتب عن حياة (غاندي ونهرو ومصطفى كمال)، وأقرأ سيرة المثني وخالد وصلاح الدين، فتمتد يدي بلهفة وأفرغها في يد البائع... بعد عراك خفيف مع فلسفة الاقتصاد، كنت أقرأها فأجد مادتها شرحاً لحياة رجل يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، يرى كما نرى، ويسمع كما نسمع، ويشعر كما نشعر، وليست حياة - كما خيل لي من قبل - مشحونة بالآراء العلمية والفلسفية، والمغامرات المستحيلة والمعجزات، وإنما هي سجل حياة مرت، أو شاشة سينمائية لعوامل داخلية وخارجية، مرت على رجل عاقل لبيب عكسها على الشاشة ليفيد بها الألباء وعظا وإرشادا ومتعة... إن حياة هذا العظيم كحياة سائر الناس، فلماذا لا

¹ انظر: فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 605.

يكتبون بإخلاص ليقراً الأبناء تجاربهم، فيفيدوا منها عظة ورشداً، فتكون أساساً للأحفاد، يبنون على هداها، ويبصرون بنورها"¹.

لقد هدف العبوشي من مذكراته أن يقدم للجيل القادم أنموذجاً حياً يتعلمون منه ويقتدون به، ويأخذون منه العظة والعبرة، وبالذات ما كان في حياته من الأحداث والأزمات ما يميّزه عن غيره، ولا شك أن حياة برهان الدين العبوشي مليئة بالعظة والعبرة للنشء الجديد، فقد حرص في مذكراته على نفع الشباب وإفادتهم لتكون مذكراته علماً يهتدي به الشباب من بعده "وفائدة الأحفاد هي التي حدثت بي إلى كتابة كل ما أكتب شعراً ونثراً"²، فمذكرات العبوشي نثر قائم على مذكرات كان يكتبها من حين إلى آخر، فلما بلغ مرحلة عمرية متأخرة شعر أنه يجب أن يطبعها للأحفاد، يطالعها القارئ فيشعر بالمتعة واللذة، ويرى كيف كانت حياة هذا الإنسان، ولادته ونشأته وتطوره، وارتباط ذلك كله بالأحداث والثورات والحروب.

كما ذكر العبوشي في مقدمته سبب كتابة المذكرات صراحة؛ وهي إفادة الأحفاد من تجارب الأجداد فقال "إنني أكتب كعربي من فلسطين شاهد كثير، وتأمل فيما شاهد، وحلّ وفحص ومحصّ، فخرج بنتيجة صحيحة كتجاربه، وها أنذا أقدم إلى القارئ نتيجة هذا التحليل بكلام عربي مبين، يفيد الأحفاد كما أرق الأجداد، وفائدة الأحفاد هي التي حدثت بي إلى كتابة ما أكتب شعراً ونثراً، ولست أؤثر الشهرة في كتابي..."³.

ومن دوافع العبوشي غير المعلنة في كتابة مذكراته حرصه على إبراز أثر مجتمعه وبيئته في حياته وأدبه، أو إبراز أثره هو وأثر أدبه في مجتمعه وبيئته، وهذا الدافع لم يكن معلناً في أعمال برهان الدين العبوشي، ولكننا نستنتج من خلال كلماته وعباراته في المذكرات، ومن خلال تركيزه على جوانب معينة في أعماله.

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 611-612.

² نفسه، ص 612.

³ نفسه، ص 612.

"لقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر إحياء أدبيا في الوطن العربي، سرعان ما أصبح أساسا لحركة قومية ثقافية"¹، فالقومية هي التي حفزت الأدباء العرب على كتابة مذكراتهم وسيرهم الذاتية، لكن الضغوط التي تعرض لها أدباء فلسطين كانت أكبر من تلك التي تعرض لها الأدباء العرب بسبب أصناف الاحتلال التي تعرضت لها فلسطين، لكن كُتّاب المذكرات في فلسطين كان لهم دور كبير كقادة للرأي العام - ومنهم برهان الدين العبوشي - فتركوا بصمات واضحة على أكثر من صعيد؛ فقد رقدوا الشعور الديني بالعامل القومي، في مواجهة الخطط الاستعمارية الغربية وعلى رأسها الصهيونية، وعملوا من خلال تدوين المذكرات والسير على تنمية الإخاء والتضامن بين فئات المجتمع الفلسطيني مسلمين ومسيحيين، وأكدوا على أن مبدأ القومية العربية أساس للحياة السياسية.

كما حاول العبوشي - مع غيره من كُتّاب المذكرات الفلسطينيين والعرب - أن يزيلوا من أذهان الجمهور ذكريات التمزق والفرقة والإحباط التي حاصرت شعور الناس نتيجة للهزائم المتوالية التي تعرضت لها الأمة العربية، وأكد العبوشي من خلال مذكراته على قيم التضامن والتضافر والإخاء.

وعمل العبوشي على فضح روح الخداع والمراوغة التي تحلت بها الدول الاستعمارية، وعمل على تكريس روح المرارة عند الجماهير العربية من الدول الاستعمارية وخاصة بريطانيا، فدعا العرب إلى تشكيل جبهة موحدة ضد الغرب ومخططاته التي كانت ترمي إلى توطين اليهود في أرض العرب والمسلمين.²

إن المذكرات الشخصية هي مرآة لصاحبها وعصره، تحكي جوانب حية من تجاربه، وترتبط بها عواطف نفسية ومشاعر عاطفية، وتعطي صورا واقعية من الحياة، صحيح أنها تدور حول أفراد يبدون وكأنهم يكتفون بالأحداث، ويرسمون الخطط، ويقومون بالتفكير والتنفيذ،

¹ قاسمية، خيرية، المذكرات والسير الذاتية الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، ط1، مج3، ص751.

² انظر: نفسه، ص752.

ويتحاشون الخطأ والعيوب، لكن تظل لهذه التجارب الفردية الحية قيمتها، لأنها تشتبك بالتاريخ وتشكل جزءاً منه، وتضفي الحياة عليه¹.

وغالباً ما تدور المذكرات حول أشخاص حياتهم هامة، لهم ميزة وقيمة اجتماعية وسياسية، كأن يكونوا شاركوا في صنع الأحداث بشكل أو بآخر، ودونوا جوانب حية من تجاربهم. وقد يكون الدافع النفسي من أهم بواعث كتابة المذكرات، فالمذكرات تاريخ نفسي لمبدعها، لأنها تستند إلى عنصر الاعتراف، فيكتب سيرته منتحلاً ضروباً من التعليل والاعتذار والتبرير². ولكن المذكرات ليست حديثاً ساذجاً عن النفس، بل يسعى كاتبها لتحقيق أهداف واضحة، منها بيان الدور الذي كان يلعبه في بنية مجتمعه، وموقفه من الأحداث³.

لقد قوي ميل الكتاب الفلسطينيين لكتابة المذكرات الشخصية بعد هزيمة عام 1948م، فلجأ برهان الدين العبوشي إلى تدوين بعض الجوانب الحية من تجاربه وما مرّ به من وقائع وأحداث، فكشف لنا في كثير من الجوانب عن عالم نجهله، وأطلعنا على خبايا الوقائع التي كان شاهداً عليها، فلم يكتب العبوشي مذكراته من أجل التسلية والمتعة، أو ليقال إنه كتب المذكرات الشخصية، بل كتب من أجل التسجيل والتوثيق التاريخي والأخلاقي والقومي، وليأخذ الأبناء العبرة مما حلّ بالآباء، فالليب من اتعظ بغيره.

لم يكن برهان الدين العبوشي متفرداً في فنّ المذكرات الشخصية، بل كان حلقة من سلسلة كتاب فلسطينيين، من رجال السياسة والأدب والثقافة والمعرفة، وممن كتب المذكرات رجال السياسة؛ عوني عبد الهادي، ومحمد عزة دروزة، وأكرم زعيتر، وممن كتب المذكرات من رجال العلم والقلم؛ خليل السكاكيني، وعارف العارف، وفدوى طوقان إضافة إلى برهان الدين العبوشي، وكان ممن كتبوا المذكرات أناس شاركوا في الكفاح المسلح الفلسطيني ضد الاحتلال ومنهم؛ فوزي القاوقجي، وصلاح خلف⁴.

¹ عباس، إحسان، فن السيرة، ط1، بيروت، 1956م، ص9.

² انظر: عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، عمان، دار الشروق، 1986م، ص107.

³ انظر: المذكرات والسير الذاتية الفلسطينية، ص757.

⁴ انظر: نفسه، ص758.

لكن هذا التقسيم لا يمنع أن يجمع أحدهم اتجاهين في آن واحد؛ وهذا ما كان من سمات برهان الدين العبوشي الذي شارك في الحياة السياسية، فكان رائداً في توعية بني وطنه من أخطار الاحتلال، فهو شاعر مشهور، وكاتب مسرحي، وهو كذلك من السباقين في الدعوة إلى الثورة، ومن المشاركين فيها، وقد أصيب عدة مرات، وبقي على قيد الحياة ليسجل لنا مذكراته الشخصية.

المبحث الثاني: أهمية مذكرات العبوشي

لا يخفى على أحد أن للمذكرات أهمية عظيمة لا يمكن تجاهلها أو التغاضي عنها، من هذا المنطلق كان اهتمام العرب والمسلمين بها واضحاً جلياً، ونستنتج ذلك من خلال التراث العظيم والإرث الحضاري الواسع الذي خلفه لنا أجدادنا العرب والمسلمون، ومن هذا المنطلق أخذ برهان الدين العبوشي على عاتقه تسجيل الحوادث المهمة التي وقعت في حياته وكان له مشاركة فيها، من أجل التلميح والتلميح.

وتعود أهمية المذكرات في أنها تعمل على حفظ حياة صاحبها بتفاصيلها من الضياع، ولذلك تعد مذكرات العبوشي مرجعاً مهماً في التعرف على طبيعة حياته وسلوكه، والبيئة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي نشأ فيها، وليس أدل على ذلك من أهمية العودة إلى مذكراته عند الوقوف على حياته ونشأته، وأثر البيئة في تلك النشأة لنخرج بصورة واضحة لنشأته، وهذا ما صنعه في دراستي هذه، فقد عدت إلى المذكرات وقرأت تفاصيل حياته كاملة مرات عدة، فالمذكرات مصدر مهم من مصادر التعريف بالأفراد.

كما تعد مذكرات العبوشي مصدراً من مصادر العلم والمعرفة في التاريخ والأدب، فقد عرف العبوشي من خلالها على أعماله الشعرية والمسرحية والعملية المختلفة، كما تناول أهم أحداث التاريخ والمعارك والثورات التي حصلت في زمانه، أو كانت له فيها مشاركة.

وتعد مذكرات العبوشي مصدراً من مصادر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تلك الفترة، نستطيع من خلالها أن نستجلي طبيعة الحياة، حيث بدأ العبوشي مذكراته بالحديث

عن ولادته وبيئته وطبيعة الحياة التي عاش فيها، ووصف المجتمع وطبائعه، كل ذلك يدل على أهمية المذكرات باعتبارها أداة من أدوات التاريخ والأدب والمعرفة. هذا ما دفع الحكيم أن يقول "لا يروقني شيء مثل قراءة المذكرات التي يكتبها الأدباء والعظماء عن حياتهم الخاصة"¹.

تستمد هذه المذكرات التي دوّنها العبوشي أهميتها من أهمية الأدوار التي اضطلع بها، فهو من صفوة المناضلين في سبيل تحرير فلسطين، فقد كان عضواً فاعلاً في الدعوة إلى الوقوف صفاً واحداً في وجه المؤامرات والمخططات الاستعمارية التي تستهدف النيل من وحدة البلاد العربية وخاصة فلسطين، بل شارك في الحروب التي وقعت في فلسطين وأصيب فيها، كما شارك في ثورة رشيد الكيلاني في العراق وأصيب فيها إصابات بالغة.

إن أهمية المذكرات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالشخص الذي يكتب هذه المذكرات، وبالتالي فإن هذه المذكرات تعد انعكاساً جلياً لحياة الكاتب وللبيئة التي عاش فيها، والأعمال التي شارك فيها، والوظائف التي تولاها، لذلك تمحورت مذكرات العبوشي حول الإنسان والوطن والتعليم، وهذا ما سأعرضه في دراسة مضمون المذكرات.

ومن أهم أهداف كاتب المذكرات تأكيد الذات، أو التنفيس عن الانفعالات والحالات النفسية التي ألمت به نتيجة لمواقف مختلفة، أو الدفاع عن قضية فكرية أو اجتماعية² أو سياسية يؤمن الكاتب بها، ولا يتبنى الكاتب الفكرة إلا إذا تمتع بالالتزام الفكري لما يدافع عنه. ولا بد لكاتب المذكرات أن يفصح عن الدوافع التي جعلته يكتب مذكراته، فقد تكون تفسيراً للحياة، حلوها ومرّها، أو تكون "تذكراً اعترافياً موجهاً إلى قارئ متعاطف"³، أو تكون "رغبة من المؤلف في نقل تجربته للآخرين"⁴.

¹ الحكيم، توفيق، من البرج العاجي، مكتبة مصر، القاهرة، 1988، ص124.

² انظر: _ السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية، ص10.

_ فن السيرة بين الذاتية والغيرية في ضوء النقد الأدبي، ص149.

³ انظر: فن السيرة، ص101.

⁴ الشيب، ندى محمود، فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني بين 1992-2002م، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، إشراف: عادل أبو عمشة، ص10.

المبحث الثالث: وصف مذكرات العبوشي

تقع مذكرات برهان الدين العبوشي في الفصل الثالث من الباب الأول في الأعمال الكاملة وتمتد من صفحة 603-739، وقد عنون العبوشي مذكراته ب" من السفح إلى الوادي ألبى صوت أجدادي"¹، وكتب تحت العنوان أبياتاً شعرية:

مجزوء الكامل

من كان يطمع في الخلود ففي فلسطين الخلود

أبوابها الفولاذ تفتحها المدافع والجنود

في قلبها سَكَنَ الشهيدُ وبالشهيد غدا تعود²

وقد أهدى العبوشي المذكرات إلى الشهداء فكتب على صدر المذكرات:

الكامل

أهدي الكتاب إلى الشهيد فخير ما يهدي إلى رجل الجهاد كتاب

قد رمت أهديه المكارم كلها فإذا بها من فيضه تنساب³

وكعاداته في كل كتاب، قدم العبوشي للمذكرات بمقدمة تضمنت أهمية المذكرات للجيل القادم؛ فهي تكشف المستور من خبايا الحروب المختلفة التي تعرضت لها فلسطين، وتوضح وجهة نظر مبدعها في كافة الأحداث المهمة التي واكبها، فقد بدأ العبوشي المقدمة بقوله "فليست حياتي حياة ذلك الفاتح العظيم، أو المكتشف الخطير، أو العالم المبتكر، ولكنها حياة فتى فكهل عربي مسلم من فلسطين، تفتحت عيناه في مدينة جنين على معالم العبودية العثمانية... وترعرع في حمأة استعمار بريطاني بغض إليه الحياة، وحبب إليه الجهاد"⁴.

¹ طبعت المذكرات عام 1980م في مطبعة الأمة ببغداد.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 605.

³ نفسه، ص 607.

⁴ نفسه، ص 611.

كما ذكر العبوشي في مقدمته سبب تأليف المذكرات؛ وهي إفادة الأحفاد من تجارب الأجداد فقال "إنني اكتب كعربي من فلسطين شاهد كثير، وتأمل فيما شاهد، وحل وفحص ومحص، فخرج بنتيجة صحيحة كتجاربه، وها أنذا أقدم إلى القارئ نتيجة هذا التحليل بكلام عربي مبين، يفيد الأحفاد كما أرهق الأجداد، وفائدة الأحفاد هي التي حدث بي إلى كتابة ما أكتب شعرا و نثرا، ولست أؤثر الشهرة في كتابي..."¹.

وتمتد الفترة الزمنية التي تناولتها المذكرات من نهايات حكم الدولة العثمانية لبلاد الشام، مروراً بالحرب العالمية الأولى، حيث تحدث عن أسرته ونشأته، ولم ينس أن يذكر قصة خطبة والده لوالدته -وهذا يسمى الاسترجاع- ثم وصف المراحل الدراسية المختلفة التي مر بها من المدارس الابتدائية في جنين مروراً بمدرسة النجاح في نابلس وصولاً إلى مدرسة الشويفات في لبنان وانتهاءً بالجامعة الأمريكية في بيروت والتي لم يكمل دراسته فيها حيث فصل لأسباب وطنية، ثم وصف بدايات الانتداب البريطاني على فلسطين، والمؤامرات المختلفة التي كانت تحاك ضد فلسطين وأهلها، وتنبأ بما ستؤول إليه الأمور، وكان لثورات فلسطين نصيب وافر في مذكراته وأهمها ثورة فلسطين عام 1936م.

لقد سعى العبوشي من خلال مذكراته إلى أن يقدم معلومات مفصلة عن حياته في مراحلها المختلفة، طفلاً وطالبا ومناضلاً فمعلماً، كما قدم معلومات واسعة حول أسفاره التي كان جلها في سبيل وطنه وأمه، وحدثنا عن طفولته في نهايات العهد العثماني، كما ربط حديثه عن طفولته وتعلمه بالأحداث الكبرى التي حلت على فلسطين، وكثيراً ما كان يستطرد في الشرح والتفصيل.

كما أفرد العبوشي مساحة من مذكراته لتلك الفترة من حياته التي قضاها في الاعتقال حيث تتقل بين عدد من المعتقلات أهمها؛ عوجا الحفير وصرفند والمزرعة وعكا، ثم انتقل للعمل مدرساً في العراق عام 1939م، وذكر الحفاوة العظيمة التي قابله بها أهل بغداد "فكان

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 612.

لقاؤهم إياي كلقاء أهل المدينة الأنصار لإخوانهم مهاجري مكة المكرمة"¹. كما شهدت هذه المرحلة انتقال عدد من المناضلين والمتقنين الذين هاجروا إلى العراق بعد الثورة مثل عبد الرحيم محمود وإبراهيم طوقان...

وقد ذكر العبوشي مشاركته في حركة مايس² عام 1941 في العراق حيث شغل العبوشي أمين سر الحملة العراقية، ثم توترت الأمور في بغداد إثر فشل الحركة فانتقل العبوشي متخفياً إلى سوريا ثم عاد إلى بلده فلسطين، وتحديدًا إلى مدينته جنين، ومكث العبوشي فترة دون عمل، إلى أن عمل في بنك الأمة العربية، وتقل بين فروعها، ثم أخذ يحث الفلاحين على عدم بيع أرضهم، فتعرض نتيجة ذلك لشتى أصناف المضايقة من الاستعمار وأعوانه.

ثم أفرد العبوشي صفحات مشرقة من مذكراته لمعركة جنين الكبرى، وأبرز ما ركز عليه العبوشي الدور العظيم الذي قام به الجيش العراقي لإنقاذ جنين من براثن الصهيونية، وأسهب في وصف بطولة شباب الريف، وبعد الهزيمة التي منيت بها جيوش الدول العربية عاد العبوشي إلى العراق ثانية، وبعد عدة سنوات حصل العبوشي على الجنسية العراقية.

لقد اعتمد العبوشي في مذكراته على الانتقاء، فأهمل الكثير من الأحداث التي لم يكن لذكرها فائدة "لقد حدث في فلسطين حوادث كثيرة كالتى ذكرت، ولكن العرب خذلونا وتآلب العالم الغربي ضدنا"³، وأسهب شرحاً وتفصيلاً في أثناء عرضه للأحداث ذات التأثير المهم، فذكر ثورات العراق المختلفة، وعرج على حرب حزيران 1967م، ومصرع جمال عبد الناصر، واستقلال بعض الدول العربية أمثال أريتريا وجيبوتي... وأورد ذكرى إحراق المسجد الأقصى، وحرب أكتوبر 1973م...

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 667.

² انقلاب عسكري حدث في العراق نتج عنه إسقاط عبد الإله الوصي على العرش وقيام حكومة برئاسة رشيد عالي الكيلاني.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 664.

لم يقسم العبوشي مذكراته على شكل فصول - كما في مسرحياته الشعرية- بل قسم المذكرات إلى مقدمة وسلسلة عناوين فرعية مترابطة زمنياً، فكأنها مناظر متتابعة لمسرحية تراجمية، وختم مذكراته ببعض الملاحق منها؛ مثلث الرعب (جنين- نابلس- طولكرم)، وصقور جنين، وخواطر عن التدريس... وهذا يعني أنه مزج في مذكراته بين بعض الفنون.

المبحث الرابع: مضمون مذكرات العبوشي

تعد المذكرات باباً من أبواب التاريخ لأنها تقدم للقارئ سيرة حياة مؤلفها، كما تعد باباً من أبواب الأدب لأنها ليست سرداً للوقائع التاريخية وحسب، بل هي إبداع لغوي فحواه وقائع تاريخية، والمذكرات ليست بالضرورة سرداً لوقائع حياة مؤلفها من بدايتها إلى نهايتها، بل هي انتقاء للأحداث المهمة التي واكبها المؤلف وكان له فيها دور، والعبوشي - كما ذكر لي نجله سماك في بريد الكتروني- كان يسجل مذكراته على دفتر خاص "على ما أذكر وأنا طفل صغير، فلقد كان لو الدنا رحمه الله دفتر بحجم كبير كان يدون فيه ما يمر من أحداث يومية، وأنه قرر أن يطبعه بكتاب واحد حمل عنوان (من السفح إلى الوادي ألبى صوت أجدادي) وذلك بعد تسع سنوات تقريباً من تقاعده"¹.

إن الذي يقدم مذكراته إلى الناس إنما يحس بذاته إحساساً خاصاً، ويشعر بأن مسيرة حياته مهمة وتحتاج إلى تسجيل للأجيال القادمة، وهو عندما يفعل ذلك إنما يجيب عن سؤال: من أكون؟ ليصل إلى سؤال: كيف صرت؟².

تعد المذكرات من أخصب مجالات العطاء في الأدب الوجداني الذاتي، لما فيها من انعكاس حقيقي لمنطقة البوح الذاتي، فهي تؤدي دور الإضاءة الحقيقية لحياة الكاتب من حيث تكوينها الذاتي قبل أي إضافة وافدة من هنا أو هناك³. وفي هذا الإطار تأتي مذكرات برهان الدين العبوشي التي نشرت لأول مرة عام 1980م.

¹ رسالة من سماك برهان الدين العبوشي بتاريخ 28-7-2011.

² انظر: لوجون، فيليب، السيرة الذاتية، ترجمة: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994م، ص23.

³ انظر: المغيض، تركي، السمات الأسلوبية في مذكرات الملك عبد الله بن الحسين، مقالة ضمن كتاب أدب السيرة والمذكرات في الأردن، ط1، منشورات جامعة آل البيت، 1999م، ص429.

لقد احتلت شخصية برهان الدين العبوشي المحور الأساسي في غرة مذكراته، فقد تحدث عن ولادته ومراحل حياته المختلفة، وما ذاق خلالها من حلو ومر، وما خاض فيها من صراعات، وما شارك فيها من ثورات ومعارك، وما حققه من مكانة اجتماعية وسياسية، تحدث عن طبيعة البيئة التي ولد فيها، والحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية التي كانت سائدة آنذاك "أبدأ طفولتي من الساعة التي بدا فيها الانجليز في الحرب العالمية الأولى يقصفون مدينتي (جنين) ليخرجوا من بعض بيوتنا جنود الترك والألمان، وكان ذلك سنة 1918م، مع العلم أنني ولدت في جنين سنة 1911م، في اليوم السابع من كانون الأول حسب شهادة ميلادي العثمانية"¹.

بل نجده يذكر تفاصيل التفاصيل في معرض الحديث عن ولادته - وهذا يسمى الاستباق - فقد تعرض لحادثة الولادة وذكر أنها كانت شاقّة على أمه بسبب كبر رأسه، فقد "عانت أمه ثلاثة أيام خطرة في مخاضها"²، ثم قيض الله لها عم والده وهو (الحاج مصطفى العبوشي) فبادر بوضع منديل في عنقها وقرأ عليه آيات من القرآن الكريم فولدت الحاجة مشخص فتى وأسمته برهان الدين، ويعود العبوشي إلى ذكر التفاصيل فيسوق بعض القصص لعم والده مع الانجليز.

لا يكاد القارئ يمر عن سطر أو سطرين في المذكرات - النصف الأول منها - إلا ويقرأ عن أحد أقرباء العبوشي من أم أو أب أو عم أو جد أو قريب...، لقد ساقه الحديث عن نسبه إلى حديث طويل عن العائلة وأصولها جذورا وامتدادا، ويبدو حبه لعائلته بشكل واضح حيث يذكر سمات الجد والأعمام وزوجاتهم وأبنائهم وأعمالهم، ويتتبع القرى والمدن التي يقطنونها، ويتحدث عن أبرز رجال العائلة في العلم والشرف "والحقيقة أن عائلة العبوشي كانت مرموقة محترمة لدى جميع خدام الوطن المبغضين للاستعمار، وكان ديوانها مثابة لزعماء الأمة العربية"³.

أما حظ والده ووالدته من المذكرات فيمتد على صفحات طويلة بالمدح والثناء "كان والدانا متعبدین تقیین... كان أبي عسكريا زمن العثمانيين ... لقد بذل والدي جهدا كبيرا في

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي ص 614.

² نفسه، ص 614.

³ نفسه، ص 618.

تعليمنا التعليم الثانوي، إذ لا مدارس ثانوية في جنين آنذاك... كان والدي - رحمه الله - رجلاً أي رجل شجاعة وكرامة وعظم أخلاق وثقة مطلقة بالله عز وجل... أما والدتي فإنها كوالدي صبراً وعظم خلق، وتعبداً وثقة بالله جل جلاله، إلا أنها تمتاز بالحنان المتأجج الذي لا تخفيه كما تخفيه رجولة أبي¹.

ولا يخفى من خلال المذكرات حب العبوشي الجم للعلم، فبعد أن أتم تحصيله الابتدائي حرم من نعمة التعليم عاماً كاملاً لضيق ذات اليد، فلم يكن في جنين مدارس ثانوية، والوضع المادي لوالده لا يسمح بتعليمه خارج جنين "تأخرت سنة واحدة عن التحصيل الدراسي، كنت أرى فيها السماء والأرض والنجوم والناس والحياة وأهلي في صورة غير التي كنت أراهم فيها يوم كنت تلميذاً أنعم بلذة الدرس، على أن هذه أفادتني ألماً عبقرياً أذكى لهيب شعري"²، لكنه استفاد من هذه السنة عبقرية شعرية، فنمت فيه الروح الشاعرية، فالإبداع لا ينبت إلا من رحم المأساة.

ولكن والده كان يحب العلم ومجالس العلماء؛ فاستدان مالا وأراد أن يسجل ولده في مدرسة (سمبل) الأجنبية في مدينة صفد "مضى العام بما فيه، فأقمت الدنيا وأقعدتها لأتم تحصيلي، فاستدان والدي ورأى أن يدخلني مدرسة (سمبل) الأجنبية في مدينة صفد"³، لكن العبوشي في السنة التي أمضاها بلا تعليم في المدارس نهل من رحيق أمهات الكتب ما تعجز كافة المدارس عن غرسه في نفوس الطلاب، فاغترف من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ومن كتاب نهج البلاغة لعلي بن أبي طالب، وكذلك ديوان الحماسة لأبي تمام، وكتاب فتوح البلدان وقصص عنبرة وتغريبة بني هلال...أضف إلى ذلك حياة الريف التي كان يعيشها، كل ذلك بعث فن الخطابة من مرقده، فعنت لهذا الشاب الطموح، فكان مستقبلاً من خيرة الخطباء..

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 624-627.

² نفسه، ص 631.

³ نفسه، ص 633.

ثم عدل العبوشي عن الدراسة في صفد، ودخل كلية النجاح الوطنية في نابلس "لقربها من جنين، ولاهتمامها بلغة الأجداد، ولمعونة المجلس الإسلامي الأعلى لي بنصف القسط، وهذه المدرسة تخرج فيها أبناء عمي وأبناء أخوالي وجمع غفير ناهض من أبناء فلسطين"¹، حيث سلخ العبوشي من عمره في كلية النجاح الوطنية ثلاث سنوات، كان لها الأثر العظيم في صقل شخصيته النضالية والإبداعية.

إن من أبرز سمات برهان الدين العبوشي التي تعد ثمرة من ثمار إبداعه وتفوقه، أنه كان خطيباً مميزاً، فقد بدأت هذه الموهبة عنده وهو في المرحلة الابتدائية، فقد انتدبته المدرسة لتمثيلها في المسابقات الشعرية والخطابية²، وكان ممن أذكى روحه الخطابية إضافة إلى ما ذكرت، معلمو المدارس ومنهم (سميح عبد الهادي) معلم اللغة العربية في المدرسة الرشدية في جنين، ثم واصل العبوشي السير على هذا النهج الخطابي في مراحل الدراسة المختلفة، وبالذات في كلية النجاح الوطنية "فقد كنت معروفاً بخطابتي لدى الطلاب، وبالحماس والسير في المظاهرات ضد الانجليز، ولا سيما يوم أعدموا الشهداء (فؤاد حجازي ومحمد جمجوم وعطا الزير)، وفي آخر سنة لي في مدرسة النجاح انتدبتي المدرسة لإلقاء خطاب المتخرجين في حفلة تخرجنا"³، لكن العبوشي لم يلتزم بالكلمة التي أعطته إياها إدارة المدرسة، وعزز الكلمة بقصيدة من تأليفه مطلعها:

البسيط

ما عاد شيء من الدنيا يواسينا إلا دماء العدا تروي مواضينا⁴

لكن إدارة المدرسة غضبت لفعلة ومزقت شهادته، فموهبة الخطابة ميزة تميز بها العبوشي عن أقرانه، فلازمته الخطابة طوال حياته، وظل خطيباً مفوهاً مميزاً، وصل به الأمر إلى القدرة على أن يبكي الجمهور لفرط حماسه وإبداعه في الخطابة⁵.

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 635.

² انظر: نفسه، ص 622.

³ نفسه، ص 635-636.

⁴ نفسه، ص 636.

⁵ انظر: نفسه، ص 647.

وعندما انتقل العبوشي إلى مدرسة الشويفات بلبنان ليكمل دراسته الثانوية، انتخبه الطلاب رئيساً لجمعية الخطابة العربية، بعد خطاب ناري ألهم فيه مشاعر الطلاب، وراح يقيم الحفلات الخطابية، وعندما انتقل إلى الجامعة الأمريكية في بيروت أقام الطلاب حفلاً ثقافياً، حيث ألقى العبوشي قصيدة شعرية مطلعها:

الخفيف

أيها المجمع الذي لا يجارى كل طرف بروض غيدك حارى

فضجت القاعة بالتصفيق والهتاف، وبعد فترة دعتة جمعية العروة الوثقى ليلقي القصائد...

وهكذا شق برهان الدين العبوشي طريقه إلى الشهرة الأدبية خطيباً وشاعراً¹.

ويظهر لنا العبوشي في مذكراته وفيما لكل من كان له فضل عليه، ولا سيما فئة المعلمين، الذين يكن لهم كل الاحترام والتقدير، فقد خص كل من علمه بذكر اسمه في المذكرات، ابتداء من المدرسة الابتدائية مروراً بالمدارس الثانوية وصولاً إلى الجامعة، فظهر العبوشي في مذكراته بمظهر الوفي الصالح البار بمعلميه، ومنهم مدير المدرسة الابتدائية (يحيى الشهابي) و(سميح عبد الهادي)، والشيخ الأستاذ (فارس العورتاني)، وفي كلية النجاح الوطنية المدير (جودت حيدر)، والأستاذ (قدي طوقان) والشاعر الكبير (إبراهيم طوقان)، والشيخ الأستاذ (عبد الحميد السائح)، والدكتور (عمر فروخ)، و(علي نويهض) وغيرهم².

ولم يقتصر اهتمام العبوشي على ذكر أسماء المعلمين، بل امتد ليشمل فرّاش المدرسة وهو (أمين)، وضابط المدرسة (خليل خماش)، ومن باب الوفاء أورد أسماء بعض الطلبة الذين كان يزاملهم؛ مثل الدكتور (عوني حنون)، والدكتور (جودت تفاحة)، والدكتور (أشرف عبد الهادي) والشاعر (عبد الرحيم محمود)، و(الطيب بنونة) و(محمد الفاسي) من المغرب³.

¹ انظر: فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 636-638.

² انظر: نفسه، ص 635.

³ انظر: نفسه، ص 636.

لقد وضع العبوشي دور المعلمين في التأثير على الطلاب وغرس الروح الوطنية فيهم، فقد كان المعلمون يلقنون الطلاب الأناشيد الوطنية الحماسية في مواجهة النشيد البريطاني، ومن جملة هذه الأناشيد: (محبة الأوطان حتم على الإنسان في كل آن)، وكذلك (نحن جند الله شبان البلاد نكره الذل ونأبى الاضطهاد)، وآخر وهو (بالقنا والقضب شيد مجد العرب)¹.

ونتيجة لهذا التشجيع الذي لاقاه العبوشي وبقية طلاب المدارس أضحت سنهم سن الرجال- وهم في الابتدائية- إذ كانوا يحاربون الانجليز، وينظمون المظاهرات، ويقودون الاعتصامات، ويسوق العبوشي عدة حوادث ليدلل على ما ذهب إليه ومنها "أذكر أنني تعرضت لقافلة من تسعين سيارة تقل سياحا من يهود أمريكا، مرورا من جنين لزيارة القدس ليستقروا فيها سكانا مهاجرين... فرميت إحداها بحجر كان أثقل مني، فوقع على ظهر السيارة ولم ينفذ، فاحتجزتني الشرطة، فتجمع أهل المدينة لإنفاذي، فتنازل الأمريكي مذ راني صغيرا، ولكنه تساءل كيف يطيق طفل مثلي أن يلقي حجرا أثقل من طاقته على سيارة، وأنا أيضا استغرب، ولكن حقدي على المستعمرين أمدني بقوة خارقة حينذاك"².

لقد قدم العبوشي من خلال مذكراته صورا مختلفة للتعليم، فجنين مثلا لم يكن فيها مدرسة ثانوية واحدة في الثلث الأول من القرن العشرين، وما كان من مدارس ثانوية في فلسطين أنشئت لخدمة أغراض استعمارية كمدارس الإرساليات، وإن وجدت المدارس الثانوية فهي مبادرات أهلية محضة، كمدرسة النجاح الوطنية في نابلس، فهي مدرسة أهلية لا سلطان للانتداب عليها، والانجليز لم يسمحوا بإقامة المدارس العالية في فلسطين باستثناء دار المعلمين ودار المعلمات "وقصدهم من ذلك قتل العلم والمعرفة، وحصرهما باليهود الذين اقاموا الجامعة العبرية"³، هذه صورة المدارس.

أما المعلمون فظهرت صورتهم إيجابية مشرقة، حيث عدهم الطلاب آباء لهم، وذلك يعود لعظم اهتمام المعلمين آنذاك بالجيل الصاعد، وتربيته وتعليمه على الوجه الصحيح، لكن

¹ انظر: فارس السيف والقلم- الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص617.

² نفسه، ص619.

³ نفسه، ص620.

المناهج كانت سيئة للغاية، هدفها أن يحفظ الطلاب المادة دون وعي أو إدراك لحقيقة محتواها، فهذه سياسة المناهج الاستعمارية التي تريد من الطالب أن يكون مجرد آلة تتطق ولا تعي، فكانوا لا يدرسون من التاريخ والجغرافيا إلا أسماء المعارك والدول والملوك وتواريخها؛ لئلا يتعلم الطلاب الاستنتاج¹. وقد ظلت المناهج الفلسطينية كذلك حتى كنس الاستعمار وأذنا به عام 1948م.

ومن إخلاص المعلمين واهتمامهم بالنشء الجديد أن كانوا يكثر من الرحلات إلى القرى والجبال، وإقامة المخيمات الكشفية، وتأليف فرق الألعاب المختلفة، حيث أتقن العبوشي كرة القدم، كما كان حظه في التشكيلات الهرمية قاعدة الهرم التي يقف عليها سائر أعضاء الفريق "أما اللغة العربية فكان المعلمون مخلصين لها كرد فعل لتعصب الانجليز للغتهم وعنجهيتهم، كنا نحفظ في كل أسبوع قصيدة كاملة - في الابتدائية - وكثيرا ما يكون وطنيا برغم رقابة الانجليز على المعلمين، فقد كان المعلم يشعر من الأعماق بعشق اللغة الأم، ومن هنا كانت تكثر أسواق الشعر بيننا، في الصفوف وخارجها، والمناظرة الشعرية تنتهي بها في الطرقات بدل المقاهي وبديل الشتائم والسباب ومطاردة البنات ورصدهن في مواقفهن كما يفعل الشباب اليوم"².

لقد أكثر العبوشي في مذكراته من الحديث عن المعلمين، فذكر قصصا مع معلمي اللغة العربية والتاريخ والدين...، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على عظم إخلاصهم وتفانيهم في تربية الجيل وتعليمه، ليكون شوكة في حلق كل احتلال واستعمار.

ومن فوائد مذكرات العبوشي أنها تقدم لقارئها لمحة عن طبيعة النشاط السياسي في تلك الحقبة، وبالذات في أروقة المدارس والجامعات التي درس فيها، كما تقدم ردة فعل إدارات المدارس والجامعات، وردة فعل إدارة المعارف البريطانية، فقد عرف العبوشي بين أقرانه بالقدرات الخطابية، وإلهاب المشاعر والأحاسيس، والسير في المظاهرات ضد الانجليز انطلاقا من المدارس "ولاسيما يوم اعدموا فؤاد حجازي وجمجوم والوزير، واذكر في هذه الحادثة أن

¹ انظر: فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 620.

² نفسه، ص 621.

إدارة المدرسة أغلقت علينا أبوابها الحديد وحصرتنا في داخلها، إلى أن أقبلت علينا مظاهرات الطلاب والشعب، وكانت سلطات الانجليز قد أُنذرت مدرستنا بالإغلاق فهاج هياجنا، وأخذنا نقتحم الأبواب عبثاً، وصعدت إلى شرفة السطح لأقذف بنفسي على الجماهير، ومن فرط حماسي كنت أبكي ... وتسلفت سور المدرسة الشائك بعد أن دفعت معلمي إبراهيم طوقان، واشتركنا بالمظاهرات ضد الاستعمار واليهود، وخطبت في الشعب أحبيهم"¹.

كما ظهر العبوشي في مذكراته محباً لمهنته التي سلخ عمره في سبيلها، فظهر معلماً ناجحاً مميزاً ساعياً إلى التطوير، وقد عدّ الطلاب أبناء له، كما قام الطلاب بتمثيل مسرحياته الشعرية في مدارس العراق المختلفة "لقد مثل الطلاب مسرحية (عرب القادسية) وغيرها في الشامية والديوانية..."².

وكلما انتقل العبوشي للحديث عن مدينة من مدن العراق أخذ يصف جمالها وروعته، وأخلاق السكان ومساندتهم له، وراح يذكر تاريخ المدن العراقية، وأنها أخرجت صلاح الدين الأيوبي وستخرج ثانية من يقوم بتحرير فلسطين وكل بلاد العرب من ظلم المستعمرين "وبعد سنة في النجف الأشرف نقلت إلى ثانوية الحلة، والحلة مدينة جميلة، وأهلها عرب كرام، وقد ساهمت فيها في بعض الحفلات الأدبية، وبعد سنة في الحلة نقلت إلى متوسطة نجيب باشا في بغداد"³.

لقد تميز العبوشي بالتسامح والنزاهة، فحياته كانت مليئة بالحروب والمغامرات والثورات إلا أنه كان يكثر من الدعاء لمن خاصمه أو غدر به، ويعطى لهم سبعين عذراً، ويسامحهم، ومنهم الشهيد عبد القادر الحسيني الذي تركه وهما في طريقهما إلى غزة لتأليب أبنائها على لثورة ضد الانتداب البريطاني، وكذلك إدارة كلية النجاح الوطنية التي حرمتها من

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 635.

² نفسه، ص 716.

³ نفسه، ص 717.

الشهادة الثانوية، فقال "رحم الله تلك الشهادة التي هي خلاصة عمري، وحفظ الله المدرسة وأبقاها، وسامح الله الإدارة"¹.

ومن نزاهته انه لم يطلب مالا في كل أسفاره التي شارك فيها ليحث على الثورة والوحدة والصمود، أو في الغربة التي عاش ماسيها صابرا محتسبا، فكان مصروفه من جيبه الشخصي، ولم يستعن بلجنة أو مؤسسة لتنفق عليه "لقد كنت احرم نفسي من ملاذ الشباب وسهراتهم، وأنفق نقودها على تحمل مؤونة الاغتراب، واقتناء الكتب، فكل نفقاتي على سفري ومعيشتي كانت من جيبى الخاص، لم استعن بلجنة أو غيرها والله الحمد"²، كما نظم في نزاهته ورفضه لحياة اللذة والشهوات شعرا وأورده في مذكراته منه:

الكامل

لو جاءت الدنيا تهيل نضارها ما سيطرت يوما على أخلاقي
نفسى أعز من الجبال فلا أرى أحدا أدين له سوى الخلاق
أدبى ودينى سالمان وإن أكن بالمال قد منيت بالإخفاق³

ومن الصفات التي تجلت بوضوح في شخصية العبوشي وطنيته ومعاداته للاستعمار بأشكاله المختلفة، فقد جهر العبوشي بالعداء للانتداب البريطاني البغيض، وظل على الدوام يؤلب الجماهير على الثورة والوقوف صفا واحدا في وجه المؤامرات التي تحاك ليل نهار ضد الوطن، فقد عد الاستعمار أساس الداء، وسبب البلاء، لكن جهره بالعداء للانتداب البريطاني سبب له المصاعب والمتاعب، فقد سجن عدة مرات، وتنتقل بين كافة السجون، وأصيب في السجن، بل كاد يفقد حياته نتيجة التعذيب، وشارك في الإضراب عن الطعام داخل السجن لمقاومة الضغوطات التي كانت تهدف إلى كسر صمود المعتقلين، فلم تثن له قناة، بل كان يخطب في المعتقلين في السجون ويحثهم على الثورة، وكلما خرج من سجن تعرض للملاحقة من دوائر التحري، فنظم في ذلك شعرا وأورده في مذكراته:

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 636.

² نفسه، ص 692.

³ نفسه، ص 692.

الوافر

أدائرة التحري ما دهاك هدمت وقد قدرت على عداك
ظلمت المؤمنين ولم ترقى وسقت إلى المشانق والهلاك
وجرت على الخلي ولم تراعي بريئاً توقعين به أذاك¹

إن للعبوشي بعد نظر مميز في القضايا الوطنية، فقد نصح أبناء وطنه في مرحلة الانتداب أن لا يقتلوا سماسرة الأرض الذين أخذ الانتداب على عاتقه كشف أسمائهم ليقع الفتنة بين الناس، فتنبه العبوشي لهذه النقطة، حيث أراد الاستعمار من ذلك أن ينشغل الناس بالثارات فيصرفوا عن مقاومته، وأنى له ذلك "لقد كنت أنصح السماسرة أن يرحموا أمتهم، وأنا عدو اللجوء إلى قتل أبناء الأمة لئلا يستفيد العدو بالثارات فيشغلنا ببعضنا عن قضيتنا، ومثال هذا النصح ما نقرأ من مسرحيتي "وطن الشهيد":

الكامل

لا تقتلوا الإنسان فالله الذي يبني ويهدم فاعملوا بسداد
الشرع أولى بالقصاص فعنده القسطاس فليحكم بحكم الهادي
بالدين والأخلاق يصلح أمرنا فانشرهما بالوعظ والإرشاد²

إن نظرة العبوشي للأماكن لا تشبه نظرتنا نحن إليها، فكان إذا نظر من سجنه - عوجا الحفير على حدود صحراء سيناء- إلى الصحراء خلا إلى نفسه وأخذ يتذكر الماضي التليد، فالصحراء "ممر أجدادنا الذين فتحوا فلسطين ومصر، ها نحن أحفادهم نعبرها مكبلين وهم عبروها أحرارا مكرمين، ما ابعد الفرق بين المشهدين! من هنا كان أجدادنا يطاردون فلول الروم، وها هنا يطاردنا أحفاد الروم... ما أشد ألم الذكريات!³

إن روح الوحدة تشع من مذكرات برهان الدين العبوشي التي سجلها وهو في المعتقلات المختلفة، حيث يصف نفوس المعتقلين على اختلاف مشاربهم وعاداتهم وتقاليدهم "فرضينا بالحياة

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 692.

² نفسه، ص 691.

³ نفسه، ص 651.

إخوانا، يجمعنا وطن واحد وغاية واحدة، كنا نتبادل أحاديث الجهاد وننشده، كان بيننا عمائم رجال الدين والقضاء وقلانس رجال الكنيسة جنبا إلى جنب، يعبدون الله ويخدمون الوطن، وقد فشلت فيهم محاولة الاستعمار التفرقة¹.

لقد أفرد برهان الدين العبوشي جل مذكراته للحديث عن وطنه فلسطين، وما لاقاه في سبيل نصرته من مصاعب وويلات، فقد وصف الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي كانت تعيشها فلسطين منذ العهد العثماني، وقدم صورة سلبية للدولة العثمانية من حيث الظلم والفقر المدقع وسوء التعليم - وان قدم صورة مشرقة للمعلمين - كما وصف البلاد وما وقع فيها من أحداث في ظل الانتداب، فذكر الضرائب التي فرضها الانتداب على الفلاحين حتى يعجزهم فيضطروا لبيع أرضهم لليهود، كما تعرض لعدم اهتمام حكومة الانتداب بالتعليم، فلم يكن في فلسطين زمن الانتداب أكثر من ثلاثة مدارس ثانوية حكومية، وذكر تعاون حكومة الانتداب مع العصابات الصهيونية.

وقد أنصف العبوشي شباب الريف الفلسطيني في مذكراته، فذكر المآسي الاجتماعية التي واجهها ملاك الأرض، والضغوطات التي مارسها البريطانيون واليهود ومن خلفهم السماسرة على أهل الريف، ولكنهم ثبتوا أمام كافة الصعوبات واحتفظ الجزء الأكبر منهم بأرضه، فالأراضي التي وصلت لليهود كان سببها الانتداب البريطاني والحكام زمن العهد العثماني، فقد استولى اليهود على (65000) دونما زمن الحكم العثماني بحجة أنها أرض أميرية يريدون إنعاشها، و(3.000.000) دونما منحتها حكومة الانتداب لليهود دون مقابل، وهي من أملاك الدولة...إضافة للأراضي التي اشتراها اليهود من السماسرة العرب - غير الفلسطينيين - منهم آل سرسق اللبنانيون²، مما سبق يتبين أن سبعة أثمان ما استولى عليه اليهود من أراض إنما تسرب إليهم عن طريق غير الفلسطينيين، وبذلك يبرئ العبوشي أهل الريف الفلسطيني من تهم بيع أرضهم لليهود.

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 654.

² انظر: نفسه، ص 703.

يعدّ برهان الدين العبوشي من أبرز الأدباء التزاماً، والتزامه لا يقتصر على مشاركته في الأحداث، بل يتعدى ذلك إلى الموقف الذي يتخذه الأديب "وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحاً وإخلاصاً وصدقاً، واستعداداً من المفكر الملتزم لكي يحافظ على التزامه دائماً، ويتحمل كامل التبعة التي تترتب على هذا الالتزام"¹ وهذا ما حصل مع العبوشي بفعل التزامه قولاً وفعلًا بقضايا وطنه فلسطين، فقد تعرض لشتى ألوان المعاناة من نفي وسجن وتعذيب، كل ذلك لأن التزامه بقضايا وطنه كان التزاماً عقدياً، منبثقاً من شدة إيمانه بهذه القضية، كيف والقضية الفلسطينية هي أم القضايا العربية ومحورها "لكنني سأكتب كعربي من فلسطين، وإن كتبت فإنما أكتب إلى قلوب أمضها الاستعمار، بقلم أسأل عبرته الزمان، من مهجة صدعها الجوى، وفكر قومه العقل، وعقل هذبه المصاب"².

إن التزام العبوشي لم ينبع نتيجة للمآسي التي حلت بالوطن، بل لأن الالتزام جزء من شخصيته الأدبية إذ يجب أن يكون الالتزام جزءاً من شخصية الأديب، ويجب أن يلتزم وهو لا يشعر أنه يلتزم، فقد فتح العبوشي عينيه- كما في عنوان عهد الطفولة- على مأساة وطنية وقومية، فمن عهد الترك الذين ساموا البلاد والعباد سوء العذاب في نهاية حقبة حكمهم لبلاد العرب، إلى عهد الانتداب البريطاني الذي حكم بلاد العرب بالحديد والنار، والمراوغة والمكر، إلى عهد الاحتلال الصهيوني لفلسطين وقطعها عن بقية الجسد العربي الواحد، فشعر العبوشي ونثره يكاد يقتصر على قضايا الوطن، كل ذلك نتيجة طبيعية لالتزامه بهوم وطنه وأمته، بل وأفعاله تصب في نفس الاتجاه "لقد كنت أساهم في التوجيه الوطني في الجمعيات والنوادي والصحف والمظاهرات الوطنية؛ لبث القوة ونبذ اليأس من نفوس الشباب ... وفي حيفا انتخبت سكرتيراً للمقر العام لجمعيات الشبان المسلمين فأقامت المهرجانات الحماسية لأجدد ثقة الشعب بنفسه، وقد تحملت من ذلك الأهوال، فقد طاردني الإنجليز والصهاينة في كل مكان ودسّوا عليّ الدسائس، ولكن الله مع الصابرين، ولنا في رسول الله أسوة حسنة"³.

¹ الشيخ، غريد، فدوى طوقان شعر والتزام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م، ص73.

² فارس السيف والقلم- الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص612.

³ نفسه، ص690-691.

أصاب العبوشي من الفقر والضييق ما أصابه نتيجة لالتزامه بهوم وطنه ومن أهم ما واجهه العبوشي قلة المال الذي يدفع به عن نفسه هموم الحياة - هذا إضافة إلى ما ذكرت من سجن ونفي وتعذيب- فكتب على باب بيته شعرا يجسد حالته:

الخفيف

إن لي غرفة الفقير إذا ما جاءها اللص حاز خفّ حنين¹

لقد اعترف العبوشي صراحة أن ما دفعه إلى توصيل أدبه للناس حبّ وطنه وتقانيه في سبيل ذلك "إن حبّ الوطن ووطن الحبّ هما اللذان دفعا بي إلى اقتحام المخاطر، وتحمل الأرزاء، والصبر على المكروه"².

المبحث الخامس: أسلوب العبوشي في مذكراته

لقد تفاوت أسلوب برهان الدين العبوشي في مذكراته، فكان تارة يركز على تصوير الأحداث المتلاحقة، دون إبراز رؤيته الشخصية لما يجري، بينما تعاطف مع الكثير من الأحداث وتفاعل معها، حيث نلمس المسحة العاطفية بوضوح في مذكراته عندما يتعرض للحديث عن فلسطين عامة وجنين خاصة، وتمتاز مذكرات العبوشي بأسلوب ذي ميزات عالية، فنراه يجمع في مذكراته بين الأدب والتاريخ والسياسة والاجتماع والدين، كل ذلك بلغة سلسة سهلة، تنفذ إلى عقل القارئ وقلبه بسهولة ويسر.

ولم يلجأ العبوشي في مذكراته إلى اتصال الحدث، إذ لا يشترط في المذكرات اتصال الحدث فهي تعبّر عن أهم الأحداث، فالحدث منقطع وغير مترابط، والمهم فيه ذات الحدث وليس طبيعته، فمعظم ما كتبه العبوشي في مذكراته يدخل في باب الذكريات والحوادث والمشاهدات واليوميات، ووقائع الأحداث القديمة التي أسعفته ذاكرته بحفظها، فقد كان يورد في أثناء شرحه بعض الحوادث "أذكر مما أذكر، أو مما أذكر، أو نسيت أن أذكر..."³، ما يدل على أنه كان

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 691.

² نفسه، ص 38.

³ نفسه: ص 692، وص 695، وص 696.

يعتمد على الذاكرة في كتابة المذكرات، إضافة إلى دفتر كان يدون فيه ما يمر من أحداث يومية كما فعل خليل السكاكيني وأكرم زعيتر، وبعد تقاعده بفترة طويلة قرر أن يطبعه بكتاب واحد وقد تمتع العبوشي بذاكرة مكنته من استعراض الوقائع التاريخية بدقة؛ ذلك أنه شارك فيها بقلمه وسيفه، فكان مثالا حيا يكتب عن أمور واجهته تباعا، فكان شاهدا حيا، ما زاد من مصداقية أعماله.

أما لغة العبوشي في مذكراته فهي ذات مستوى واحد، ولكن تتفاوت إيقاعاتها حسب المواقف والأفكار، فاللغة واقعية وصفية دون تركيز على الدلالات الهامشية أو اللغة الإيحائية، وهي بذلك تختلف عن اللغة في المسرحية والرواية حيث يكسر الحوار لغة السرد، ويدفع الأحداث إلى الأمام، فالحوار قد يدخل في لغة السيرة، لكن لا حاجة له في لغة المذكرات، ثم أن لغة العبوشي في كثير من المواضع لغة عاطفية خطابية مؤثرة، مهما كان نوع الموضوع الذي يطرقه، وطنيا أم قوميا أم اجتماعيا...، وهي لغة منطقية واقعية تعتمد الأدلة والأحداث المؤكدة، وتفترق عن المسرحية والرواية أن المؤلف في المذكرات هو الكاتب والبطل والممثل.

لقد تميزت لغة العبوشي في كافة أعماله الأدبية بالشحنات العاطفية، وهذا يدل على عظم حبه لوطنه وارتباطه به، ومن ذلك وصفه في مذكراته لحرب أكتوبر سنة 1973م، حيث يقول "تغطرس اليهود كثيرا على العرب، وظنوا أنهم هم القوة التي لا تقهر، وفي ليلة ظلماء اكتسح الجيش العربي المصري خط (بارليف)... واستولى على الخط وسيطر على الميدان، واكتسح الجيش العربي السوري هضبة الجولان وحرر الكثير منها لولا قبول العرب للهدنة"¹.

لقد كان العبوشي في مذكراته (جاحظي النزعة) ميالا إلى الاستطراد في معظم عناوين المذكرات، فنراه إذا تحدث عن الأقارب مثلا، يذكر الأعمام والعمات وأزواجهم وأبناءهم ووظائفهم، وفي أي بلد يعيشون، وإذا تحدث عن المعلمين ذكر طبائعهم وأمزجتهم، وأردف ببعض القصص التي لها علاقة بهم، ثم يقول: لنعد إلى ما كنا فيه، أو لنعد إلى الشطر الطفولي، أو نرجع إلى موضوع...

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص722.

إن قارئ مذكرات العبوشي يجد متعة عميقة أثناء قراءتها، لأنها ليست حديثاً مقتصراً على النفس، ولا عرضاً للأمور الساذجة، ولا ديواناً لعرض المفاخر والمآثر، بل هي ربط دقيق لحياة صاحبه بالأحداث الهامة، وفيها من العظة والعبرة ما يثير الإعجاب.

إن مذكرات برهان الدين العبوشي تجمع بين التاريخ والأدب؛ فهي تاريخ لأنها تغطي الأحداث السياسية الرئيسة في تاريخ فلسطين والمنطقة العربية خلال القرن العشرين، ولأن صاحبها من المناضلين الفاعلين والقادة المؤثرين، إضافةً إلى تمرُّسه في النظم الشعري، فله أربعة دواوين شعرية، وأربع مسرحيات شعرية، وهي أدب رفيع في الوقت نفسه، لأنها كُتبت بلغة جميلة مشرقة سلسة، وبأسلوب أدبي ممتع.

تستقي هذه المذكرات إمتاعاً وإثارتها لا من الوقائع التي تسردها والشخصيات التي تعرضها فحسب، وإنما من ثقافة صاحبها الواسعة، فهو فرد متعدد: شاعر، مسرحي، كاتب مذكرات، ثوري، إضافة إلى أن هذه المذكرات لا تقتصر على فلسطين فحسب، وإنما تتناول أيضاً عدداً من البلدان التي حصلت فيها أحداث كبرى.

إذا كانت الموضوعية تعني فصل الذات عن الموضوع، فإن هذه المذكرات ليست موضوعية بهذا المعنى، لأن كاتبها ليس مجرد مؤرخ أو باحث يدوّن مذكراته عن أحداث يشاهدها عن بُعد، وإنما هو جزء من الأحداث ومشارك في صنعها ويقدم تحليلاً شخصياً لكثير منها؛ إضافة إلى أنه يتحدث فيها عن نفسه وأهله ومشاعره الذاتية، فقد خصّص مقاطع لوالده ووالدته، وخصّص مقاطع عن ولادته وتعلمه وأسفاره، وخصّص مقاطع عن أولاده، وعن البلاد العربية المجاورة... ولكن وصف هذه المذكرات بالموضوعية يعني أن المؤلف قصد سرد الأحداث بأمانة وصدق، وبتواضعه المعهود عندما يقول: "ليست حياتي حياة ذلك الفاتح العظيم، أو المكتشف الخطير، أو العالم المبتكر، ولكنها حياة فتى فكهل عربي مسلم تفتحت عيناه في مدينة جنين على معالم العبودية العثمانية..."¹.

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 611.

حاول برهان الدين العبوشي أن يرتب الأحداث حسب التسلسل الزمني، وكان موفقاً في ذلك، لكنه قدم وأخر في بعض التفاصيل، حيث بدأ مذكراته بعهد الطفولة، ثم المدارس الابتدائية، لكنه أورد بعد ذلك قصة خطبة والدته لوالده، وهذه إذا سلطنا مبدأ الترتيب الزمني وجب أن ترد في بداية المذكرات، إضافة إلى أنه أورد ثورة 14 تموز 1968م قبل حرب حزيران عام 1967م، وما سوى ذلك التزم التزاماً تاماً بالترتيب الزمني في عرض الأحداث.

لقد تعددت مستويات الاقتباس من القرآن الكريم في مذكرات العبوشي، كشكل من أشكال التناص، فكان أحياناً يقتبس آية كاملة أو جزءاً من آية، أو يستلهم معنى آية وينشرها في مذكراته، وقد تعددت وظائف التناص كذلك بتعدد أنواعه، فمن التأكيد على فكرة معينة، أو إبراز موقف ذاتي، أو استشهاد يتطلبه الموضوع، ومن ذلك قول العبوشي تحت عنوان "المرحلة الثانوية": "أنهيت المرحلة الابتدائية وبقيت سنة محروماً من نعمة الدرس لضيق ذات اليد، فسماء فلسطين تجود فصولاً وفي فصول أخرى تكون سماؤها من نحاس، فحيناً تجود الأرض بثلاث سمان، وحيناً تنذر بمثلها عجاف"¹. بل يتبتل العبوشي إلى ربه أن يهب له فصاحة القرآن الكريم؛ ليبث شكاته وألمه:

البسيط

سبحان وجهك يا من نوره سطعت منه الشموس وزانت روحه كلمي
هب لي فصاحة قرآني أصغه دعا أبث فيه شكاتي من لظى ألمي²

نلمس في بداية المذكرات أن العبوشي كان يكتب بنفس طويل، فذكر التفاصيل الكاملة لولادته وحياته، والمراحل التعليمية المختلفة، كما تناول فترات سجنه ومشاركته في الثورات وهجرته إلى العراق بالتفصيل، لكننا نلمس أن العبوشي في نهاية مذكراته تحول إلى أسلوب آخر أقرب إلى الشكل المقال منه إلى المذكرات دون ذكر السبب، فالقارئ للعناوين الأخيرة يلحظ أنها تشبه التقارير الصحفية والأخبار، وخلت من اللمسات الفنية، فقد لجأ العبوشي إلى ذكر حرق

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 631.

² نفسه، ص 613.

المسجد الأقصى، ومصرع جمال عبد الناصر، واستقلال أرتيريا العربية، واستقلال إقليم جيبوتي العربي إلى آخر المذكرات، فقد اشتملت المذكرات من صفحة 718-729 على 17 عنواناً، بينما عنوان معركة جنين لوحده امتد من صفحة 705-715.¹

حيث يغلب على مذكرات العبوشي في ثلثها الأخير سمة المذكرات ذات الشكل المقال في أسلوب يشوبه التقرير لا التصوير، والمباشرة لا الإيحاء، وإن حاول العبوشي إيجاد رابطة في بناء مذكراته للتدرج في نقل الوقائع والأحداث والبعد عن الفجائية ليكون العمل متماسكاً.

لقد اعتمد العبوشي في رواية مذكراته على سرد الأحداث المتصلة بحياته سرداً إخبارياً، واعتمد على إثبات الحقائق التاريخية، ونقل واقع الحياة الماضية ليزيد من المصداقية في مذكراته، ونقله للأحداث أقرب إلى التقارير في كثير من أقسامه منه إلى الأسلوب القصصي أو الروائي، وهو أقل من ذلك اعتماداً على التحليل والتفسير، ولم يستخدم العبوشي أسلوب البناء الدرامي في مذكراته، كما خلت المذكرات من أسلوب الحوار والقصص.

كما تمتاز مذكراته بالسرد المتصل -غالباً- للأحداث ما منحها قدراً من الوحدة الموضوعية، والاتساق بين العناوين المتتالية، وعزز العبوشي مذكراته بذكر الأماكن والتواريخ والأشخاص بالتحديد، ما زاد من نسبة المصداقية عنده، وفي سرده للأحداث تشعر أن العبوشي يمثل السارد "كلي المعرفة"، فهو يتعمق في نفسه واستحضاره للأحداث السابقة، ويتنقل في الزمان والمكان دون أدنى صعوبة، ويستخدم ضمير "الأنا" في مذكراته ما يزيد من مصداقيتها.

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 718-729.

الفصل الرابع

التشكيل الفني

المبحث الأول: اللغة

المبحث الثاني: الأسلوب

المبحث الثالث: الصورة

المبحث الرابع: الموسيقى

المبحث الخامس: التناس

المبحث السادس: التكرار

المبحث الأول: اللغة

اللغة "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"¹، وهي سلوك متعلم مكتسب، يتعلمها الإنسان من البيئة التي يترعرع في أحضانها "فالبيئة تؤدي دورا رئيسا في تشكيل لغة الشاعر"²، وهي ميزة تميز الإنسان عن باقي المخلوقات "فالألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها الشكل الفني"³، والشعراء يلجؤون إلى نقل تجاربهم، وأفكارهم إلى الآخرين، عن طريق القصيدة التي تعدّ بمثابة "موضوع لغوي من نوع خاص، واللغة توظف فيها على نحو متميز"⁴.

واللغة تعبّر أصدق تعبير عما يجول في نفس الشاعر من آمال وآلام، خاصة وعامة "فالشاعر بألفاظه وعباراته التي يصوغها في قصيدته إنما يعكس تجربته التي عاشها، وعالمه الداخلي، ذلك أن المعاناة هي التي تدفع الشعراء إلى انتقاء ألفاظهم، وتؤدي بالتالي إلى تميز الشعراء بعضهم عن بعض"⁵ حيث "تعدّ اللغة عنصرا أساسيا من عناصر القصيدة، وقد ذهب بعض المفكرين إلى أن مادة الشاعر اللغة، وبها يختلف عن غيره من الفنانين، مثل الرسام الذي مادته الألوان، والموسيقي الذي مادته الأصوات"⁶.

فلغة الشعراء لها خصائصها ومميزاتها التي ترقى بها عن اللغة العادية، فهي تتجاوز المعاني المعجمية إلى فضاء الدلالات المتنوعة "وهي تنتهك قوانين اللغة من أجل تفجير الطاقات الكامنة في اللغة"⁷، والشعراء يختلفون عن بعضهم البعض في مادتهم الشعرية تبعا لاختلاف

¹ ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، المكتبة العلمية، القاهرة، ج1، ص33..

² فخر الدين، ساهرة عادل، القتال الكلاسي شاعرا، رسالة ماجستير، إشراف: خليل عودة، جامعة النجاح الوطنية، 2005م، ص106.

³ القط، عبد القادر، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، القاهرة، 1986م، ص435.

⁴ الربيعي، محمود، لغة الشعر المعاصر، مجلة فصول، العدد الرابع، يوليو، 1981م، ص62.

⁵ الضمور، عماد عبد الوهاب، محمود فضيل التل، حياته وشعره، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، 2001م، ص161.

⁶ أبو بكر، أحمد حسن محمود، حنا إبراهيم أديبا، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، إشراف: عادل الأسطة، 2001م، ص110.

⁷ انظر : سلسع، جمال، الظاهرة الإبداعية في الشعر الفلسطيني الحديث، مطبعة المعارف، 1994 م، ص 15 .

تجاربهم الشخصية، فبرهان الدين العبوشي الذي عاصر وطنه يباع ويشترى، عاصر نهايات العهد التركي، وصولاً إلى الانتداب البريطاني، ثم الاحتلال الصهيوني، وعاصر المعارك المختلفة بين العرب والإنجليز من جهة، والعرب والعصابات الصهيونية من جهة أخرى، هذا إضافة إلى دراسته، فقد تخرج في كلية النجاح الوطنية، ثم أتمّ تعليمه في كلية الشويفات بلبنان، ثم الجامعة الأمريكية، وشاعر بهذه التفاصيل يملك حصيلة لغوية مميزة، لا تتوفر لدى كثير من الشعراء.

لكن من أين ينبع قاموس المفردات الشعرية الإبداعية لدى شاعر مثل برهان الدين العبوشي؟

"الشعر الحق ينبع من شرف الشاعر وضميره، وتعلقه بآلام أمته وأفراحها، وبقضايها وطنه، ومصير أهله، وتشردهم وترحالهم الدائم من قطر إلى قطر، ومن عذاب إلى عذاب"¹.

فقاموس العبوشي الشعري يفيض بمفردات الثورة والوطنية، وأما مفردات النسيب والتشبيب فلم يفها حقها، بل يتعجب من أولئك الشعراء الذين تملأ مفردات الغزل والتشبيب قصائدهم، وقد لامه بعض النقاد على أن مفرداته لم تتعد الثورة والوطنية فرد واثقا "وهل الشعر إلا شعور؟ وهل حبّ يفوق حبّ وطن يعيش فيه الحبيبان؟ أضع (الوهن) بدل (الوطن)، و(العورة) بدل (الثورة)، ليرضى عني اللاهون؟"².

وأضاف العبوشي "أنا لم تنطقني الشهوة، بل أنطقني الكرامة أو الروح أو بنتها، والروح أسمى من شهوة الجسد"³، يقول العبوشي في قصيدة "الفداء":

الكامل

زاد الأديب همومه، وشرابه من جرحه لا خمرة تتعق

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 276.

² نفسه، ص 149.

³ نفسه، ص 149-150.

أفشاعر من قام ينشر عهره وهو الذي من بؤرة يتسوق
يحسو الشراب مع البنات كأنه بنت تغنج يستحف ويخلق
ما كل من ركب المناير فارس أو كل من نظم القصيد مفلق¹

وقد وردت مفردات الثورة بكثرة في معجمه الشعري منها: تعالوا، نشيد الزحف، ثورة
تموز، ثورة القسام، أزفت ساعة الجهاد، لقد أذن الجهاد، دعانا النفير، إلى الجهاد، إلى الحرب،
أمة الحرب، معركة جنين، لغة الرصاص، انهضوا، استعدوا، دججوا الشيب والشباب...

الخفيف

قد رأيتم بعيونكم وسمعتهم يا بني العرب فانهضوا واستعدوا
أصبح الحق للسلح وإني لا أرى الحق بالبكا يسترد
دججوا الشيب والشباب وسيروا لقرع الخصوم حيث استبدوا
من ينم عن حماه يلحق ثبورا وهو في الأخسرين حتما يعد²

يحرص العبوشي أمته على الثورة والمواجهة، ولا يدخر مفردة أو صيغة من صيغ
التحدي إلا استعان بها في سبيل تحقيق غايته، وقد وردت هذه المفردات لخدمة الهدف الذي
يسعى لتحقيقه، وهو أن الخلاص من العدو لا يتحقق إلا بالجهاد والمقاومة والثورة. كما يدعو
العبوشي الشعب إلى أخذ زمام المبادرة والثورة بيده حتى لا تلعب بها الأهواء:

يا شعب غيرك لا يحل قضية لعبت بها الأهواء ستة أشهر
يا شعب دونك والسلح فلا أرى منجاة عز دونه في الأعصر³

أما عن مفردات الجمال فهي موجودة بكثرة في شعر العبوشي، لكن عن أي جمال
يتحدث؟ إنه جمال زهور الوطن، وسفوح الجبال، ومباهج المرج، وخفيف الشجر، وسنبل
السهل، وشدو البلابل... وصرير القلم، وصفحة الكتاب، وترتيل القرآن الكريم، ولذلك قال
العبوشي في صباه:

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص257.

² نفسه، ص135.

³ نفسه، ص179.

الكامل

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْجَمَالَ لَمَوْقِنٌ أَنِّي لِأَعْبُدَهُ بِهِ وَأَمُوتُ¹

ويقول العبوشي في وصف جمال الزهور:

الخفيف

انظر الورد والقرنفل زُفَا نعمة الله للكئيب وَرَقَا
فإذا ما حرمت ود حبيب فنعيم الزهور أبقى وأوفى
وإذا ما الغرام ضَرَسَ قلبا فحنان الورد لهم أنقى²

فالورد والقرنفل نعمة من الله للناس عامة، وللمكئيب خاصة، وهما خير جليس لأن نعيمهما أبقى وأنقى، ووجودهما يزيل الهموم.

كما استخدم العبوشي مفردات تشي بالحزن والأسى للذين حلَّ بالوطن منها على سبيل المثال: الوطن المبيع، المرج الحزين، أخي اللاجئ، الطالب الجائع، النازحون، أشواق محرقة، الغربة، الرحيل... وانتشار مثل هذه المفردات لا غرابة فيه، فالعبوشي شاعر عاش هموم أمته، وآلامها وآمالها، ووهب فكره وشعره للتعبير عما لحق وطنه من ضيم، يقول العبوشي في قصيدة "أيها المرج":

الرمل

أيها المرج الذي كنا به نقتل الوقت سرورا وابتهاجا
نحتسي كأس الهنا في غابه ونغني فيه ما ينشي المزاجا
مَنْ تَرَى أَنَّكَ عَنَا
وَسَبِي مَغْنَاكَ مَنْنَا
إِنَّ لِي قَلْبًا تَغْنِي
فِيكَ يَا مَرْجِي الْخَصِيْبُ³

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص150.

² نفسه، ص303.

³ نفسه، ص47.

لقد كثر في شعر برهان الدين العبوشي استخدام المفردات الشعبية التي تفهمها عامة الناس، لأنها منتزعة من واقع حياتهم، ولذلك ما يبرره، فاستخدام شعراء فلسطين لكثير من الألفاظ الشعبية في أشعارهم إنما يهدف إلى تشبثهم بالجذور العربية الفلسطينية، وينسجم مع تبنينهم لفكر المقاومة الهادف إلى الوقوف في وجه المحتل من خلال استثارة الإرث الحضاري المتمثل بلغة الآباء والأجداد.¹

لقد "اتجه كثير من الشعراء في فلسطين إلى استخدام مفردات الحياة اليومية، والاقتراب من لغة الشعب، ما دعا إلى إدخال بعض الألفاظ المتداولة إلى البناء الشعري"²، فالألفاظ اليومية قد تعبر عن المعنى أفضل من غيرها إذا اقترنت بجمال وتعبيرات أخرى موحية، والشاعر الجيد هو الذي يستطيع أن يمنح الألفاظ العادية بعداً فنياً عن طريق نقلها من بعدها العادي إلى بعد مليء بالإحياء الفنية.

فشعر برهان الدين العبوشي واضح القصد، لا يموه ولا يحير، فهو يكاد يخلو من التأملات الذهنية، والغموض النفسي المحير، وشطحات الخيال البعيدة، كما يخلو من غرابة التركيب اللغوي، أو التعقيد في بناء القصيدة... ويمتاز شعره بوضوح الغرض الشعري، وسلامة اللغة وجزالتها، ومتانة البيت... فشعر برهان الدين العبوشي يمتاز عن غيره من شعراء زمانه بالحماس الذي لا حدود له.³ وسرّ سهولة الألفاظ في شعر برهان الدين العبوشي واضح، فهو يخاطب المتلقين كافة، على اختلاف ثقافتهم وعلمهم، فجّل شعره يعدّ شعر منابر ومناسبات، ولا يستقيم ذلك مع فهم الناس لما يقول إلا إذا امتاز شعره بسهولة الألفاظ.

والدليل على ما ذهبنا إليه قول العبوشي في مقدمة ديوانه (جبل النار): "ولم أكن أجهّد نفسي بتزويق شعري، فإنني لا أحب التصنع... ولم أكن لأقول ليقال عني شاعر، بل هي ثورات

¹ انظر: اشتية، معاذ عبد الله حامد، عبد اللطيف عقل شاعراً، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، إشراف: عادل الأسطة، 2003م، ص141.

- حياة الأدب الفلسطيني الحديث، ص290.

² علي الخليلي أديبا، ص80.

³ انظر: الشعر الفلسطيني الحديث، ص43-48.

نفسية عاطفية تجيش في صدري فأنفثها لأبناء الشعب على اختلاف مداركهم ليفهموها، لأنها نتيجة آلامهم، وخلاصة أوطانهم"¹، فقد كانت عناية الشعراء بتجويد قصائدهم وتنقيحها قليلة؛ لازدحام الأحداث، والمشاركة فيها، وقد وظّف الشعراء جلّ شعرهم لخدمة بني أمّتهم ووطنهم، لذلك طغى عليها الحماس والخطابية، والمباشرة بصورة عامة²، فلم يكن لدى العبوشي من الوقت ما يبذله لتجويد القصائد وتنقيحها، ورفع المستوى الفني، بل همّهم توعية قومهم لما يحاك من مؤامرات تبغي سلب الأرض، وطرد أصحابها منها عنوة.

ولم ينسَ برهان الدين العبوشي مدن فلسطين وقراها في شعره، بل هي حاضرة بكثرة، حتى إنّ المدن تحتل في دواوينه المختلفة عناوين القصائد الرئيسية، ومن تلك المدن: الناصرة، بيسان، جنين، صفد، طبريا، القدس، حيفا...، وفي بعض الأحيان كان يعقد الشاعر مقارنة بين حال المدينة قبل النكبة وبعدها، فذكر المدن المختلفة في شعره يدل على مدى الارتباط الوثيق الذي يجمع برهان الدين العبوشي بمدن وطنه وقراه، يقول العبوشي في قصيدة "المرج الحزين":

البسيط

"جنين" "زرعين" "بيسان" مهددة و"سيلة الحارثي اليوم تضطرب"³

وكان في المعجم الشعري لبرهان الدين العبوشي نصيب لألفاظ البعد القومي، ومنها: وطن العروبة، أنجدوا الجزائر، شباب الشام، فلتحي مصر، يا عرب، بني أمّتي هبوا، ذكرى الثورة العربية، جيش العروبة، الوحدة الكبرى، المجاهد العربي، أنا قومي... وهذا ينم عن شدة التواصل مع البلدان العربية الأخرى، وأنها تعد الامتداد الطبيعي لفلسطين، ومن ذلك قوله في قصيدة "فإن تسلمي يا مصر فالشرق سالم":

الطويل

سرى الركب مشتاقا يحن إلى مصر يزف سلام القدس للبلد النضر
يعبر عن آماله بشبابه ويرفع أي الشكر للسادة الغر

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص40.

² انظر: الشعر الفلسطيني الحديث، ص42.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص46.

إلى بلد فاضت أياديه بالندى على أمة شادت فسادت على الدهر¹

"وقد عرف العبوشي بثقافته التراثية الدينية"²، وما يدل على ذلك شيوع المفردات ذات الدلالة الدينية بكثرة في أعماله المختلفة، ومن تلك المفردات: يوم النبي، ذكرى مولد المسيح، الرسول، المسجد الحريق، الفرقان، مسجد الفاروق، الأقصى الحريق، الله جل جلاله... وهذا يدل على عمق ارتباط الشاعر بموروثه الديني، وحجم التأثير الذي خطه والده في نفسه، فقد كان والده يأخذه إلى المسجد منذ صغره، ويعلمه تلاوة القرآن، ومجالسة العلماء، يقول العبوشي في قصيدة "الفرقان":

الوافر

إله العرش يا من مدّ بحرا من الغفران أرجو منك عفرا
خلقت الكون من عدم فأضحى بفضل يديك آلاءً وسحرا
وهيات الثرى رزقا وماوى وللأخرى جعلت الرزق أجرى³

نستنتج من كل ما سبق أن لغة برهان الدين العبوشي في أعماله الأدبية لغة فصيحة خالية من اللحن والخطأ اللغوي، وكذلك خالية من قاموس المفردات العامية.

المبحث الثاني: الأسلوب

يرتبط الأسلوب بطرق مختلفة من التعبير، تحدها علاقات لغوية ومعجمية متنوعة⁴، والأسلوب عنصر مهم من عناصر العمل الأدبي، يختاره الأديب ليجمع كافة العناصر، وبرهان الدين العبوشي شاعر مبدع، نبت في بيئة أدبية تمتاز بالأصالة والعراقة، وتخلو من التعقيد والغموض، وقد أتيحت له فرص ذهبية للاتصال بمشاهير الشعراء الفلسطينيين في زمنه أمثال؛ أستاذه في كلية النجاح الوطنية الشاعر إبراهيم طوقان، وزميله في الكلية نفسها الشاعر الشهيد

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص110.

² الهواري، عرفان سعيد أبو حمد، أعلام من أرض السلام، شركة الأبحاث العلمية، حيفا، 1979م، ص88.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص277.

⁴ انظر: عبد المطلب، محمد، بناء الأسلوب في شعر الحداثة - التكوين البديعي، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1995م، ص20.

عبد الرحيم محمود- والاستفادة من تجاربهما الإبداعية، وقد أتيح للعبوشي الاستعداد الفطري لقراءة أشعار القدماء ومحاكاتها.

ويمكننا تحديد أهم سمات أسلوب برهان الدين العبوشي فيما يلي:

- طول النفس - التصريع.- التدوير.- الجناس.

- النداء.- الاستفهام.- القسم.- التعجب.

طول النفس الشعري

الشعر موهبة فطرية، بل شعور يمتلك المبدع، وعندما يريد الشاعر أن ينظم قصيدة في موضوع معين، فإن عناصر كثيرة تقتحم الجو الشعري وتتحكم في طول القصيدة أو قصرها، ومن أهم هذه العوامل الجو النفسي، وطبيعة الموضوع، وعنصر الزمن المتاح للشاعر.

فمثلا المعلقات الجاهلية تمتاز بطول النفس في دلالة على توفر كافة العناصر التي تتيح ذلك، بينما قصائد الصعاليك نلاحظ فيها ظاهرة قصر القصائد، بل هي مقطعات شعرية؛ لأن عناصر طول النفس لم تكن متوافرة لحظة نظم القصيدة، بسبب طبيعة عيش الشعراء الصعاليك.

لكننا نلاحظ الحالتين معا في شعر برهان الدين العبوشي، فهو في حالة السرعة وضيق الوقت ينظم مقطعات شعرية، أو قصائد قصيرة قليلة الأبيات، وعندما يسمح الجو النفسي وعنصر الزمن نراه يبدع القصائد الطوال، التي يزيد عدد أبيات بعضها عن مائة بيت، حيث تبرز ظاهرة النفس الشعري الطويل في قصائد: "الإعدادية المركزية"¹، و"التأميم"²، و"تور مكة"³، و"يا رب"⁴، و"تململ الليث"⁵...

ومن قصائده الطوال قصيدة "قيم افتخارك" حيث يزيد عدد أبياتها عن تسعين بيتا:

مجزوء الكامل

¹ فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص315-317.

² نفسه، ص307-309.

³ نفسه، ص294-296.

⁴ نفسه، ص291-293.

⁵ نفسه، ص287-291.

المصطفى نور الوجود ودينه عمل وطاعة
قرآنه سرّ المبادئ منه إن رمت انتفاعاً¹

التصريح:

هو "جعل العروض مقفاة تقفية الضرب"²، إذ يُختم الشطر الأول بما خُتم به الشطر الثاني فيكون عروض البيت تابعا لضربه³، وهو كذلك "تصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها، رغبة في إنتاج إيقاع واضح في مطلع القصيدة، ليرتفع الإيقاع، جراء تآلف العناصر، وليقيم ارتباطا تلازميا بالسلوك الشعري التقليدي الذي يعد التصريح فيه تقنية أساسية في التشكيل الموسيقي المزدوج، التكويني والإطاري، وفق ما يتطلبه الموقف، فالحالة الشعورية والفكرية في أبعادها الوطنية والقومية وإفرازاتها المختلفة، تتطلب نبذة حماسية متمردة، ثورية غاضبة، تستدعي إيقاعا متميزا ذا وضوح سمعي، رغبة في التأثير الفاعل في أذن المتلقي، وبالتالي في وجدانه، بما يوجهه نحو المحمول الدلالي في القصيدة، فبمجرد الولوج إلى القصيدة يواجه المتلقي بهذا الإيقاع المعزز بالقافية الموحدة على وجه الخصوص"⁴.

والتصريح ليس أسلوبا حديثا في الشعر، بل هو أسلوب عريق لجأ إليه الفحول والمجيدون من الشعراء القدماء والمحدثين، ومن التصريح قول أبي العتاهية في هارون الرشيد:

الكامل

قطعت منك حبايل الآمال وحططت عن ظهر المطي رحالي⁵

وأسلوب التصريح موجود بغزارة في أعمال برهان الدين العبوشي الأدبية⁶، وسر غزارته أن شعره في معظمه شعر منابر ومظاهرات وثورات، أي أن الشاعر يلقي أشعاره أمام

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص77.

² الصعيدي، عبد المتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، القاهرة، مكتبة الآداب، ج4، 2000م، ص86.

³ انظر: أبو عمشة، عادل، العروض والقافية، نابلس، مكتبة خالد بن الوليد، ط1، 1986، ص57.

⁴ الخواجا، علي، برهان الدين العبوشي، ص22-23.

⁵ أبو العتاهية، أبو اسحق إسماعيل بن القاسم، ديوان أبي العتاهية، بيروت، دار صادر، 1964م، ص57.

⁶ انظر: فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص43-44-46-50.

جمهور عريض، ما يعزز حاجة الشاعر إلى لفت الانتباه، وقوة التفاعل مع الجمهور، ومن ذلك قصيدة "بيسان قبل ضياعها" التي ألقاها في مهرجان صندوق الأمة العربي حيث يقول العبوشي:

الكامل

ما للهوى يشجيك في بيسان ويثير فيك حمية الشجعان¹

وقد عد ابن الأثير التصريح بمنزلة السجع في الكلام المنثور²، ومن التصريح في شعر العبوشي، مطلع قصيدته الموسومة ب(كنت سهما)، وقد ألقاها في مهرجان المؤتمر العام لكتاب فلسطين في القاهرة:

الكامل

ما لي أراك غدوت سهما مغمدا والسيف أجود ما يكون مجردا³

ومن أسباب اهتمام الشعراء بالتصريح إثبات الشاعرية، وسعة القدرة الشعرية، وإيجاد إيقاع واضح ولافت في مطالع القصائد "إن التزام الشاعر بهذه التقنية ليؤكد تمتع بيته الشعري بسكتة عروضية، تستوقف المتلقي ليتأمل محمولها الموسيقي والدلالي، فتحفزه للانتقال إلى ما يليها، وهكذا إلى نهاية القصيدة"⁴، ومن ذلك قول برهان الدين العبوشي في قصيدة "المرج الحزين":

¹ نفسه، ص54.

² انظر: ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر، 1959م، ص118-119.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص260.

⁴ التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص52.

البسيط

مرج ابن عامر باعت مجدك العرب¹ واستأسد الغرب والشرقي يحترب¹

إن التصريع هنا مائل في تفعيلتي العروض والضرب، فتفعيلة العروض هي نفسها تفعيلة الضرب، كما أن التماثل الصوتي قائم في توافق القافية(الباء المضمومة) ما ضاعف الأثر الموسيقي الناتج، فأصاب أذن المتلقي مما دفعه إلى تبين العلاقة القائمة بين(العرب- يحترب)، كما أن الضمة القصيرة في قافية الصدر تدل على سكتة عروضية طويلة نسبياً، قياساً فيما لو كانت القافية ساكنة، ما يقوي فرصة السكتة الدلالية، ويترتب على ذلك تراكم عروضي دلالي، يصيب به الشاعر مقصده؛ وهو تحقيق الأثر الوجداني في المتلقي².

التدوير

"وهو إزالة الحاجز الجزئي الذي يقوم بين شطري البيت، وإخراجه في قالب واحد، يصل بين صدر البيت وعجزه لفظ مشترك بينهما، وبعدّ نوعاً من الخروج بالقصائد عن نسقها العمودي الثنائي، إلى نسق عمودي جديد موحد الإطار"³ " ما يسمح بتدفق عدد من التفعيلات المتلاحقة دونما سكتة في نهايات الصدور، فتكتسب نغماً إيقاعياً مميزاً مبايناً لتلك الصدور التي لم يقع التدوير فيها"⁴ وقد يكون التدوير إما لاتصال الوزن أو لاتصال المعنى، "ما يستدعي نفساً موسيقياً متواصلاً"⁵، لأنه يربط آخر البيت مع بداية البيت الذي يليه⁶.

لقد لجأ برهان الدين العبوشي إلى أسلوب التدوير ليخرج ولو شكلياً عن نهج القصيدة العمودية، فقد دور في قصيدة واحدة ثلاثين بيتاً، وهي قصيدة "ذباب"⁷:

¹ فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص46.

² انظر: التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص53.

³ سليمان، فتح الله أحمد، الأسلوبية - مدخل نظري ودراسة تطبيقية، القاهرة، مكتبة الآداب، 2004م، ص57.

⁴ خواجا، علي، برهان الدين العبوشي، ص23.

⁵ الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة، ص337.

⁶ انظر: العروض والقافية، ص224.

⁷ فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص72-73-74.

مجزوء الكامل

يا ويح أمك يا ذبا ب قتلت رببات الحجاب
أوديت بالطفل الرضوي ع ولسنت تحذر أو تحابي
سنبيد جندك بالهجو م عليك لا بالإنسحاب¹

وقد دور برهان الدين العبوشي في كثير من قصائده، منها "الوطن المبيع"²، و"إلى العراق"³، و"أنجدوا الجزائر"⁴، ومنها كذلك قصيدة (ألا هل زرت بيساناً) حيث يقول:

الهزج

ولو شاهدت دمع الأر ض مثلي ثرت نشوانا
ألا ما قيمة الأحزا ب إن لم تحم أوطاناً⁵

إن التدوير لا يدخل القصيدة عبثاً دونما فائدة، بل يعمل على اتصال الشطرة الأولى بالثانية عروضياً ودلالياً، ويعبر عن الحالة النفسية التي تتتاب الشاعر في تلك اللحظة، والتدوير يعني في معظم حالاته أن لا مجال للوقوف في لحظة من اللحظات على الشطرة الأولى، بل لا بد من اتصال بينهما ليتحقق الهدف المطلوب، فتسارع الأحداث أو الاضطراب النفسي يمنعان الشاعر من الوقوف، ويسهمان في تدوير الشاعر لكثير من الأبيات ليحقق ما يصبو إليه.

الجناس:

"لقد وجّه الشاعر الفلسطيني جلّ إمكاناته اللغوية لإنتاج التماثل الصوتي في نهايات أبيات قصائده، ليحقق نظام القافية المطلوب، وتأكيداً لهذه الغاية فقد عمد إلى تقنية الجناس، بين دوال

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 73.

² نفسه، ص 50.

³ نفسه، ص 56.

⁴ نفسه، ص 101.

⁵ نفسه، ص 305.

قوافيه، وذلك بالتزامه التزاما كبيرا بما يسبق الروي من أصوات إضافية أخرى كالردف والتأسيس¹، فزاد من فرص وقوع الجناس بين قوافيه².

ونستنتج من تتبع قصائد برهان الدين العبوشي وقوع الجناس بكثرة، مع تعدد أشكاله وآلياته، فقد انتشر الجناس في عشرات القصائد من قوافي الأعمال الشعرية للعبوشي³، ما يوحي التزامه بالجناس تقنية أساسية في قصائده، ومن أمثلة الجناس في شعر برهان الدين العبوشي قوله في قصيدة (طبريا):

الطويل

ألم يعد الجبار قوم محمد بنصر إذا جدّوا وجادوا بأثمن⁴

يجمع العبوشي بين دالّين متجاورين هما "جدّوا وجادوا" بتمائل صوتي عام، وتخالف صوتي خاص، حيث أضاف الشاعر صوت الألف في المفردة الثانية التي أدت إضافتها إلى تخالف المعنى بين الدالّين، فمدلول "جدوا" هو الجد والمثابرة والاجتهاد، ومدلول "جادوا" هو العطاء والسخاء والجود⁵. ومن أمثلة الجناس كذلك في نفس القصيدة قوله:

الطويل

أحاط بكم جيش الثعالب فاسمعوا ندائي فإن الصدق ديني وديدي⁶

يجمع العبوشي دالّين متجاورتين في قوله "ديني وديدي" بتمائل صوتي عام، وتخالف صوتي خاص، فقد أضاف الشاعر صوت الدال في المفردة الثانية التي أدت إضافتها إلى تخالف المعنى، فديني هو الدين والشريعة، بينما ديدن هو الطريقة والأسلوب. ومن الجناس في شعره كذلك قوله في مسرحية "شبح الأندلس":

¹ الردف: حرف علة يسبق الروي مباشرة، ويلتزم في سائر الأبيات. والتأسيس: ألف تسبق الروي، وتكون معه في كلمة واحدة، على أن يفصل بينهما حرف أجنبى يسمى الدخيل. انظر: العروض والقافية، ص 198.

² انظر: خواجا، علي، برهان الدين العبوشي، ص 24.

³ انظر: فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 58-59، وكذلك ص 90.

⁴ نفسه، ص 48.

⁵ انظر: خواجا، علي، التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص 56.

⁶ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 49.

الطويل

بذل النفيسة والنفوس ليشترى شرف الحياة وعزة الأبرار¹

حيث التشابه الصوتي بين النفيس والنفوس، فالنفيس الغالي الثمين، والنفوس الأرواح، فالتخالف بين صوتي الياء والواو أدى إلى اختلاف المعنى كلياً. ومن أمثلة الجناس في شعر برهان الدين العبوشي قوله في قصيدة "نهر الفتوح":

الطويل

فلا تحزني إن خانك الحظ فترة فإنا سنبنّي، كل داء له دوا²

تظهر بنية الجناس في مفردتي "داء/دوا"، إذ تختلف المفردتان في صوت الواو الذي عمل بدوره على التفريق في المعنى بينهما، فلفظة الداء تختلف عن لفظة الدواء؛ إلا أن التباين الدلالي عمل على خلق تناغم ثنائي متضاد "فدالّ الداء يستدعي دالّ الدواء، والعكس صحيح، وبالتالي فإن بنية الجناس هنا جاءت معبرة عن عنصر التناظر (التضاد)"³، فالداء عند برهان الدين العبوشي ليس ذلك المرض الذي يقعد النفس عن العمل، أو يجعلها تشعر بأعراض الأمراض المختلفة، بل هو اغتصاب الأرض العربية عنوة، والمقصود هنا احتلال فلسطين، وقد خرجت المفردة عن معناها الدلالي لتؤدي وظيفة هامشية مرتبطة بطبيعة الأوضاع في فلسطين، أما الدواء فهو الجهاد بالمال والنفس من أجل تحرير فلسطين من نير الاحتلال الذي يسومها سوء العذاب، وبذلك يخرج العبوشي في لفظة الدواء من العلاج المادي الذي يبرئ الأمراض إلى العلاج المعنوي الذي يحقق النصر على الأعداء.

أستنتج مما سبق أن الجناس قد انتشر على مساحات واسعة من أشعار برهان الدين العبوشي، مما يؤكد انصراف الشاعر إلى هذه التقنية عن قصد، ما يؤدي إلى تكثيف إيقاعاته، وتنويع تشكيلاته.⁴

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 439.

² نفسه، ص 123.

³ التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص 57.

⁴ انظر: التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص 55.

النداء

يعدّ النداء من الأساليب الإنشائية اللغوية المشهورة، حيث اهتم به العلماء والنحاة والبلاغيون والشعراء، وأفردوا له مساحات واسعة في أعمالهم¹، والنداء هو "طلب الإقبال"² حيث يتكون أسلوب النداء من حرف نداء واسم بعده، وقد استخدم برهان الدين العبوشي من أحرف النداء (يا، وأيا، والهمزة، وأيها)، وقد حاز حرف النداء "يا" على حصة الأسد من بين أحرف النداء الأخرى، ومن ذلك قوله في قصيدة "أمة الحرب":

الخفيف

أيها النائمون من آل قومي يا أذلاء ذلكم قد شجاها³

ينادي الشاعر النائمين من بني قومه في صدر البيت ب"أيها النائمون"، ثم يناديهم ب"يا أذلاء" في مطلع العجز، تأكيداً لفكرة النوم السياسي، حيث يشكل النداء في مطلع الصدر والعجز نقطة مركزية في تكوين الدلالة، وعليه يبنى معنى الأبيات اللاحقة، وقد أدّى النداء في البيت معنى "النداء والتحقير"، واستخدام الشاعر حرف النداء "أيها" دلالة على حالة الغربة والضياع التي يعانيها الشاعر. ومن أمثلة النداء قوله:

الخفيف

لا تعقوا بلادكم يا بنيها إن من عقها يعق الإله⁴

حيث مثل النداء في هذا البيت خاتمة الصدر بعد صيغة النهي، ما يدل على أن النداء في هذا البيت ذو أهمية ثانوية، وهذا يؤكد تخصيص المنادى وجعله مركز التوجه الطلبي⁵. ومنه قوله في قصيدة "يا رب":

¹ بناء الجملة في الشعر الفلسطيني الحديث، ص 394.

² الصبان، محمد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني، دار إحياء التراث العربي، د.ت، 134/3.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 43.

⁴ نفسه، ص 43.

⁵ انظر: خواجا، علي، برهان الدين العبوشي، ص 25.

البسيط

يا سامعا صوت من لا يستجيب له إلاك، عفوك، صُن أهلي وصُن ولدي¹
حيث خرج النداء هنا عن معناه الحقيقي ليفيد معنى الدعاء، وكان الشاعر يدعو الله
وحده أن يصون أهله وولده².

الاستفهام

يعد أسلوب الاستفهام أحد الأساليب اللغوية المشهورة التي لا يمكن الاستغناء عنها³،
والاستفهام "طلب ما ليس عند المستخبر"⁴، وتكمن أهمية أسلوب الاستفهام إذا خرج عن معناه
الأصلي ليضفي على النص دلالات جديدة، وقد كرر العبوشي استخدام أسلوب الاستفهام؛ وذلك
يشي بالنفسية المضطربة لديه نتيجة الظروف القاسية التي تعيشها البلاد العربية عامة، وفلسطين
خاصة.

ومن أدوات الاستفهام التي استخدمها العبوشي "متى، كم، الهمزة..." ومن أمثلة ذلك اسم
الاستفهام "متى" في قصيدة "ذباب" حيث يقول:

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 293.

² انظر: دمس، أحمد داود، بناء الجملة في الشعر الفلسطيني الحديث، دراسة تطبيقية في شعر: إبراهيم طوقان، وبرهان الدين العبوشي، وراشد حسين، رسالة دكتوراة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الدار العثمانية، عمان، ط1، 2010م، ص 397 .

³ نفسه، ص 339.

⁴ ابن فارس، أحمد، الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر الطباع، بيروت، مكتبة المعارف، ط1، 1993، ص 186..

مجزوء الكامل

فمتى سنشبع في البلا د ونحن نقعي كالكلاب¹

فقد تصدر اسم الاستفهام "متى" البيت، وقد خرجت متى من استخدامها الحقيقي (تعيين زمان الفعل) إلى معنى جديد يناسب المقام، فالشاعر يستبعد تحقق الفعل "سنشبع" في البلاد المحتلة، وما يؤكد فكرة الشاعر جملة "ونحن نقعي كالكلاب" فقد أخرجت هذه الجملة الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى التقرّيع، فما دمنا نطلب الطعام من المحتلين، فلن نشبع أبداً، والتقرّيع هنا جاء لحث أمتة على العمل الجاد لنيل لقمة العيش بكرامة وعزة.

القسم:

يعدّ القسم من أساليب الجملة الإنشائية، وهو أسلوب يفيد التوكيد في الخطاب نحو قوله تعالى على لسان إبراهيم _عليه السلام_: "وتالله لأكيدين أصنامكم"²، وأسلوب القسم في شعر برهان الدين العبوشي يعد ظاهرة، ومنه قوله:

المتقارب

أطيرَ الهزار بربك خُذني أبثُّ غرامي إلى من هويت³

فالقسم في هذا البيت يدل على الطلب، فالشاعر يطلب من الطير ويستحلفه أن يأخذه ليبث غرامه إلى من يهوى⁴، ومن القسم في شعره كذلك قوله في قصيدة "الوطن المبيع":

الكامل

والله لو جعلوا الكواكب في يدي ننبذتها تهوي على أعتابه⁵

والقسم هنا مستمد من قصة كفار قريش مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - حينما حاولوا إقناعه بترك الدعوة مقابل مال أو جاه أو سلطان، فرد عليهم بأسلوب القسم.

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص73.

² سورة الأنبياء، آية57.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص75.

⁴ انظر: بناء الجملة في الشعر الفلسطيني الحديث، ص426 .

⁵ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص51.

التعجب

يكون التعجب في أمور عظيمة حصلت وانقضت، أو في معرفة سبب فوجئت بمعرفته¹،
ومن أمثلة التعجب في شعر العبوشي قوله في قصيدة "الأمير شكيب":

الطويل

وما أكثر الأبطال في الغنم والرخا ولست ترى في الكرب من رتق الفتق²
فالعبوشي يتعجب من كثرة الأبطال في وقت الغنم والرخاء، وما أقلهم وقت الكرب
والشدة، مع أن الأصل في البطل أن يكون موجودا وقت الشدة.

كذلك يُكبر برهان الدين العبوشي حالة إقدام أبناء البلاد على الشهادة فداءً لوطنهم، حيث
يقول في قصيدة "إلى الجهاد":

الكامل

فرميت نفسك في اللهب لتفت دي الوطن الحبيب وما أحياه فدا³

المبحث الثالث: الصورة الفنية

تحظى الصورة الفنية بعناية خاصة في شعر برهان الدين العبوشي، ولا عجب؛ فهي
دعامة رئيسة من دعائم البناء الفني للشعر، كما أنها من أهم مميزات فن الشعر "قالشعر في
حقيقته يعتمد على الإيحاء والتصوير، وإذا تجرد منهما فقد روحه"⁴، والجاحظ أول من أطلق
تسمية التصوير على الشعر، حيث قال: "إنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من
التصوير"⁵.

¹ انظر: بناء الجملة في الشعر الفلسطيني الحديث، ص447.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص125.

³ نفسه، ص321.

⁴ إبراهيم طوقان حياته وشعره، ص150.

⁵ الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ج3، ط3، ص132.

ومصطلح الصورة الفنية لم يعد يقتصر في العصر الحديث على الناحية البلاغية، بل قد تكون الصورة الفنية عبارات حقيقية الاستعمال، خالية من التشبيه والاستعارة والمجاز، ومع ذلك تشكل صورة مفعمة بالحركة والحياة، فالشاعر يلجأ إلى الصورة الفنية ليعبر عما يختلج في نفسه من مشاعر وأحاسيس وخيال، لا يمكن أن تصل فكرتها إلى المتلقي إلا باستخدام تقنية الصورة الفنية.

وبناء على ذلك فإن الصورة الشعرية ليست مجموعة من التشبيهات، أو طائفة من الأنواع البلاغية فقط، وإنما هي تركيب لغوي تشترك في نسجه تلك الأنواع البلاغية، وقد تخلو منه¹، وتتفاوت جمالية الصورة الفنية من شاعر إلى آخر، حسب قدراته وموهبته الشعرية، إضافة إلى اطلاعه على الخصائص الفنية للصورة وتطبيق ذلك في أعماله.

إن المتأمل في شعر برهان الدين العبوشي يلحظ ظاهرة الالتزام في شعره حتى على صعيد الصورة الفنية، فهو شاعر رسالة أولاً وأخيراً، وقد أراد بشعره أن يوصل هذه الرسالة بشتى الطرق والوسائل، منها أسلوب الصورة الفنية، فقد استمد صورته من البيئة التي عاشها في فلسطين، ودمج فيها عناصر اللون والحركة... ما يؤكد حجم ارتباطه والتزامه بقضايا وطنه.

يضيفي العبوشي نوعاً من القدسية على تراب الوطن، ويطلب من الفلسطينيين السجود شكراً لله أن حباهم وكرمهم بفلسطين ووطناً، وأن يتواضعوا في مشيتهم على ثرى بلادهم لأنه مجبول بدماء الآباء والأجداد، يقول العبوشي في قصيدة "الوطن المبيع":

الكامل

مرغ جبينك في طهور ترابه	واسجد فإن الله في محرابه
وامش الهوينى خاشعاً متصدعاً	فلقد مشيت على رفات عرابه
واحبس لساتك أن تقول سفاهة	فالبرّ والتّهذيب من آدابه ²

¹ انظر: إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، بيروت، دار العودة، 1973م، ص143.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص50.

بل يصل الأمر بالبحر أن تتلاطم أمواجه، غضبا على أولئك الذين سلبوا فلسطين من أهلها، ثم يشرك العبوشي التاريخ في الصورة الفنية، حيث يبكي البحر ماضيه مع العرب والمسلمين، حين كانت الأساطيل تصول وتجول في أرجائه، يقول العبوشي في قصيدة "الوطن المبيع":

الطويل

انظرْ إلى البحر الخَضَمَ تلاطمت أمواجه غضبا على سُلابه
يبكي الأساطيل التي كانت لنا أيعود أسطول لنا بعبابه¹
وتشترك (الكرمل) مع البحر في البكاء، حزنا على الأرض المسلوقة:

الطويل

و(الكرمل) المحزون بعد هنائه يلقي الأذى والذل من أغرابه²
يستخدم برهان الدين العبوشي في صوره الفنية تقنية تبادل المدركات، كالتشخيص، فالبحر غضبان آسف على ما حلّ بالوطن من مأس، لا بل هو يبكي زوال التاريخ، التاريخ المشرف، وجبل الكرمل حزين لأنه يعاني الأذى والذل من الغرباء.

ومن تبادل المدركات كذلك قول العبوشي في قصيدة "الوطن المبيع":

الطويل

واخفض جناح الذل للوطن الذي رواك من أكوابه ورضابه³
لقد ألف العبوشي في هذا البيت بين متناقضين، أحدهما معنوي وهو "الذل"، والآخر مادي، بصري لمسي وهو "جناح"، راسما صورة طبيعية متحركة، تكشف عمق الحالة الوجدانية للشاعر، وأثرها عليه من خلال تشخيص الذل، وتحويله إلى طائر بجناحين مخفوضين، يشيان عن قيمة الوطن بالنسبة للشاعر، ومدى انتمائه له، ومدى أثر الوطن في حياته، بل تضام المشبه

¹ نفسه، ص51.

² نفسه، ص51.

³ نفسه، ص50.

والمشبه به برباط دلالي أعاد لهما التقارب والتالف، فأضاف أحد أعضاء لوازم الكائن الحي "الطائر" إلى الذل المعنوي فأضحى للذل جناح يخفضه أهل البلاد لبلادهم دلالة على استسلامهم لحبها¹. ومن ذلك أيضا في شعر العبوشي ما ورد في قصيدة "رسول الله البطل الخالد":

الطويل

ألا فانهضوا يا عرب إن بلادكم تئن وتشكو فانهضوا للتجدد²

فقد خلع على البلاد الأنين والشكوى لما حل بها من ظلم ومهانة.

ومن تبادل المدركات أسلوب التجسيم، حيث يبذل المعلم ما بوسعه، يحترق من أجل أن ينير السبيل أمام الآخرين، يقول العبوشي في قصيدة "الإعدادية المركزية":

الوافر

تراه يذيب مهجته حنانا وينثر قلبه المضنى بخورا³

فالمهجة تذوب لما يبذل المعلم من جهد مضن في سبيل إيصال رسالة العلم. والحب لديه فيه قدرات جبارة على الوصول لغايته المنشودة، حيث يجسم الشاعر الحب، فيجعل له قدرات على التغلغل إلى حيث يشاء، هذا ما ورد في قصيدة العبوشي "رسول الله البطل الخالد":

الطويل

تغلغل في قلبي الندي حب (أحمد) فحرت بأيّ اللفظ أمدح سيدي⁴

وكثيرا ما يعتمد العبوشي في عرضه للصورة الفنية إلى أسلوب التشبيه، وهو أسهل أساليب الصورة الفنية للتعبير عن مكنونات الشاعر النفسية، لكنه في الوقت نفسه يعد من أهم أساليب الصورة الفنية، إذ يعمل على تماسك الصورة، ويزيد من قوتها، ويعمق في إحائها، مما ينشط ذهن المتلقي، ويجعله في بحث دائم عن وجه الشبه الخفي بين المشبه والمشبه به⁵، فقد

¹ انظر: التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص 129-130.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 323.

³ نفسه، ص 317.

⁴ نفسه، ص 322.

⁵ انظر: التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص 122.

وظّف أسلوب التشبيه لينتقد عدم إكمال بناء مسجد الفاروق في "حي تموز" ببغداد، يقول العبوشي في قصيدة "مسجد الفاروق":

السريع

الجامع المحزون في حيننا في (حيّ تموز) حليف الألم
كالهيكل العظمي في حزنه كأنه بيت هوى أو صنم
قد بعثرت أشلائه حوله كالبيت في القدس غداة انهدم¹

حيث يشبه العبوشي مسجد الفاروق بالهيكل العظمي، كما يشبهه بالصنم، والتشبيه هنا بسيط سهل خال من التعقيد، وتتألف الصور المفردة لتشكل صورة مركبة لحالة المسجد، كما استخدم أداة التشبيه "مثلما" في قصيدة "أيها المرج" ليدل على تجدد الحب واستمراريته:

الرمل

برح الحب بقلبي وجرى في عروقي مثلما تجري الحياة²
ولم يهمل العبوشي الغرب في تشبيهاته، فقد شبّه الغرب بالسرطان الذي ينتشر في جسد الأمة العربية، وقد استطاع العراق بقرار تأميم النفط عام 1972م - طرد هذا السرطان من بلاد العرب، يقول العبوشي في قصيدة "يا نسور العراق":

الخفيف

قد بترتم به أذى سرطان حمل الشر للورى وإلّكم³
أما القنابل والمدافع فلها لغة خاصة بها، لا تكذب، بل هي أصدق من لغة الكتب، يقول العبوشي في قصيدة "الفداء":

الكامل

ذلّ البيان وساء فيه المنطق لغة القنابل والمدافع أصدق⁴

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 309.

² التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص 47.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 268.

⁴ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 255.

ومن تقنيات الصورة الفنية البناء الدرامي، حيث يستخدمه برهان الدين العبوشي في قصيدة "بين المواهب والشهادة"، إذ استخدم الشاعر أسلوب الحوار لإكمال بناء الصورة من الناحية الفنية:

مجزوء الكامل

قامت على قدم مشادة	بين المواهب والشهادة
في الحياة بلا هوادة	كلتاها تبغي السيادة
أخت المجد أنا العميدة	الشهادة: من يبارز إنني
ولم تنل مثلي بليدة	قد لجّ في طلبني الشباب
أنت في الدنيا مجيدة	المواهب: إن تفخري فالفخر حقك
أصل وأنت هنا جديدة ¹	لكن نسيت بلأني

لقد استخدم برهان الدين العبوشي تقنية بناء الصورة الكلية بناء دراميا عن طريق الحوار في كثير من قصائده، بحيث تقترب القصيدة من المشاهد المسرحية، ومن هذه القصائد "تتويج الملك فيصل رسميا"، حيث ترى مجموعة من الفتيات شيئا مقبلا من بعيد:

المتدارك

البنت: من ذاك ؟ أرى شبعا يدنو	
(البنات يهرعن صوبها ليرين الشبح)	
البنت:	يبدو كالكوكب في الحلك
الشيخ: أنا صقر قريش يا بنتاه	
البنت بدهشة:	وفيم هبطت من الفلك
الشيخ: لأشهد تاج العز يش	ع هناك على فرق الملك
البنت الثانية: قل ما تحمل في يمينك؟	
الشيخ:	كتاب البشري للعرب
البنت الثالثة: ممن؟	

¹ نفسه، ص 95-96.

الشيخ: من سيدنا الهادي لحفيد محمد ذي الحسب
خلفت الجنة في عرس والعرش تهلل عن كذب¹

يقدم العبوشي في هذا الحوار صورة كلية تتفاعل من خلالها الفتيات بالمستقبل من خلال استلام الملك فيصل رسميا العرش في العراق، والشاعر من خلال سلاح الكلمة الحوارية في القصيدة يلفت نظر المتلقين إلى الأحداث من خلال الحوار بين الفتيات والشيخ.

كما استخدم العبوشي بناء الصورة الفنية من خلال البناء التوقيعي؛ أي أن القصيدة تمثل عند العبوشي فكرة واحدة قصيرة واضحة، واستخدام لفظة التوقيع هنا للدلالة على قصر القصيدة وحملها كرة أو انطبعا محددًا، ومن الصور الفنية التوقيعية عند العبوشي "بطاقة عيد":

الكامل

لا عيد للمفجوع في استقلاله فإذا استقل فكل يوم عيد²

فالصورة مكونة من بيت شعري واحد، إلا أنها تحمل دلالات كثيرة وكبيرة، فالاحتلال يشكل مأساة حقيقية للإنسان الفلسطيني بكل المقاييس، فإذا زال الاحتلال فكل يوم يعد عيدًا، إذ لا معنى للعيد تحت الاحتلال، ووصف الاستعمار بالفاجعة تحل على الوطن. ومن توقيعاته الاجتماعية قوله:

البسيط

بيت المعلم واه لا أساس له على الطباشير يرسو لا التباشير³

فالصورة هنا مكونة من بيت شعري واحد، المعلم الذي يحترق ليضيء الدرب للأمة، لا يقف اجتماعيا على أرض صلبة، وضعه المادي مأساوي للغاية، وانتزع العبوشي الصورة من واقع التعليم، فاستخدم لفظة "الطباشير" وهي كالهباء المنثور، لكن العبوشي أضاف لهذا البيت أبياتا أخرى فأصبحت قصيدة وعنوانها ب"بيت المعلم"⁴.

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 92-93.

² نفسه، ص 74.

³ نفسه، ص 74.

⁴ انظر: فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 253.

تعد الصور التقريرية أكثر أنواع الصور استخداماً في أعمال العبوشي الأدبية، لكن ذلك لا يعني عدم ميله إلى الكناية، فمن أنواع الكناية التي استخدمها العبوشي في أعماله الأدبية الكناية الإشارية "وهي نوع من الصور الكنائية يتميز بقلّة وسائطه، وبعده عن الغموض" ¹، ومن ذلك قول برهان الدين العبوشي في قصيدة "بيسان قبل ضياعها":

الكامل

فيك البهاليل الميامين الألى قد دوخوا الدنيا بحدّ سنان ²

فجملّة "قد دوخوا الدنيا" فيها إشارة إلى ما كان فيه العرب من عزّة وقوّة وعظمة، يقارعون الأعداء ويلقّنونهم أقسى الدروس، وهذا ما رفع من شأن أمة العرب والإسلام فوق كل الأمم، ومن ذلك قول العبوشي في قصيدة "المصريّات":

الطويل

إلى بلد فاظت أيّاديه بالندى على أمة شادت فسادت على الدهر ³

فجملّة "فاظت أيّاديه بالندى" فيها إشارة إلى الصفات العظيمة التي تميّزت بها مصر من كرم وعطاء، ومساندة لكل البلاد العربية بالإمكانات المتاحة.

¹ التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص 139.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 55.

³ نفسه، ص 110.

المبحث الرابع: الموسيقى

"لا يختلف نقاد الأدب ودارسوه على أن الموسيقى في الشعر من أهم عناصره، ولعل الوزن والقافية هما أكثر عناصر الموسيقى أهمية في الشعر، وإذا كانت عناصر الموسيقى تتعدد لتشمل الجنس في الشعر، إلا أنه يظل للوزن والقافية مكانة خاصة"¹، و"إذا كان للفظ المفردة نغمة موسيقية محدودة، فإنها أوضح في البناء المتكامل للعبارة... للبيت... للقصيدة كمعزوفة واحدة تتألف فيها الألفاظ تآلفا موسيقيا"²، فالموسيقى عبارة عن "مجموعة أصوات متناغمة، تتفاعل في نسق منتظم، لتنتقل الانفعالات الداخلية للمبدع، وتعمل على استثارة الإحساس لدى المتلقي من خلال مخاطبة روحه وعقله، ونقله إلى أجواء النص"³.

تلعب الموسيقى دورا رئيسا في البناء العام للقصيدة، فدورها لا يقل عن دور الصورة الفنية، والموسيقى وسيلة إضافية من وسائل اللغة يستطيع الشاعر من خلالها أن يعبر عما عجز عن التعبير عنه بالكلمات، ويختلف الشعراء فيما بينهم في القدرة على توفير الأجواء الموسيقية في قصائدهم حسب مقدرتهم الشعرية، وحالاتهم النفسية، والأوضاع التي يعيشونها.

تقسم موسيقى القصيدة إلى قسمين هما: الموسيقى الخارجية التي يحكمها العروض وحده، وتعنى بالوزن والقافية، والموسيقى الداخلية، وتحكمها قيم صوتية باطنية أرحب من الوزن والنظم المجردين، وأكثر ما تتمثل بالإيقاع الداخلي للكلمات⁴، كما تعنى الموسيقى الداخلية بالتناغم بين الحروف.

المطلب الأول: الموسيقى الخارجية

يهتم برهان الدين العبوشي بالموسيقى الخارجية اهتماما كبيرا، فهو من أتباع المدرسة الكلاسيكية التي تولي اهتماما كبيرا للقصيدة في الشكل والمحتوى، فجاء إنتاجه خطابيا تقريريا

¹ أبو أصعب، صالح، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة بين عامي 1948-1975م، ط1، دار البركة للنشر والتوزيع، عمان، 2009م، ص217.

² كمال ناصر الشاعر والأديب والسياسي، ص505.

³ عبد اللطيف عقل شاعرا، ص183.

⁴ انظر: ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط10، دار المعارف، القاهرة، ص78.

يعنى برتابة النغم، وعمودية القصيدة، ووحدة البيت، ويعنى بالصياغة اللفظية عناية فائقة، ويهدف إلى إثارة الإعجاب والطرب، كل ذلك تأثرا بديباجة الشعر العباسي أولا، وبغنائية أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ثانيا.¹

إن الموسيقى عند العبوشي تكرر لما يختلج في نفسه من انفعالات، لذلك نلاحظ تغير الأوزان والقوافي في قصائده لتلبية مستوى الانفعالات التي يمر بها الشاعر، ما يجعل قصائده مرآة تبرز طبيعته النفسية التي يمر بها.

فعندما ينظم قصيدة يصف فيها ربوع البلاد فإنه يستخدم قافية سهلة سلسلة تبعث على الراحة والطمأنينة، تشوبها لمسة حزن على تلك الربوع التي أضحت ملكا لأعداء البلاد، ما دفعه لاستخدام التصريع في مطلع القصيدة ليثير الانتباه:

الوافر

لأنك أنت أفراحي وأنسي	تناهى في الحنان إليك نفسي
يثير النار في قلبي وحسي	أحبك من صميم القلب حبا
وبلسم مهجتي ومداد طرسي ²	فإنك مقلتي وشعاع فكري

وما زاد القافية جمالا العطف الذي قبلها، فقد عطف أفراحي على أنسي، وعطف قلبي على حسي، وعطف مهجتي على طرسي، فصوت الياء مع قافية السين المبنية على الكسر يبعث على الانسجام والتآلف.

لقد شكلت الموسيقى في شعر برهان الدين العبوشي ظاهرة واضحة تكاد تكون خاصة، حيث عبّر بوساطة الموسيقى الشعرية عما يجول في خاطره، لذلك نلاحظ الموسيقى الهادئة عندما يصف ربوع بلاده وينابيحها وزهرها ومروجها، ونلاحظ الموسيقى الصاخبة عندما يتطرق للمواضيع الوطنية والقومية، حيث الدفقة الشعورية التي تترجمها القافية حمما شعرية يصبها

¹ انظر: الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص 156-157.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 133.

على رؤوس الأعداء، حيث يصرخ برهان الدين العبوشي منبها العرب من لجان التحقيق الأجنبية، ومحدرا من شرّها:

الطويل

بني أمتي هبوا من النوم واعملوا فإن دواعي الشرف في الأرض تسرع
وما لجنة التحقيق إلا خديعة وضرب من الكفر السياسي يخدع
متى كان نور الشمس يحتاج لجنة تؤكد الشمس في الأفق تطلع¹

فاستعمال الشاعر لقافية العين يضيف على القصيدة موسيقا صاخبة، سيما وأنه يحذر من خطر لجان التحقيق، وما يدعم صخب الموسيقى في القافية أن الشاعر يكثر من استعمال أفعال الأمر "هبوا- اعملوا"، ثم يكتف من استخدام الأصوات الصاخبة في السمع في الأبيات، مثل: العين، والضاد، والقاف.

إن جلّ قصائد برهان الدين العبوشي جاءت لتعبر عن خلجات قلبه، وما يعتصره من آمال وآلام، فقد توفر في شعره تناسق المقاطع الصوتية، فموسيقاه تسير بهدوء وانسياب أحيانا، وبصخب عال غالبا حسب الموضوع الذي يطرقه.

يعد برهان الدين العبوشي من أتباع الاتجاه الاتباعي- الكلاسيكي- التقليدي في أوزانه وقوافيه، فقد ظهر هذا الاتجاه في الشعر الفلسطيني في مطلع القرن العشرين، وقد سار العبوشي على هذا النمط في أوزانه وقوافيه، وممن تأثر بهذا الاتجاه كذلك إبراهيم طوقان، وعبد الرحيم محمود، ومحمد العدناني...² ومن قصائد برهان الدين العبوشي التي تبرز فيها سمات الاتجاه الإتباعي قصيدة "الشاعر الصريع" وهي في رثاء الشاعر إبراهيم طوقان:

الطويل

خبا نور إبراهيم جسما ولم يزل بذكره حيا لا يغيب عن الصبح

¹ فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص166.

² انظر: الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، 162.

الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص156.

ترتل من أشعاره الغيد إن سجي دجى الليل أو حن الحبيب إلى الحب
ومن مثل إبراهيم في البأس والندى ومن مثل إبراهيم في الروح واللب¹

ففي هذه القصيدة من سمات الاتجاه الاتباعي ما يغني، منها وحدة الوزن والقافية والموضوع والخيال، والتأثر بالشعراء الأقدمين في الرثاء.

نظم برهان الدين العبوشي أغلب شعره على النهج التقليدي القديم من حيث الوزن والقافية والروي ووحدة البحر، وقد صبّت أساليبه الشعرية في خمسة قوالب هي:

- وحدة الوزن والقافية: لقد التزم برهان الدين العبوشي في معظم شعره بوحدة الوزن والقافية، جريا على نظام القصيدة العربية القديمة، فجّل شعر العبوشي سار على النهج الاتباعي بالتزام روي واحد على امتداد القصيدة كلها، ومن ذلك قصيدة: "تور مكة"²، وهي تقع في ستة وأربعين بيتا، على قافية الميم:

الوافر

رسول حوله صحب كرام وأبطال على الموت الزؤام
وأنصار إذا غضبوا تولت جيوش المشركين إلى انهزام
فلي عند (البقيع) شهود حق فجددهم وكن مسك الختام³

حيث جاءت هذه القصيدة بروي واحد وهو حرف (الميم)، وقد جمعت في ردها حرف (الالف) مع حرف الميم رويا، حيث يتحقق الإيقاع الموسيقي بالتزام الشاعر بوحدة القافية.

- القافية المنوعة: حيث قسم العبوشي بعض القصائد إلى مقطوعات تتناول كل مقطوعة فكرة، وجعل لكل مقطوعة قافية، مع التزامه بوحدة الوزن الشعري، وفي هذا القالب صبت طائفة من قصائد العبوشي، وهي أقل من قصائد القالب الأول، ومنها قصيدة، "فيم افتخارك"⁴:

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص121.

² نفسه، ص294-296.

³ نفسه، ص296.

⁴ نفسه، ص75-80.

مجزوء الكامل

فـمـيـم افتـخـارك بـالنـبـي وأنت منه على نقيض
تلـهـو وتـلـعب كـالصـبـي وأنت في وطن مريض

فـمـيـم انتـسـابك للـحـبـيب ولم تقم للعلم دارا
وزـهـوت بـالثـوب القـشـيب وما منحت فتى دثارا¹

- الموشحات: يعد إبراهيم طوقان من رواد الموشح في الشعر الفلسطيني المعاصر²، وتبعه في هذا الأسلوب برهان الدين العبوشي، ومن الموشحات التي أبدع فيها العبوشي قصيدة "أيها المرج:"

المديد

أيها الباكي على أطلاله اسكب الدمع فذا الدمع نفيس
كل من عقى حمى أشباله عاش في دنياه مذموما خسيس

يا قناة المجد هاتي
بالحنا كأس الممات
قد يئسنا من حياة
كل ما فيها مريب³

- المربعات والخمسات: وقد تمثلت في الأناشيد التي تناسقت مع موضوعات الشعراء وأفكارهم، وتتوالت من حيث الهدوء والصخب بحسب الموضوع، فكانت حلوة الرنين، عذبة النغم، شجية التأثير، ومن المربعات قوله في قصيدة "لاجئ وا أختاه":

الرميل

هاتف البیداء يشدو جزعا صوته أبكى صخور الجبل
شفه ما شفى قلبي فدعا يا إلهي قد تداعى ألمي

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 75-76.

² انظر: عباس، إحسان، نظرة في شعر إبراهيم طوقان، ص 211.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 48.

سار في العيش كئيبا في الدجى يائسا من ربعه المحتضر
ظن في الموت سعودا ورجا خلاصا من شقا منتظر¹
ومن الخمسات قول العبوشي في قصيدة: "أنا قومي":

الرمل

أنا قومي وقومي أنا
أنا قومي وقومي أنا لا شعوبي ولا أرضى الخنا
لا أبالي كم ألقى من ضنا في سبيل الله فالحق المنى
أنا قومي وقومي أنا²

لقد غلبت الأبحر ذات التفعيلات الطويلة على باقي البحور الشعرية عند العبوشي؛ وسرّ ذلك أن هذه الأبحر تصلح للإلقاء والإنشاد في المجامع والندوات، والمهرجانات والاحتفالات، لما فيها من الدلالة على الاستثارة والبطولة، وطول النفس الشعري، وكذلك "لأن هذه البحور تتناسب الحماسة والفخر وإشعال الصدور وإلهاب النفوس"³، أما عندما ينظم الشعر الديني فإن البحور الرقيقة تكون سيدة شعره، ما يدل على عاطفة دينية جياشة مدفونة في صدره، يخرجها من خلال شعره.

يعد برهان الدين العبوشي شاعرا غنائيا بامتياز، فنراه ينظم الشعر الغنائي في مواضيع وطنية، وقومية، ودينية... ومن قصائده التي تبرز فيها النزعة الغنائية "نشيد الزحف" الذي كلفته بنظمه لجنة التوجيه الوطني في أربعينيات القرن المنصرم:

مجزوء الخفيف

طلع الصبح فاستفق ودعا المجد فاستبق
جدد العهد وامتشق صارم العز وانطلق

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص206.

² نفسه، ص319-320.

³ الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من 1917-1955م، ص345.

قَد دَنَا نَصَرْنَا فَقَم	لَلْقَتَا _____
قَدَسْنَا كَعْبَةَ الْأَمَم	لَا تَنْتَ _____
نَفَتَا _____	كَالْخَضَم
كَانَنَا فَنَدَى	نَعَشَقَ الْوَرْدَى
إِنْ بَغَى الْعَدَى	نَحْنُ لِلْوَطَنِ ¹

ففي هذه القصيدة لم يلتزم العبوشي قافية واحدة، بل خرج على أصول القافية التقليدية، وجدد في طريقة عرض النشيد، ما أكسبه رنة موسيقية لاثقة مقبولة مثيرة للمتلقي.

والعبوشي في شعره الخطابي أكثر اهتماما بالموسيقا الشعرية، فهي السر الذي يجذب المستمعين إلى قصائده، سيما أن معظم قصائده تعد أشعار مناسبات، أي أنه يلقيها شفاها على مسمع من الجمهور ومرأى، كما في قصيدة "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين":

البسيط

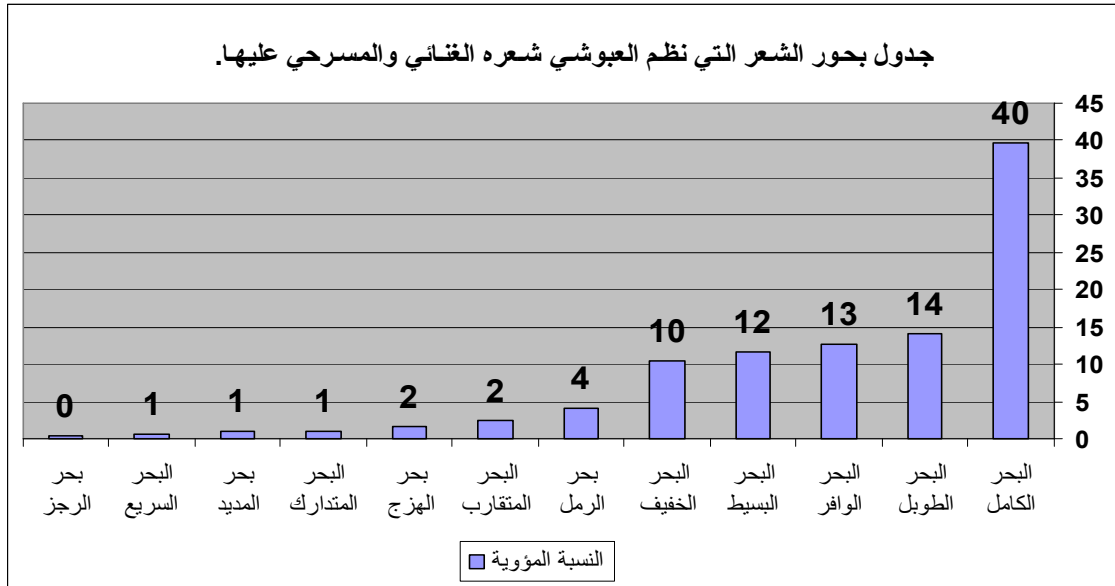
أَبْعَدَمَا جَرْتُمْ وَاشْتَطَ حَاكِمُكُمْ	جِئْتُمْ تَرِيدُونَنَا أَهْلًا وَخَلَاتَنَا
أَبْعَدَمَا بَعْتُمْ صَهْبِيُونَ حَرَمَتَنَا	وَعَرَضْنَا تَبْتَغُونَ الْعَرَبَ إِخْوَانَا
لَا كَانَتِ الْعَرَبُ إِنْ مَدَّتْ لَكُمْ يَدَهَا	بَغِيرِ سَيْفٍ تَجَلَّتْ فِيهِ أَخْرَانَا ²

في هذه القصيدة لعبت القافية دورا أساسيا، وقد استمدت القافية رونقها من اجتماع ألفي الإطلاق والردف معا، علما أن ألف الإطلاق وحدها كفيلا بإحداث الموسيقى المميزة في القصيدة، إضافة إلى انقسام كل بيت إلى شطرين متساويين ما حقق فواصل موسيقية متساوية، وقد التزم العبوشي في هذه القصيدة بقافية واحدة ما زاد من طول النفس في مقاومة طلب الإنجليز من العرب أن يمدوا لهم يد العون ضد هتلر.

وفيما يلي جدول بأهم بحور الشعر التي نظم العبوشي شعره الغنائي والمسرحي عليها:

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 122-123.

² نفسه، ص 119.



والسبب في ذلك عائد إلى أن الشعر الوطني الفلسطيني شعر خطابي منبري بالدرجة الأولى، يتطلب إلهاب حماس الجماهير، وشحن همهم، وقد تطلب هذا موسيقا ذات رنين صاخب، ونبرة عالية، فكان الكامل من لَبَّى هذه الرغبة¹، ذلك أنه " أكثر بحور الشعر جلجلة وحركات، وفيه لون من الموسيقى يجعله فخما جليلا مع عنصر ترنمي ظاهر"².

هذا إضافة إلى أن العبوشي استعمل الحروف الرطبة في روي قصائده، كقافية الباء والذال والراء واللام والنون والميم، على غرار فحول الشعراء، واستبعد الحروف الثقيلة كقافية الشين والضاد والذال.

المطلب الثاني: الموسيقى الداخلية

"وهي ترجيع منظم في حروف الكلمات داخل البيت الشعري الواحد، أو الأبيات، ولا يهمنا أن تكون مواضع الترجيع متقاربة أو متباعدة، وإنما يهمنا أن تكون متناغمة وخاضعة لتنسيق منظم"³ ولا تتحقق الموسيقى الداخلية من اللفظ بعينه، بل تتحقق من خلال السياق الذي تقع فيه، وما يميز الموسيقى الداخلية حسن التقسيم، يقول العبوشي في قصيدة " الحية":

¹ انظر: برهان الدين العبوشي، ص13.

² الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ص2، دار الفكر، بيروت، 1970، ص246.

³ الراعي، عبد القادر، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، 1999م، ص235.

الكامل

لم أعطها درب السلامة فانتثت فرميتها حبرا من الصوان
فتحفزت فرميتها فتواثبت لتعضني فلقيتها بجناني
وركلتها فتشبتت فدفعتها فتخاذلت وقتلتها ببناني¹

لقد تضافرت في هذه الأبيات عناصر موسيقية متعددة ما أكسب النص رونقا مميزا؛
منها حسن تقسيم العبارات "فتحفزت فرميتها"، و"فتواثبت فلقيتها"، و"فركلتها فتشبتت"، و"دفعتها
فتخاذلت"، وكذلك عنصر الحركة الدرامية المتوالية والسريعة.

ومن أهم الأساليب التي اعتمد برهان الدين العبوشي عليها لإضفاء لمسة موسيقية مميزة
أسلوب التكرار، ومن ذلك تكرار صوت النون، وهو صوت مريح للنفس، يبعث على الراحة
والهدوء والاسترخاء، ومن أمثلة ذلك قصيدة "البلبل":

الرمل

أنت يا بلبل مثلي في النوى غير أني شاعر والشعر يجني
أنت تشجينا وتحيي روحنا لست ترجو في الغنى أجر المغني
أنت تحيي الناس والناس أذى يظلمون الطير في جبل وسجن
أنت خير ألف خير من أخ وابن عم مستبد مرجح²

إن تكرار صوت النون هنا قد أكسب الإيقاع الفني للقصيدة تميزا وتأثيرا في المتلقي،
فصوت النون ينسجم بقدر كبير مع صوت البلبل، إضافة إلى أنه يعبر بشكل واضح عن نفسية
الشاعر.

وما عزز من الموسيقى الداخلية تكرار الألفاظ، حيث يجذب اللفظ المكرر انتباه المتلقي
وكأنه لازمة القصيدة، "فتكرار لفظ معين يساهم في تعميق الإيقاع الداخلي، ويخلق جوا نغميا
ممتعا تنجذب إليه أذن المتلقي"³، ومن ذلك قوله في قصيدة "يا بغداد":

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص264.

² نفسه ص263.

³ منصور، عز الدين، دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر، بيروت، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 1985م، ص63-64.

مجزوء الكامل

جئنأك ننشد فيك يا بغداد أحلاما ورشدا
جئنأك والأكباد تسب قنا مدى الصحراء جردا
جئنأك والغرب المذبذب شاحذ للعرب حَدا¹

فقد كرر الشاعر الفعل "جئنأك" للدلالة على اللفظة والشوق للوصول إلى بغداد، فقد كان الشاعر قد تحرر من سجن "المزرعة" حديثاً، وهو ينتظر بلهفة وشوق الوصول إلى بغداد، فالتكرار هنا يعبر عن طبيعة الشاعر النفسية المتشوقة للوصول ببغداد.

ومن التكرار الموسيقي في شعر العبوشي؛ تكرار العبارة، فهو يحقق الهدف الإيقاعي، ويؤكد المعنى المكرر، ومن ذلك قوله في مسرحية "شبح الأندلس":

المتقارب

فهذا يقول أنا مصعبي أأرضى المسير بصف شهاب
وهذا يقول غلامي رقيق ألبس للحرب صفر الثياب
وهذا يقول أخاف الوظيفة تهرب مني ويا للخراب
وهذا يغني أنا ابن جلاء وهذا يغني الهوى والشباب²

لقد كرر برهان الدين العبوشي عبارة "هذا يقول" لينقل نغما موسيقيا داخلها متواصلا، يوحى بطبيعة الحوار الذي يدور بين المتحاورين.

كما يساهم الجناس في تصعيد القيمة الموسيقية في القصيدة، كيف لا، وهو يترافق في نفس البيت مع التصريع:

المتقارب

بلادك إليك العذاب المذاب بصفحة عمري وهذا الكتاب³

لاحظ الانسجام بين "العذاب المذاب"، وكذلك التصريع بين "المذاب الكتاب".

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 60.

² نفسه، ص 478.

³ نفسه، ص 425.

المبحث الخامس: التناص

يعد مصطلح التناص من المصطلحات حديثة النشأة في الدراسات الأدبية والنقدية، ومن الجدير ذكره أن الناقد "ميخائيل باختين" هو أول من حلّ ظاهرة التناص دون ذكر المصطلح، ثم تبعته "جوليا كرسيفا" فاستعملت مصطلح التناص في كتاباتها، وعرفت التناص بأنه "لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، فكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى"¹، والتناص علم موضوعه النص "إنه حقل منهجي لا وجود له إلا داخل خطاب لغوي مكتوب"².

فالتناص ارتباط بين النص الحديث الذي يبدعه الأديب، مع نصوص أخرى سابقة، سواء أكان هذا الارتباط واضحا، أو تلميحاً، أو متضمناً، حيث يرى أحمد الزعبي أن التناص: "أن يتضمن نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه، عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتتدغم فيه، ليشكل نص جديد واحد متكامل"³.

بما أن الشعر نسيج - كما ذكر الجاحظ - فإن الشاعر عندما ينسج قصيدته فإنه يستحضر مخزونه الفكري والثقافي لغة وتعبيراً، فيوظف منها ما يجعل نصه متألّفاً، ولتنوع التناص في شعر برهان الدين العبوشي رأى الباحث أن يقسمه إلى أنواع متعددة:

- التناص الديني. - التناص التاريخي. - التناص الأدبي. - التناص الذاتي.

التناص الديني:

يعد القرآن الكريم مصدر التراث الديني، وينبوع الفكر الإسلامي، وقد كان وما زال معيناً ثرياً للفصاحة والبلاغة والبيان، ومورداً عذبا يستزيد منه الأدباء في كل زمان ومكان، ويفيدون منه لإغناء إبداعاتهم، وإضفاء الجمال الفني عليها، وتعميق تجاربهم الشعرية.⁴

¹ الغدامي، عبد الله، الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي، ط1، جدة، 1985م، ص222.

² الماضي، شكري عزيز، في نظرية الأدب، بيروت، دار المنتخب العربي، 1993م، ص194.

³ الزعبي، أحمد، التناص نظرياً وتطبيقاً، مكتبة الكتاني، ط1، اربد، 1995م، ص1.

⁴ انظر: الياسين، إبراهيم منصور، استحياء التراث في الشعر الأندلسي، ط1، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2006م، ص17.

تتداخل النصوص الدينية مع أعمال برهان الدين العبوشي ما يدل على ثقافة دينية واسعة، حيث يعد القرآن الكريم رافدا مهما من روافد أعمال العبوشي الأدبية، بل هو أهم الروافد الدينية. فنراه يقتبس صياغات جديدة من آيات القرآن الكريم، تتقل أكبر قدر ممكن من المعاناة والإحساس¹، فقد لجأ العبوشي إلى إثراء نصوصه الأدبية بمادة مستوحاة من القرآن الكريم، آياته، وقصصه، ومعانيه وعبره، وإحياءات الآيات القرآنية، إضافة إلى أسماء الرسل، وأسماء السور القرآنية ...

ويقسم التناص مع القرآن الكريم إلى قسمين: أولهما الاقتباس الكامل لآية بنصها، مع إعادة ترتيب المفردات وفقا لمتطلبات القصيدة الشعرية، وأحيانا اقتباس الآية كاملة بنصها دون تغيير وذلك في المسرحيات الشعرية والمذكرات الشخصية، وثانيهما اقتباس معاني آية معينة من الآيات الكريمة مع إبقاء دوال على الآية كإبقاء كلمة.

يقوم العبوشي في تناصه مع القرآن الكريم على تحوير الآيات لتتناسب مع المعاني المقصودة، ومن ذلك قوله في قصيدة "تعالوا":

الطويل

إذا ما قلى الأوطان قومي وودعوا فما ودّع الأوطان ربي وما قلى²

فقد استخدم العبوشي آية "مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى"³، وجعل من النص القرآني مادة مغذية لنصه ما أكسب النص الجديد جمالا وروعة. يقول العبوشي في قصيدة "الوطن المبيع":

الكامل

واخفض جناح الذل للوطن الذي رَوَّك من أكوابه ورضابه⁴

¹ انظر: جيدة، عبد الحميد، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، بيروت، مؤسسة نوفل، 1980م، ص66.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص45.

³ الضحى، آية 3.

⁴ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص50.

فقد تأثر الشاعر بقوله تعالى "وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"¹، فقد عدَّ الشاعر الوطن بمثابة الوالدين، يجب أن يتحلى المرء بالاحترام أثناء وجوده في حضرته. ويقول العبوشي في قصيدة "الملك غازي الأول":

الكامل

فغد عبوسٌ قمطيرٌ لم يدع للناشئين سوى شباة مهند²

الغد صعب شديد عبوس، فماذا سيعد له الشباب؟ يستلهم الشاعر هذا المعنى من قوله تعالى "إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا"³.

كذلك يظهر تأثر العبوشي بقوله تعالى من سورة الأنفال "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ"⁴، حيث يقول العبوشي:

الكامل

اعدُّ لهم والله يأمرنا به من قوة واسلك سبيل عظاته⁵

فالعبوشي هنا يقتبس المعنى القرآني، ويصوغه بطريقة الخاصة مع الإبقاء على دالة وهي "من قوة".

إن للقرآن الكريم دقة خاصة في انتقاء الألفاظ وتخيورها، ووضعها في سياق يبلغ من الفصاحة والبيان أعلى الدرجات، ومن هذا المنطلق لجأ العبوشي إلى استichاء ألفاظ من القرآن الكريم، فاقترضها من نصها وركبها في نص جديد لتؤدي نفس المعنى "فاللفظة القرآنية في أغلب الأحيان ناطقة بصورة بمعناها موحية"⁶، يقول العبوشي في مسرحية "الفداء":

¹ الإسراء، آية 24.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 59.

³ الإنسان، آية 10.

⁴ الأنفال، آية 60.

⁵ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 319.

⁶ قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن الكريم، بيروت، دار الشروق، 1979م، ص 92.

الوافر

أنترك أرضنا الخضراء قسرا تعذبها يد النذل الزنيم¹
فالزنيم هنا تعني الملتصق بالقوم، أو الدعي الذي ليس منهم²، وهذا المعنى هو ما أراده
العبوشي بحذافيره، فاليهود لقطاع ليس لهم أصل في هذه البلاد، وهذا المعنى اقتبسّه العبوشي من
قوله تعالى "عُلِّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ"³.

ومن تناصه الديني تضمين شعري على وزن واحد وقافية واحدة لأسماء سور القرآن
الكريم كاملاً، فقد طرب العبوشي بهذا التضمين سيما أنه يتصل بنور السور القرآنية مجتمعة:

الوافر

القارعة والتكاثـر
فقارعة الإله أشد فتكا ترى فيها التكاثـر عاد شرا
العصر والهـمة
وَصَلَ العـصر واترك كل هَمَزٍ وإلا مت مثل الفيل عصرا
الفيل
تحدى الكعبة الغرا فحامت أبابيل عليه رمته جمرا
قريش
ولم تنهض لتحميـه قريش فإن العرب ناموا تحت كسرى⁴

لقد تناص برهان الدين العبوشي مع أسماء الرسل في شعره، ليدل على وحدة الشرائع
السماوية، يقول في قصيدة "الإعدادية المركزية" مذكرا بالوظيفة التي يقوم بها الرسل:

الوافر

وهل غير الكتاب جلا الليالي وقبل الحرف كان العقل بورا

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص577.

² انظر: جبر، أيمن عبد العزيز، روائع البيان لمعاني القرآن، دار الأرقم، عمان، ط1، ص564.

³ القلم، آية 13.

⁴ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص285.

بِه مَوْسَى فَعِيسَى ثَم طه أَمَاتُوا الْكُفْرَ وَاقْتَلَعُوا الْفُجُورًا¹

وفي قصيدة "الله جل جلاله" أبدع برهان العبوشي في تناصه الديني، فقد أعاد تشكيل عدة آيات قرآنية من سور مختلفة في نص واحد، فالنص يبلغ الذروة عندما يتناص فيه الشكل مع المضمون، فالإخراج الفني هو الذي يرفع من قيمة الموضوع²، حيث يقول العبوشي:

مجزوء الكامل

الله مولانا أحـد	رفع السماء بلا عـد
متنزه سـبحانه	عن كل أم أو ولد
صمد تكفل خلقه	بالرزق أعظم بالصمد
مرج البحار وصاننا	في الأرض من جزر ومد
والنهر فجره وأرسى	الراسيات لها وتد
والفلك تجري مـثقلات	طافيات في الزبد
والريح أرسلها لـواقح	والسحابية والبـرد
فترى به حبـب الحصيد	نما فيفرح مـن حصـد ³

لقد استوحى برهان الدين العبوشي فكرة كل بيت من هذه الأبيات من آية كريمة، وأبقى على كل آية لفظة دالة، فالبيت الأول مستوحى من قوله تعالى "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ"⁴، والثاني من قوله تعالى "لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ"⁵، والثالث من قوله تعالى "اللَّهُ أَصَمُّ"⁶، والرابع من قوله تعالى "مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ"⁷، والخامس من قوله تعالى "وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا"⁸، والسادس من قوله تعالى "وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ"⁹، والسابع من قوله تعالى:

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص316.

² انظر: رحمانى، أحمد، الرؤيا والتشكيل في الأدب المعاصر، القاهرة، مكتبة وهبة، 2004م، ص20.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص314.

⁴ الإخلاص، آية1.

⁵ الإخلاص، آية3.

⁶ الإخلاص، آية2.

⁷ الرحمن، آية19.

⁸ النازعات، آية32.

⁹ إبراهيم، آية32.

"وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ"¹، والثامن من قوله تعالى "وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جِبْتًا وَحَبَّ الْحَصِيدِ"².

وفي المسرحيات الشعرية يلجأ العبوشي على لسان بعض الشخصيات إلى اقتباس آيات قرآنية كاملة، لتكون جزءا من نصه المسرحي، ومن ذلك في مسرحية "الفداء" ما جاء على لسان سعيد يحث زملاءه على الصبر³ "وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ"⁴، ثم يؤيده ضرار ويتلو قوله تعالى "إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ"⁵، ويرد عليهما هائل أن نتيجة الصبر النصر والنجاة "فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ"⁶.

ومن التناص الديني كذلك استلهم المعاني من الأحاديث النبوية الشريفة، فقد جاء على لسان سعيد في مسرحية "الفداء" قوله متناصا مع الحديث النبوي الشريف "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف"⁷، وفي معرض الحديث بين سعيد وهائل وتماضر - من أشخاص مسرحية الفداء - تنصح تماضر الشباب أن يتدربوا ويخططوا، وأن لا يتسرعوا، ثم أن يهتموا بالسرية في العمل:

مجزوء الكامل

والسر صونوه فكاتم سره دوما سعيد⁸

فيرد عليها ضرار بقوله: "استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان"⁹.

¹ الحجر، آية 22.

² ق، آية 9.

³ انظر: فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 570.

⁴ النحل، آية 127.

⁵ آل عمران، آية 140.

⁶ الأنبياء، آية 87-88.

⁷ النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2052/4.

⁸ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 575.

⁹ الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، الرياض، جمعية إحياء التراث الإسلامي، 2000م، ص 943.

ونرى العبوشي في بعض أشعاره يستحضر بعض القصص والحوادث التي حصلت مع الرسول - صلى الله عليه وسلم- منها على سبيل المثال، حين وقف أبو طالب عم رسولنا محمد- صلى الله عليه وسلم- وأشراف قومه يفاوضونه في بداية دعوته بغرض ثنيه عن المضي قدما في الدعوة إلى الله ونشر رسالته التي أمره بها الله سبحانه وتعالى، وحاولوا إغراء الرسول - صلى الله عليه وسلم- بالمال والجاه والسلطان، فقال لهم عليه الصلاة والسلام "والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يُظهِرَ الله أو أهلك دونه"¹، انطلق العبوشي من هذه الحادثة الدينية التاريخية ليقتردي بالرسول - صلى الله عليه وسلم- معلنا رفضه بيع شبر واحد من تراب الوطن، حتى لو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في شماله، فقال في قصيدة "الوطن المبيع":

الكامل

والله لو جعلوا الكواكب في يدي لنبذتها تهوي على أعتابه²

لقد أظهرت لنا نصوص العبوشي الشعرية بعدا دينيا واضحا، واستيعابا عميقا لنصوص القرآن الكريم، وقد تمثل ذلك في استيعاب العبوشي للمفردات القرآنية وما تحمله من دلالات، وصهر تلك الدلالات في نصوصه الشعرية، ما يدل على ثقافة دينية واسعة.

التناص التاريخي

من مظاهر التواصل الحضاري لعروبة فلسطين تمسك أدبائها بتراثهم العربي والإسلامي، حيث تشكل الحضارة العربية الإسلامية واحدة من أهم الحضارات العالمية بما قدمته للبشرية من تجارب وعلوم. وتتألف ثقافة الفرد من جملة مرجعيات قولية أو فعلية، معنوية أو مادية، ترتبط بمدد زمنية متفاوتة، ومساحات مكانية متنوعة، سواء أكانت مرئية أم مسموعة أم غير ذلك، وكان لتناص الشعراء مع التاريخ جملة أسباب دفعتهم إلى الهروب بين مركزي الخط

¹ الحلبي، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1400 هـ، 462/1.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص51.

الزمني، الماضي بوصفه مرجعية حية في الأذهان، والمستقبل بوصفه واحة مظلمة لا ترى إلا برموز استرجاعية.¹

فالشاعر يلجأ إلى استحضار المواقف والشخوص والأماكن التاريخية ليكسب تجربته الشعرية أبعاداً جديدة، وليتخطى حاجر الزمن، فيعيد إلى الأذهان مكاناً أو حادثة أو موقفاً فيمزج بين الماضي والحاضر.

إن اختيار العبوشي للأماكن التاريخية والأشخاص لم يكن عشوائياً، بل اختار من الشخوص والأماكن ما يتوافق مع الفكرة التي يريد إيصالها إلى المتلقين، فوضع "بين يدي المتلقي عالمين، عالم قديم له قدسيته، ومعاصر له ضرورته".²

تعد الأندلس بالنسبة للعبوشي حقلاً ثرياً بالموضوعات والرموز، لما تستثيره في وجدان الأمتين العربية والإسلامية من دلالات كثيرة. فقد كان في الأندلس ملوك طوائف أهلكوا أنفسهم وطوائفهم باختلافهم، واحتربوا في سبيل الزعامة والتاج، فطوّح الإسبان بالعز العربي، فقد تقلص ظل الدولة الإسلامية في بني الأحمر، وها هو التاريخ يعيد نفسه "ويشبهها عندنا اليوم المثلث العربي، وما تبقى من جبال القدس والخليل وغزة".³

إنّ تناص العبوشي مع الأندلس كان لسبب رئيس وهو أخذ العبرة والعظة، لئلا تعود الكرة، ويطرّد العرب من أرضهم صاغرين، فالمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، حيث يقول العبوشي في مقدمة مسرحية "شبح الأندلس": "وإن لم يبادر عرب هذه الدويلات إلى جمع الصفوف، وتجنيد الألوف، ونبذ الشقاق، وهجر النفاق، والعبرة بما حاق بعرب الأحمر واندثارهم، فإن الصيحة ستأخذهم جميعاً".⁴

¹ انظر: البحراني، فاطمة جمعة، التناص التاريخي، مجلة (جريدة الفنون) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، كانون الثاني، يناير 2004. عن موقع: www.doroob.com.

² قاسم، عدنان حسين، التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، الكويت، مكتبة الفلاح، 1988م، ص193.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص428.

⁴ نفسه، ص428.

فهدف العبوشي واضح، وتتأصه مع الأندلس لم يكن لجمال ربوعها، بل لينبه العرب شعوبا وملوكا وحكومات، إلى "أن ما نحن فيه من خلاف ونزاع يكفي بعضه لضياع فلسطين وبلاد العرب كما ضاعت الأندلس"¹، ويمكن تصنيف عناصر حضور الأندلس في شعر برهان الدين العبوشي في حضور الأمكنة، وفي استدعاء الشخصيات التاريخية. ومن حضور الأمكنة في شعره قوله في قصيدة "الوطن المبيع" محذرا من الجلاء قبل أن يقع:

الكامل

يا ابن البلاد وأنت كل رجائها يوم الجلاء اسمع نعيق غرابه
ما مسّ أندلسا يمُسُّك مثله فابذل له تلحقه قبل ذهابه
وطن حواك بحاضنيه وقلبه أضحي يسام الخسف من أحبابه²

لقد اقتصر العبوشي في حضور الأمكنة على الأندلس بمفهومها العام، ويعني مفهوم الأندلس في الأدب الفلسطيني؛ الضياع³، والمأساة والتشريد من الوطن، يشير برهان الدين العبوشي من خلال هذه الأبيات إلى أن ما حلّ ببلاد الأندلس سيحلّ ببلاد العرب إذا لم يوحّدوا الجهود قبل فوات الأوان، ولا يستحضر اسم الأندلس فقط، بل يستحضر الدلالة الزمنية حيث يسام البلد الخسف من أحبابه، من ملوك الطوائف الذين أهلكوا بلاد الأندلس وسلموها إلى الإسبان.

ثم يعود العبوشي بمسحة من الحزن في قصيدة "كلنا مستعد" فيستحضر الغربة التي حلت بأهلنا في الأندلس، لكنه هذه المرة ينظم القصيدة على لحن أندلسي؛ ليقرب الصورة من زاوية أخرى:

غربتان غربة في البلاد أو هوان
للجبان يا ربوع الجهاد بالأمان
إنني لن أعود تحت حكم اليهود

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص430.

² نفسه، ص51.

³ انظر: الجعدي، محمد عبد الله، حضور الأندلس في الأدب الفلسطيني الحديث، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن والعشرون، العدد الرابع، إبريل-يونيو، 2000م، ص29.

ففي ثنايا اللحد قلب أم حنون¹

كما يستدعي العبوشي الشخصيات التي سكنت الأندلس، وساهمت في سقوطها وتسليمها إلى الأعداء، حيث يستدعي بني الأحمر آخر من حكم الأندلس من العرب المسلمين، يقول في مسرحية "شبح الأندلس":

الطويل

سلامٌ عليكم يا بني الأحمر الألى أبيدوا فلم يرجوا السلامة والسلم
وكان "بني الأحمر" على علّاتهم، وما صار على أيديهم من سقوط آخر مدن الأندلس وهزيمتهم واندثارهم، أفضل من "بني يعرب" المدحورين والمهزومين إلى حد النكبة الكبرى في العام 1948، إنهم - أي بني الأحمر - من وجهة نظر الشاعر، لم يوقعوا على اتفاقية هدنة مع العدو، ولم يبحثوا عن السلامة، بعكس بعض العرب الذين فعلوا هذا كله مع "إسرائيل" والدول الاستعمارية ويؤكد الشاعر هذه الرؤية أكثر من مرة، وعلى لسان أكثر من شخص من شخوص مسرحيته³:

الطويل

بلادي سئمت العيش في القيد ليتني يفك أساري أو أغيب في قبري
لقد برمت نفسي من الناس كلهم وقد سئمت روعي الحياة على وزر⁴

إن علاقة الشاعر بالتاريخ تختلف عن علاقة المؤرخ به، فالشاعر لا يتعامل معه من منطلق كونه حقائق مجردة، وإنما يضيف عليه من ذاته وواقعه، وطبيعة الحالة النفسية التي دفعته إلى الاستعانة بجزء منه، والشاعر من خلال استيحائه أو استلهامه لموروثه التاريخي إنما يهدف إلى إثارة معان وصور في ذهن المتلقي يقرب بها المعاني التي يريدها.⁵

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 63.

² نفسه، ص 499.

³ مقاربة إشكالية بين فلسطين والأندلس، للأستاذ علي الخليلي المنشورة في موقع "دار الخليج" بتاريخ 26 / 9 / 2004/ www.alkhaleej.ae

⁴ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 435.

⁵ انظر: استحياء التراث في الشعر الأندلسي، ص 170.

لقد تمكن برهان الدين العبوشي من تطويع ثقافته التاريخية في خدمة شعره، وحرص على الاستشهاد بالماضي لتجاوز محن الحاضر وآلامه، فجذبته الحنين إلى الماضي العريق كلما ضاقت به الأمور، فتارة يذكر أسماء قادة المسلمين ليعزي النفوس ويواسيها، وتارة يذكر أسماء المعارك التي دحر فيها المسلمون -على قلة عددهم- أعداءهم، والأمثلة على ذلك كثيرة في شعر العبوشي، منها قوله في قصيدة "بني أمتي هبوا" حيث يستجد بأرواح الأبطال أمثال صلاح الدين الأيوبي الذي أذاق الصليبيين في حطين سوء العذاب:

الطويل

أرى النار في حطين قد كاد جمرها	يهيج ويذكيها كميّ مقتّع
فلا تقتطي يا قدس فالعز مقبل	وإنّ صلاح الدين في الشام يقبع
سيمشي إلى الشام الجنوبي فاتحا	يمزق أحلام الفرنج ويفجع
دعوت رفات الفاتحين لأنني	رأيت رجال العرب ماتوا وودّعوا ¹

يستجد العبوشي برفات الفاتحين؛ لأن العرب ماتت فيهم العزة والنخوة فتخلوا عن تحرير بيت المقدس من دنس اليهود الغاصبين.

ونرى العبوشي يستوحي التاريخ ممثلاً بغزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام، من معركة بدر الكبرى إلى القادسية، ليؤكد أن انتصارات العرب الحديثة ما هي إلا امتداد للانتصارات التاريخية، وهو بذلك يعلي من شأن شباب الأمة العربية الذين شاركوا في المعارك ضد اليهود، يقول العبوشي في قصيدة "يا عرب":

مجزوء الكامل

ومن البطولة شعبنا العر	بي سل عنه القدر
أيام نسبح بالدماء	نخالها بحرا هدر
أيام دق الفرس	والرومان عاهلنا عمر

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 167.

في القادسية في شريش شبابنا العرب انتصر
حطين سألها عن صلاح الدين تنبئك الخبر
إنّا إذا مال الزمّا ن بنا سنرجع ما غبر¹

يستذكر العبوشي المعارك التاريخية ليرفع عزيمة الشباب المجاهد، ويعلي همهم،
فمعركة بدر كان عدد المسلمين فيها قليلا وانتصروا وانتصارا مدويًا لأنهم يحملون الإيمان
والعزيمة في قلوبهم، يقول العبوشي في قصيدة "في المعتقل":

مجزوء الكامل

بدر وما نصر الحقي قة يوم بدر بالبعيد
خمسون منا قد تفو ز على ذوي العدد العديد²

التناص الأدبي

تكشف أعمال برهان الدين العبوشي الأدبية عن علاقة حيّة بالموروث الأدبي ممثلاً
بشعر العرب منذ الجاهلية وحتى العصر الحديث، حيث ينطلق العبوشي في استلهامه للنصوص
الأدبية التراثية من منطلق الإيمان العميق بالحضارة العربية والإسلامية، وولع شديد بتراث
الآباء والأجداد، وإطلاع واسع على الجذور العربية الأصيلة، حيث يعد التناص مع الشعر مورداً
هاماً من موارد العبوشي الأدبية، كما يمثل ظهور الصوت الشعري القديم في أعمال العبوشي
الأدبية لمحة أصالة وعراقة، ويكسب عمله طاقة تتحدى فارق الزمان والمكان، وهو في تناصه
الأدبي يذكر الأصوات الشعرية التي تتفق مع الأفكار التي يريد توصيلها لجمهور المتلقين، وقد
يكون التناص الأدبي مباشراً أو غير مباشر في أعمال العبوشي الأدبية.

فمن التناص الأدبي المباشر ذكر العبوشي لأبيات شعرية من تأليف شعراء آخرين في
أثناء قصائده ومسرحياته، حيث توافق الفكرة العامة من الأبيات المقتبسة السياق الذي يرسمه

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص156.

² نفسه، ص139.

الشاعر، وتكسبه نوعاً من الأصالة، حيث يقول العبوشي في مسرحية "شبح الأندلس" على لسان "سليم" متناصاً مع أبيات شعرية لمحمود شيت خطاب¹:

الكامل

دعني أخي لا تخرجوا الإنساننا	إننا بذلنا للعلا أثماننا
(هذي قبور الخالدين فقد قضوا	شهداء حتى ينقذوا الأوطاننا
قد جالدوا الأعداء حتى استشهدوا	ماتوا بساحات الوغى شجعاننا
المخلصون تسربلوا بقبورهم	والخائنون تسنموا البنياننا
(إنّ الخلود لمن يموت مجاهداً	ليس الخلود لمن يعيش جباناً) ²

إنّ التناص الأدبي هنا كان بذكر ثمانية عشر بيتاً من شعر محمود شيت خطاب، وهذا عدد كبير من الأبيات الشعرية مقارنة مع غيره من الشعراء.

ومن التناص الأدبي ذكر بيت شعري كامل يقول العبوشي في مسرحية "شبح الأندلس" في معرض الحوار مع سعدي:

المتدارك

الشاعر:

الهون الهون أيّا عرب	قد جاء الغوث فلا تهبوا
فذناب العرب ستقذفهم	وحمل صهيون سينتهب ³

فيردّ عليه سعدي مستهزئاً، ببيت من شعر علي بن عبد الغني الفهري الحصري القيرواني⁴:

¹ أحد ضباط الجيش العراقي "برتبة رائد ركن" حين شارك في معارك جنين 1948، كان شاعراً ومؤرخاً، وقد ألقى هذه الأبيات في مهرجان شهداء جنين، حيث تظهر الأبيات تفاني الجيش العراقي وإخلاصه في الدفاع عن مدينة جنين، كما وتظهر أيضاً شجاعة شباب فلسطين، علماً أنه كان صديقاً للشاعر العبوشي في جنين وفي العراق أيضاً، ولقد وصل لرتبة لواء ركن حين توفاه الله ببغداد.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 497-498.

³ نفسه، ص 492.

⁴ وهو من شعراء العصر الأندلسي من أهل القيروان، توفي سنة 1095 م، عن موقع www.adab.com.

المتدارك

(يا ليل الصب متى غده أقيام الساعة موعده)¹

فالعبوشي من خلال الأبيات المقتبسة يخدم الغرض الذي يريد، ويوثق الصلة بين أعماله الأدبية وأعمال من سبقوه من مختلف العصور.

كما يتناص العبوشي مع بعض الأبيات الشعرية من حيث المعنى العام، فنراه يذكر بذلك المعنى الذي أورده الشاعر اللبناني وديع البستاني حين ارتاب بمخططات اليهود الذين يقدون إلى فلسطين عبر البحر، يقول البستاني:

الطويل

أجل عابر الأردن كان ابن عنما ولكننا نرتاب في عابر البحر²

فقد أورد العبوشي ما يشبه فكرة "عابر البحر" في مسرحية "الفداء" حيث يقول:

الوافر

فإن الأرض أرض أبي وجدي وهم جاؤوا من البحر السحيق³

كما يتناص مع الشاعر المخضرم الحطيئة في قصيدته التي نظمها وهو محبوس في بئر زمن الخليفة العادل عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- بسبب هجائه للزبرقان بن بدر، حيث يقول الحطيئة مستعطفاً عمر بن الخطاب ليخرجه من سجنه:

البسيط

أنقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاعفر عليك سلام الله يا عمر⁴

تناص العبوشي مع هذا البيت في قصيدة "الحيمن الإنسان"، لكن القعر المظلمة في قصيدة العبوشي تعني رحم الأم، حيث يقول:

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص492.

² البستاني، وديع، ديوان الفلسطينيين، بيروت، دار الطباعة والنشر الشرقية، 1946، ص87.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص582.

⁴ الحطيئة، أبو ملكية جرول بن أوس العبسي، ديوان الحطيئة، دار صادر، 1967، ص121، دم.

البسيط

ألقاك عن شهوة في قعر مظلمة فخلت نفسك جزارا على وضم¹

ومن تناصه الأدبي حوار أقامه العبوشي مع "أبي تمام" في قصيدة "الموصل"، حيث زار العبوشي مدينة الموصل العراقية، وزار فيها تمثال الشاعر الكبير "أبي تمام" وكان مقطوع الرأس:

ومذ رأيت "أبا تمام" انطلقت	مدامعي بقواف ذات إفصاح
وجدته حجرا صلدا فقلت له	مالي أراك سليب الراس يا صاح
فقال لم أك في دنياي ذا جسد	وإنما كنت روحا بين أرواح
والناس قد عبدوا الأصنام من قدم	واليوم قد عبدوا تمثال سقّاح
"فالسيف أصدق أنباء" إذا امتهنت	حقيقة الحق فاندبه لإصلاح ²

فقد اقتبس العبوشي في حوارهِ مع أبي تمام شطرا من بائية أبي تمام التي نظمها بمناسبة "فتح عموريا" حيث يقول أبو تمام:

البسيط

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب³

ومن إبداعات العبوشي في التناص جمعه للتناص الديني والأدبي في بيت واحد، حيث يتناص مع آية قرآنية في الشطر الأول، وبيت شعر لأبي العلاء في الشطر الثاني:

الكامل

وامش الهويني خاشعا متصدعا فلقد مشيت على رفات ترابه⁴

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي ، ص246.

² نفسه، ص80-81.

³ أبو حمدة، محمد علي، في التذوق الجمالي لقصيدة أبي تمام الطائي في فتح عمورية، دار الجيل، 1984، ص13.

⁴ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص50.

حيث يتناص في صدر هذا البيت مع قوله تعالى من سورة الحشر ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾¹، ومع قول أبي العلاء المعري:

الخفيف

سر إن استطعت في الهواء رويدا لا اختيالا على قبور العباد
خفف الوطء فما أظن أديم الأر ض إلا من هذه الأجساد²

التناص الذاتي:

التناص الذاتي هو العلاقات التي تعقدها نصوص الكاتب مع بعضها، إن كان على مستوى الأسلوب، أو على مستوى تقاطع الموضوعات والرؤى والأفكار التي تعبر عن هاجس الأديب ومواقفه، فالأديب ينتج نصا واحدا مهما تعددت نصوصه³.

يتناص العبوشي مع نفسه في أشعاره ومسرحياته بشكل لافت، فنراه في مسرحياته المختلفة يقتبس أبياتا شعرية من دواوينه الشعرية ويضمنها في نصوصه المسرحية، لتكون جزءا من الحوار، فتخدم المعنى المراد، ومن تضمينه الذاتي قوله في مسرحية "الفداء" في معرض الحوار بين "أحمد وسندس" وهما ولدا فاطمة، وهائل وسحبان الذين كانوا يصفون ألم التشرد والجوع والفقر:

مجزوء الكامل

أحمد: أنا جائع

سندس: وأنا كذلك

فاطمة بحزن:

¹ الحشر، آية 21

² المعري، أبو العلاء، شرح ديوان سقط الزند، بيروت، منشورات مكتبة الحياة، 449هـ، ص78.

³ انظر: أحمد، أمل، التناص في رواية إلياس خوري باب الشمس، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، إشراف الدكتور: عادل الأسطة، 2005م، ص14.

اصب رُوا أو فاعل رُوا

تخاطب الجماعة:

لم يبق عندي غير صا ع من طحين فاعجبوا¹

وهنا يبدأ التناص الذاتي في معرض رد هائل على ما تقوله فاطمة:

هائل:

يا لهف نفسي للأرز
قد كان قوتا للضعف

فقدته فقد الحبيب
وتحفة الضيف النقيب

سحبان:

يا حسنه في صحنه يزهو وفي طي الحليب
وإذا تعصفر خلته كمتيم جمّ الشحوب²

هذه الأبيات اقتبسها العبوشي من قصيدة "الأرز بالبطاقات"³، وقد لجأ العبوشي إلى التناص الذاتي في أكثر من موضع، وهذا يدل على أن نصوص الأديب مهما تعددت وتنوعت إلا أنها تعد نصوصاً واحداً.

المبحث السادس: التكرار

يعدّ التكرار أحد الوسائل التي وظفها برهان الدين العبوشي في شعره للتعبير عن أفكاره، وتوضيحها للمتلقي، فالتكرار "ظاهرة موسيقية ومعنوية في آن واحد، فهو ظاهرة موسيقية عندما ترد الكلمة أو البيت أو المقطع على شكل اللازمة الموسيقية، أو النغم الأساسي الذي يعاد ليخلق جواً نغمياً ممتعاً، ويصبح هذا التكرار على المستوى اللغوي ذا فائدة معنوية، إذ

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 571-572.

² نفسه، ص 572.

³ انظر : نفسه، ص 134.

إن إعادة ألفاظ معينة في بناء القصيدة، يوحي بأهمية ما تكتسبه تلك الألفاظ من دلالات، ما يجعل ذلك التكرار مفتاحاً في بعض الأحيان لفهم القصيدة¹.

وتعود أهمية التكرار إلى أنه "يحتوي كل ما يتضمنه أي أسلوب آخر من إمكانات تعبيرية، إنه في الشعر مثله في لغة الكلام يستطيع أن يغني المعنى، ويرفعه إلى مرتبة الأصالة، ذلك إن استطاع الشاعر أن يسيطر عليه سيطرة كاملة"².

"والتكرار تقنية ترتكز إلى تكرار ذكر مفردة أو عبارة أو تركيب، أو جملة بملفوظها ومدلولها في مكان آخر، أو أماكن أخرى في القصيدة، وتعدّ هذه البنية ذات حضور فاعل وممتد في جسد القصيدة، فقد اعتمد عليها برهان الدين العبوشي اعتماداً جعل منها تقنية فنية أقام بها القصائد... وقد أخذ التكرار أنماطاً معينة، عملت على إثراء الإيقاع، والمحمول الدلالي معاً، معززا بنية القافية في بعدها الموسيقي"³.

وظاهرة التكرار ليست وليدة اليوم، بل هي ظاهرة أصيلة في كلام العرب شعره ونثره، ومن التكرار في شعر الخنساء من قصيدة رثاء لأخيها صخر:

البسيط

وإن صخرًا لو ألبينا وسيدنا وإن صخرًا إذا نشئتو لنحّار
وإن صخرًا لمقدام إذا ركبوا وإن صخرًا إذا جاعوا لعقّار⁴

فتكرار اسم صخر يدل على الرفعة والسمو والمكانة العظيمة التي كان يحتلها في قومه.

والتكرار في كلام العرب له جذوره التاريخية حيث "كان ابن قتيبة أول من تعرّض له حين تناول أسباب التكرار في بعض سور القرآن الكريم"⁵.

¹ الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة، ص338.

² الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، بيروت، دار العلم للملايين، 1997م، ط10، ص261.

³ خواجا، علي، برهان الدين العبوشي، ص21.

⁴ الخنساء، ديوان الخنساء، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، د.ت، ص51.

⁵ الصباغ، رمضان، في نقد الشعر العربي المعاصر - دراسة جمالية، الإسكندرية، دار الوفاء، 1998م، ص236.

وتكشف لنا عملية تتبع ظاهرة التكرار في الأعمال الكاملة لبرهان الدين العبوشي، أن الشاعر قد تعامل معها في أنماط معينة، تفاوتت في نسب شيوعها من مكان إلى آخر في أعماله الأدبية، وذلك وفق متطلبات السياقات، واحتياجاتها التعبيرية، ويمكن تأطير هذه الأنماط على النحو الآتي:

أولاً: بنية رد العجز على الصدر

وتعني "أن يكون أحد اللفظين في آخر البيت والآخر في أول الصدر، أو وسطه أو آخره أو في أول العجز، واللفظان المكرران هما المتفقان في اللفظ والمعنى، نحو قوله تعالى: "وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ"¹، فاللفظ والمعنى واحد، والمتجانسان هما المتشابهان في اللفظ دون المعنى²، ومن ذلك قول العبوشي في قصيدة "في المعتقل":

مجزوء الكامل

حيّ الكرامة في الشهيد وكم بقومي من شهيد³

فالعبوشي هنا وظّف التكرار توظيفاً شكلياً بهدف توكيد البنية المكررة الأولى، ليتم بذلك توكيد المعنى وهو كثرة شهداء فلسطين.

ثانياً: بنية المجاورة

"وهو بنية تكرارية تركز إلى تجاور دالين مفردين أو أكثر على امتداد الشطر الشعري، أو البيت الشعري، ورأسياً على امتداد الأَشْطَر المتتابة أو الأبيات المتتابة"⁴ كما في قول العبوشي في قصيدة "الوطن المبيع":

الكامل

لا تعذلوا الشعب الفتى فإنه آوى الشريد فراعته بخرابه

¹ آل عمران، آية 8.

² سعد، محمد، شبكة الفصحى لعلوم اللغة العربية، 11-1-2010 www.alfaseeh.com .

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 139.

⁴ التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص 47.

لا تعذلوا الشعب الفتى فإنهم دسّوا له سمّا بحلو شرابه¹

فقد كرّر العبوشي "لا تعذلوا الشعب الفتى" ليؤكد أن الشعب قد آوى اليهود في بداية الأمر لأنه شعب مضياف معطاء، وهذه عادات العرب، ولم يدرك الشعب المخططات الخبيثة التي كانت تدور في خلد اليهود.

ثالثا: بنية التكرار الخالص

"وهي بنية تصدير حرّة تمثل مظهرا موسيقيا خاصا بالمقطع، وتتخذ أشكالا مختلفة، منها أن يرد الدال في أول الصدر وآخره"²، ومن ذلك قول برهان الدين العبوشي في قصيدة "هتلر":

إلى أين ماض أنت قل لي إلى أينأ أخاف عليك الأذن والقلب والعينا³

لقد حقق العبوشي من خلال هذا التكرار التأثير الموسيقي والدلالي المطلوب، الذي ما كان له أن يظهر بهذه الصورة لولا الإبداع التكراري الذي ظهر من خلال تكرار "إلى أين" في بداية الشطرة الأولى وخاتمتها، فالتكرار هنا يربط تفكير المتلقي بما بين الدالين المكررين، حيث جاء العبوشي بصيغة السؤال "قل لي".

رابعا: تكرار الجملة أو ما دونها

"وهو نمط من تركيب، أو عبارة مكررة على مسافات متباعدة قريبا وبعدا من عنوان القصيدة، إذ لا يلبيث أن يظهر المكرر، حتى يختفي، ليعاود الظهور بين الفينة والأخرى، وهو بهذا الحال من الظهور والاختفاء، يبقى المتلقي حاضرا ذهن والعاطفة، مشدودا إليه، إلى أن تنتهي القصيدة"⁴، حيث تبرز ظاهرة التكرار اللغوي بشكل واضح في أعمال العبوشي الأدبية، ومنها على سبيل المثال:

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص51.

² التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص49.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص117.

⁴ خواجا، علي، برهان الدين العبوشي، ص22.

تكرار الكلمة: وهو الغالب في شعر العبوشي، ومنه تكرار الاسم، والفعل، والحرف، حيث يعد تكرار الكلمة من أبسط أشكال التكرار، وأكثرها شيوعاً وانتشاراً، وفي حالة تكرار الكلمة يجب أن يكون "اللفظ المكرر وثيق الصلة بالمعنى العام للسياق الذي يرد فيه، وإلا كان لفظة متكلفة لا فائدة منها"¹. ومن أمثلة تكرار الاسم قوله:

الخفيف

والشباب، الشباب نار تلظى تحرق الأرض بحرهما وسماها²

وقد كرّر الشاعر لفظة الشباب للدلالة على أهمية فئة الشباب في رد الضيم عن أوطانهم، فجعل الشباب، نقطة ارتكاز يقوم المقطع بكليته عليهم، ومن ذلك في شعره كذلك:

الخفيف

أمة الحرب تستعيد علاها بالمواضي وتسترد بناها
أمة الحرب لا تنال بضم أمة الحرب لا يجاس حماها

وقد كرّر الشاعر "أمة الحرب" ثلاث مرات في بيتين للدلالة على أهمية القتال في رد ما اغتصب من أرض إلى أصحابه، فالحرب هي السبيل الوحيد لإعادة الحق المغتصب، وقد قرن كلمة أمة بالحرب ثلاث مرات، للدلالة على أن الأمة دون الحرب لن تستطيع نيل حقوقها، فالحقوق لا توهب بل تنتزع انتزاعاً.

ومن مظاهر التكرار في شعر العبوشي، تكرار الأفعال الذي يكسب التركيب الشعري معاني إضافية، فهناك فرق واضح بين ذكر الشاعر لفعل الأمر "تعالوا" مرة واحدة، وذكره أربع مرات في مطلع الصدر لأربعة أبيات متتالية:

الطويل

تعالوا نضم الشمل فالحيّ قد خلا وقائده ناء وناديه مبتلى

¹ عاشور، فهد ناصر، التكرار في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004م، ص60.

² فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص43.

تعالوا فإن الشرّ أبدى نواجذا وحدّد أنيابا وجرّد أنصلا
تعالوا فإنّا أخوة من سلالة تباغت بها الدنيا وسادت على الملا
تعالوا ففي التوحيد يا قوم قوة سنقلب فيها الظلم والشر أسفلا¹

إن ذكر فعل الأمر تعالوا أربع مرات متتالية يكسب دعوة الشاعر بني قومه إلى الوحدة بعدا جديدا لا يمكن الوصول إليه دون التكرار، ففعل الأمر هنا جاء ليحمل تكثيف معنى النصح والإرشاد لبني قومه أن يتوحدوا لمواجهة المخاطر، حيث عمد العبوشي إلى تكرار العنوان على مسافات متباعدة في جسد القصيدة ما يعمل على "تعميق المعنى الدلالي والزمني في نفس المتلقي، على مستوى وجوب التوحد والتكاتف، لأن في هذا قوة عظيمة تواجه الشر، وتقتلعه من فلسطين، والعبوشي بذلك يؤسس قاعدة يبني عليها توجهاته الفكرية والشعرية المطروحة، فالقصيدة كاملة تدور حول محور دلالي واحد، وهو لم الشمل والتوحد وتنظيم الصفوف لمواجهة العدو المغتصب². ومن أمثلة تكرار الفعل الماضي قوله في مسرحية "شبح الأندلس" على لسان محمود:

الوافر

أحقا راية العربي تطوى وما زال الأعادي قيد ميل
وما زالت سرايا الخصم تعثو بأرض الله والوطن الجميل
وما زالت نسانا هائمات يعانين الشماتة من عذول³

ففي هذا المقطع الحوارية الذي تكرر فيه الفعل الماضي "ما زال"، أصبح المقطع بمجمله يقوم على تكرار هذا الفعل، وتكرار الفعل "ما زال" هنا يضيف معنى استمرارية وجود العدو، حيث يستنكر الشاعر على جيوش العرب ترك ساحة المعركة، والعودة إلى بلادهم.

ومن مظاهر التكرار كذلك، تكرار الحرف، ما يكسب البيت الشعري معاني إضافية جديدة، فمن أهم الأمور التي تجدر ملاحظتها أن التكرار في شعر برهان الدين العبوشي لا يكون

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص44.

² انظر: التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص51.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص496.

شكليا أو من غير قصد، فهو يلجأ إلى التكرار لتلبية الدفقات الشعرية ما يحافظ على التصعيد في قصائده، حيث يوظف العبوشي الحرف في شعره على نحو مميز لتأدية الدلالات المطلوبة:

الطويل

فلا ظلم لا إيثار لا فقر لا خنا لقد ذللت في أرض مصر العوائق¹

فقد كرّر الشاعر حرف النفي "لا" في البيت أربع مرات في معرض تمنيه أن يزول الظلم والفقر عن شعب مصر زمن الفاروق، وهذا النمط من التكرار يسميه فهد ناصر عاشور (التكرار الشعوري)².

ومن تكرار الحروف، تكرار حرف النداء "يا"، حيث يسعى الشاعر من خلال ذلك تأكيد معنى النداء، وإلى التنبيه من خطر ضياع فلسطين، والعرب في لهو ولعب:

البسيط

يا أمة البيد يا أهل العراق أيا أهل الشام إلام اللهو واللعب³

ومن أهم أشكال تكرار الحرف في شعر العبوشي؛ تكرار حرف التوكيد "إن"، حيث تعدّ دلالة التوكيد من أهم الدلالات، وأكثرها شيوعا وانتشارا، ومن أمثلتها في شعر العبوشي:

الخفيف

إنها فرصة الزمان تواتي عارفيها ولا تواتي الغشما
إنها خدعة الضعيف وقدا كانت الحرب خدعة وعلوما
إنها خدعة اللئيم لغدر ومن الجهل أن تجاري اللئima⁴

ففي هذا المقطع من مسرحية (شبح الأندلس) يتكرر حرف التوكيد "إن" ملازما للضمير ها، في معرض توكيد العبوشي للعرب أن الهدنة ليست لصالحهم، بل هي استراحة المقاتل

¹ التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص 114.

² انظر: التكرار في شعر محمود درويش، ص 56-57.

³ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص 47.

⁴ نفسه، ص 481.

لليهود، حتى يرتبوا صفوفهم، ويعاودوا الكرّة من جديد، وليعمق العبوشي هذا الشعور كرّر حرف التوكيد، فكان كمن يؤكد الشيء المؤكد، فزاده بذلك ثباتاً وتأكيداً.

وقد لجأ العبوشي في قصائده إلى تكرار العبارة كاملة، وأراد من ذلك أن يحقق معنى التعجب، فجعل من عبارة "جر يا زمان" لازمة للقصيدة:

مجزوء الكامل

ج ر ي ا ز م ا ن
ج ر ي ا ز م ا ن وأرهِقِ أَشَدُّ عَلَيَّ وَأَطْبِقِ
مَا كُنْتُ مِنْكَ بِمَشْفِقِ فَعَدَا أَقْرَبُ بِخَنَدَقِي
ج ر ي ا ز م ا ن
خَوْضَ الْمَعَارِكِ عَادَتِي أَرْخَصْتُ فِيهَا هَامَتِي
سَأْنِيلُ فِيهَا أَمَتِي مَجَدَا وَأَرْفَعُ رَايَتِي
ج ر ي ا ز م ا ن¹

وقد سمّى فهد ناصر عاشور هذا النوع من التكرار بـ (التكرار الهندسي)².

¹ فارس السيف والقلم - الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص141.

² التكرار في شعر محمود درويش، ص101.

الخاتمة

لقد عاش برهان الدين العبوشي مرحلتين مهمتين مثلتا نقطة التحول في حياته، المرحلة الأولى عاشها في ربوع وطنه وفي أحضان مدينته جنين قبل النكبة وأثناءها، والمرحلة الثانية قضاهما في العراق بعد النكبة. فأسهم بسيفه ولسانه في الذود عن حمى الوطن، حيث تغنى بالسهول والجبال والأودية والشعاب، أورد أسماء المدن والقرى، والأشخاص الذين كان لهم الأثر البالغ في الدفاع عن هذا الوطن بحيث يمكن أن نعدّ شعره معجماً للأحداث الفلسطينية والمدن والرجال.

بثّ في أعماله الأدبية لواعج الشوق والحنين، وتواصل مع وطنه بالذكريات والتفاؤل والأمل بالعودة والتحرير، أثّرت فيه الأحداث وأثّر فيها وتفاعل معها، فأدلى بدلوه مع إخوانه أدباء تلك المرحلة الذين أخذوا على عاتقهم الذود عن حمى وطنهم.

كان العبوشي أحد هؤلاء الذين تغنّوا بحب الوطن ومجّدوا البطولات، وصبّوا جام غضبهم على السماسرة والمتآمرين، عشق الطبيعة ومفاتيها، فعاش طفولته وصباه بين سهولها فأصبحت جزءاً منه وأصبح جزءاً منها، فعرف بها وعرفت به، سخر شعره لمتابعة الأحداث فما مرت مناسبة وطنية أو قومية أو دينية أو سياسية إلا وعبر عنها أصدق تعبير، فصار بأدبه مؤرخاً لفلسطين يدافع عنها، ويوقظ شعبه، ويلهب مشاعر أُمته، ويحثها على النفير.

كما أدّى دوره النضالي العملي إلى جانب المجاهدين، فعاش تلك المرحلة - مرحلة النكبة - وأصيب إصابات بالغة، وأكره على مغادرة وطنه حاملاً هموم الوطن وآلامه، فانقسم فكره بين الغربة والشوق والحنين. سجّل في أدبه ذكريات الوطن على الرغم من النكبات والنكسات التي حلت به، وعبر عن إيمانه بحتمية النصر والتحرير والعودة مهما طال الزمن.

أما بالنسبة للمسرح فإن الجهود المتواضعة التي بذلها برهان الدين العبوشي وإخوانه من كُتّاب المسرح في فلسطين هي جهود قيّمة ورائدة إذا ما قورنت بالظروف التي اكتتفت ظهور المسرح الشعري في فلسطين، وهي إرهابات لا يستهان بها في بناء فن مسرحي مميز فنا

ومضمونا، إن هذه الإرهاصات المسرحية تدعو إلى التفاؤل، فعلى الرغم من العقبات والصعوبات والحواجز التي وقفت في طريق نمو هذا الفن العظيم، إلا أنها تعد بواذر مميزة ومشجعة، وهي تشكل مرحلة الأساس الذي سيرتفع عليه أدب المسرح الشعري في فلسطين. كما شكلت مسرحيات العبوشي صورة من صور مواجهة المحتل "فقد شملت المواجهة الفلسطينية للاحتلال الصهيوني كل نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والأدبية والفنية"¹.

وأرى وفاء للعبوشي خاصة وللمسرح الفلسطيني عامة أن تمثل مسرحيات برهان الدين العبوشي على خشبة المسرح لإبراز عدالة القضية الفلسطينية، وأن تدرس أعمال برهان الدين العبوشي في المناهج الفلسطينية في الجامعات والمدارس؛ ليتعرف الجيل الصاعد على أدبه.

¹ شريتح، محمد، الرواية والقصة القصيرة والمسرحية 1948-1985، الموسوعة الفلسطينية، مجلد 5، ص217.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

القرآن الكريم.

العبوشي، سماك وحسن، فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ط1، دار مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق، 2009م.

المراجع

ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر، 1959م.

الأسد، ناصر الدين، محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن، جامعة الدول العربية، ط1، معهد الدراسات العربي العالية، 1961م.

الأسطة، عادل، اليهود في الأدب الفلسطيني بين 1913-1987م، ط1، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، 1992م.

الشعر العربي المعاصر، بيروت، دار العودة، 1973م.

أبو أصبع، صالح، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة بين عامي 1948-1975م، ط1، دار البركة للنشر والتوزيع، عمان، 2009.

الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، الرياض، جمعية إحياء التراث الإسلامي، 2000م.

البستاني، وديع، ديوان الفلسطينيين، بيروت، دار الطباعة والنشر الشرقية، 1946.

الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ج3، ط3، 1968.

- جبر، أيمن عبد العزيز، روائع البيان لمعاني القرآن، دار الأرقم، عمان، ط1، 1997.
- جرار، حسني، أدباء من جبل النار، ط1، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، 2007م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، المكتبة العلمية، القاهرة، ج1، 2000.
- الجوزي، نصري، تاريخ المسرح الفلسطيني 1918-1948م، ط2، رام الله، دار الارض للنشر والتوزيع، 2011.
- جيدة، عبد الحميد، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، بيروت، مؤسسة نوفل، 1980م
- أبو حاققة، أحمد، الالتزام في الشعر العربي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.
- الحصري، ساطع، آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984م.
- الحطيئة، ابو ملكية جرول بن أوس العبسي، ديوان الحطيئة، دار صادر، 1967، د.م.
- الحكيم، توفيق، من البرج العاجي، القاهرة، مكتبة مصر، 1988م.
- الحلبي، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1400 هـ، 462/1.
- حمادة، إبراهيم، معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، القاهرة، دار المعارف، 1985م.
- أبو حمدة، محمد علي، في التذوق الجمالي لقصيدة أبي تمام الطائي في فتح عمورية، دار الجيل، 1984.
- خلف، علي حسين، أبو سلمى زيتونة فلسطين، منشورات الأسوار، عكا، ط1، د.ت.

الخواجه، علي، برهان الدين العبوشي، المركز الفلسطيني للبحوث والدراسات الإستراتيجية، ط1، 2008م.

التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث، ط1، رام الله، دار البيرق العربي للنشر، 2009م.

الخنساء، ديوان الخنساء، دار مكتبة الحياة، بيروت، دار الأندلس، 1968.

الدسوقي، عمر، المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها، دار الفكر العربي ، د.ت.

الراعي، عبد القادر، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، 1999م.

الربيعي، محمود، لغة الشعر المعاصر، مجلة فصول، العدد الرابع، يوليو، 1981م.

رحماني، أحمد، الرؤيا والتشكيل في الأدب المعاصر، القاهرة، مكتبة وهبة، 2004م.

الزعبي، أحمد، التناص نظريا وتطبيقا، مكتبة الكتاني، ط1، إربد، 1995م.

زعيتر، أكرم، الحركة الوطنية الفلسطينية 1935-1939، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1980.

سلام، أبو الحسن، مقدمة في نظرية المسرح الشعري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الاسكندرية، 2006.

سلسع، جمال، الظاهرة الإبداعية في الشعر الفلسطيني الحديث، مطبعة المعارف، 1994 م.

السوافيري، كامل: ديوان عبد الرحيم محمود، دار العودة، بيروت، 1999م.

أعلام الشعر والأدب في الأرض المحتلة، ط3، دار المعارف، 2000.

الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من 1917-1955، ط1، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1963.

الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1973.

سليمان، سهيل، كمال ناصر الشاعر والأديب والسياسي، دار الأصالة، بيروت، ط1، 1986.

سليمان، فتح الله أحمد، الأسلوبية - مدخل نظري ودراسة تطبيقية، القاهرة، مكتبة الآداب، 2004.

أبو الشباب، واصف كمال: شخصية الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط1، دار العودة، بيروت، 1981م.

القصة والرواية والمسرحية في فلسطين 1900-1948م، الموسوعة الفلسطينية، ط1، مج 4.

شراب، محمد محمد حسن: شعراء فلسطين في العصر الحديث، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2006م.

معجم العشائر الفلسطينية، الأهلية، 2002.

شريتج، محمود: الشعر الفلسطيني المعاصر، الموسوعة الفلسطينية، مج 4.

الرواية والقصة القصيرة والمسرحية 1948-1985، الموسوعة الفلسطينية، مج 5.

أبو شريفة، عبد القادر، إشكالية مصطلحات أدب السيرة، بحث ضمن كتاب أدب السيرة والمذكرات في الأردن، ط1، 1999م.

الشيخ، غريد، فدوى طوقان شعر والتزام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.

الصباغ، رمضان، في نقد الشعر العربي المعاصر - دراسة جمالية، الإسكندرية، دار الوفاء، 1998م.

الصبان، محمد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
الصعيد، عبد المتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، القاهرة، مكتبة الآداب، ج4، 2000م.

الصفدي، محيي الدين الحاج عيسى، مصرع كليب، ط1، القاهرة، دار مكتبة الحياة، 1974.
الضمور، عماد عبد الوهاب، محمود فضيل التل، حياته وشعره، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، 2001م.

ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط10، دار المعارف، القاهرة، 1969.
الطريفي، يوسف عطا، شعراء أعلام - إبراهيم طوقان حياته وشعره، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2008م.

طوقان، إبراهيم عبد الفتاح، ديوان إبراهيم طوقان، دار الشرق الجديد، بيروت، د.ت.
الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ط1، دار الفكر، بيروت، 1970م.
عائشور، فهد ناصر، التكرار في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004م.

عباس، إحسان: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، عمان، دار الشروق، 1986م.

فن السيرة، ط1، بيروت، 1956م.

الشعر في فلسطين حتى العام 1967، الموسوعة الفلسطينية، مج 4، القسم الثاني، دمشق، 1990.

- عبد الله، نافع، الشاعر عبد الرحيم محمود، مكتبة دبي للتوزيع، 1979.
- عبد القادر، فاروق، تنويعات على لحن الثورة المحاصرة، مركز القدس للأبحاث، منشورات الوكالة الفلسطينية، القدس، ط1، 1987.
- عبد الستار، إبراهيم، شعراء فلسطين العربية في ثورتها القومية، نادي الإخاء العربي، حيفا، 1947م.
- عبد الصبور، صلاح، حياتي في شعري، مجلد3، بيروت، دار العودة، 1977م.
- أبو العتاهية، أبو اسحق إسماعيل بن القاسم، ديوان أبي العتاهية، بيروت، دار صادر، 1964م،
- عراق، عبد البديع، صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط1، مؤسسة الأسوار، عكا، 2002م، المطبعة العربية الحديثة.
- أبو عزة، محمد، مقدمة مسرحية شبح الأندلس، دار مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق.
- عطوات، محمد عبد الله، الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر 1918-1968م، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1998م، ص358.
- عليان، محمد شحادة، الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث، ط1، 1978م، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.
- عبد الدايم، يحيى: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية، د.ت.
- عبد المطلب، محمد، بناء الأسلوب في شعر الحداثة - التكوين البديعي، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1995م.
- عبد النور، جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان، ط2، 1984م.
- أبو عمشة، عادل محمد: الاتجاه السياسي في شعر إيليا أبو ماضي، ط1، 1987م.

العروض والقافية، نابلس، مكتبة خالد بن الوليد، ط1، 1986.

الغذامي، عبد الله، الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي، ط1، جدة، 1985م.

غنيم، كمال أحمد، المسرح الفلسطيني، ط1، دار الحرم للتراث، القاهرة، 2003م.

الفار، مصطفى محمد: الشاعر أبو سلمى أديبا وإنسانا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1985م، بيروت، لبنان.

ابن فارس، أحمد، الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر الطباع، بيروت، مكتبة المعارف، ط1، 1993.

مدخل الى دراسة القضية الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، مج 5.

فيشر، أرنست، ضرورة الفن، ترجمة اسعد حليم، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، المطبعة الثقافية، 1971م.

قاسمية، خيرية، المذكرات والسير الذاتية الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، ط1، مج3.

قاسم، عدنان حسين، التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، الكويت، مكتبة الفلاح، 1988م.

قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن الكريم، بيروت، دار الشروق، 1979م.

القط، عبد القادر: من فنون الأدب - المسرحية، بيروت، دار النهضة العربية، 1978م.

الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، القاهرة، 1986م.

الكرمي، عبد الكريم، ديوان المشرّد، المكتبة الكبرى للتأليف والنشر، دمشق، 1953.

الكيالي، عبد الرحمن، الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1975.

الكيالي، عبد الوهاب، **النضال الفلسطيني، دروس وعبر،** المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1971م.

لوجون، فيليب، **السيرة الذاتية، ترجمة: عمر حلي،** المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994م.

الماضي، شكري عزيز، **في نظرية الأدب،** بيروت، دار المنتخب العربي، 1993م.

محمود، حسني: **شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب،** الوكالة العربية للتوزيع والنشر، عمان، ج1، 1984م.

شعر المقاومة الفلسطينية - دوره وواقعه في المنفى 1948-1967، ج3،

محمود، طارق عبد الكريم، مقالة بعنوان: **عبد الرحيم محمود ... الجانب الآخر - من كتاب عبد الرحيم محمود بين الوفاء والذكرى،** إعداد: أديب رفيق محمود وطارق عبد الكريم محمود، إصدار مركز إحياء التراث العربي، مطبعة روان التجارية، القدس، ط1، 1990م.

محاميد، محمد، **مسيرة الحركة المسرحية في الضفة الغربية 1967-1987،** الطيبة-المثلث، مركز إحياء التراث العربي، 1989م.

المرعشلي، **الموسوعة الفلسطينية،** الدراسات الخاصة، قسم 2، ج4، بيروت، 1990.

مصطفى، خالد علي، **الشعر الفلسطيني الحديث،** منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، 1978م.

المصري، يسرية، **بنية القصيدة في شعر أبي تمام،** الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م.

المعري، أبو العلاء، **شرح ديوان سقط الزند،** بيروت، منشورات مكتبة الحياة، 449هـ.

المقدسي، أنيس، **الفنون الأدبية وأعلامها،** ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م.

- الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، بيروت، دار العلم للملايين، 1997م، ط10.
- الملاح، ياسر: صفحات مطويات من تاريخ المسرح الفلسطيني، ط1، جمعية العنقاء الثقافية، الخليل، فلسطين، 2002م.
- مسرح الاحتلال في فلسطين، بيت لحم، دار البيان، 2003.
- أبو منشار، نزار نبيل، الظاهرة الشعرية في فلسطين وأثر الاحتلال عليها، 2003م، دن.
- مندور، محمد، المسرح، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1963م.
- منصور، عز الدين، دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر، بيروت، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 1985م.
- نشاوي، نسيب، المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، مطبعة ألف باء الأديب، دمشق، 1980م.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- أبو نضال، نزيه، الشعر الفلسطيني المقاتل، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ط1، 1974م.
- النقاش، رجاء، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، ط2، دار الهلال، القاهرة، 1971م.
- الهادفي، إبراهيم، معاني التجاوز في شعر الشابي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- الهواري، عرفان سعيد أبو حمد، أعلام من أرض السلام، شركة الأبحاث العلمية، حيفا، 1979م.
- الياسين، إبراهيم منصور، استيحاء التراث في الشعر الأندلسي، ط1، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2006م.

ياغي، عبد الرحمن:

في الجهود المسرحية الإغريقية الأوروبية العربية، بيروت، المؤسسة العربية
للدراسات والنشر، 1980م.

حياة الأدب الفلسطيني الحديث، من أول النهضة حتى النكبة، ط1، منشورات المكتب
التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1968م.

مواقع إلكترونية

البحراني، فاطمة جمعة، التناص التاريخي، مجلة (جريدة الفنون) المجلس الوطني للثقافة والفنون
والآداب، الكويت، كانون الثاني، يناير 2004. عن موقع: www.doroob.com

الخليلي، علي، مقارنة إشكالية بين فلسطين والأندلس، موقع "دار الخليج" بتاريخ 26 / 9
2004/ www.alkhaleej.ae

سعد، محمد، شبكة الفصحى لعلوم اللغة العربية، 11-1-2010 www.alfaseeh.com .

العبوشي، سماك برهان الدين، موقع الشاعر برهان الدين العبوشي الإلكتروني،
www.al-abbushi.com

عطوات، محمد، الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني المعاصر، www.bab.com .

القاضي، محمد حسيب، عن المسرح الشعري الفلسطيني، منتدى مسرحيون، التاريخ: 15-2-
2006م. www.masraheon.com .

القضايب، أحمد عادل، مقالة بعنوان "الحبكة"، بتاريخ: 5-8-2009م، موقع
maktoobblog.com

موقع معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين:
www.almoajam.org

نجم، السيد، العبوشي أدبيا ومناضلا، مقالة بتاريخ: 2008/8/18م، -www.middle-east-online.com

ويكيبيديا الموسوعة الحرة wikipedia.org.

مقابلات

عبد الكريم، طارق، نابلس - 20-4-2011 .

رسائل إلكترونية مع الأديب سماك برهان الدين العبوشي.

رسائل جامعية

أحمد، أمل، **التناص في رواية إلياس خوري باب الشمس**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، إشراف: عادل الأسطة، 2005م.

اشتية، معاذ عبد الله حامد، **عبد اللطيف عقل شاعرا**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، إشراف: عادل الأسطة، 2003م.

أبو بكر، أحمد حسن محمود، **حنا إبراهيم أدبيا**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، إشراف: عادل الأسطة، 2001م.

جعيد، عبد الرحمن علي عبد الرحمن، **علي الخليلي أدبيا**، إشراف الأستاذ الدكتور عادل أبو عمشة، 2006م، جامعة النجاح الوطنية.

دعمس، أحمد داود، **بناء الجملة في الشعر الفلسطيني الحديث**، دراسة تطبيقية في شعر: إبراهيم طوقان، وبرهان الدين العبوشي، وراشد حسين، رسالة دكتوراة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الدار العثمانية، عمان، ط1، 2010م.

دياب، صبري يوسف، **الوطنية في شعر حسن البحيري**، رسالة جامعية لنيل شهادة الإجازة (ليسانس)، إشراف: نسيب نشاوي، جامعة عنابة، دار المعرفة، ط1، 1985م.

الشيب، ندى محمود، فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني بين 1992-2002م، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، إشراف: عادل أبو عمشة.

فخر الدين، ساهرة عادل، القتال الكلابي شاعرا، رسالة ماجستير، إشراف: خليل عودة، جامعة النجاح الوطنية، 2005م.

مقالات

أبو شريفة، عبد القادر، إشكالية مصطلحات أدب السيرة، بحث ضمن كتاب أدب السيرة والمذكرات في الأردن، ط1، 1999م.

العمامرة، محمد، العبوشي فارس الكلمة المقاتلة، فارس السيف والقلم - الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي.

عودة، هشام، صفحات مطوية من حياة الشاعر برهان الدين العبوشي، مجلة بلسم، عدد 306، كانون الأول، 2000م.

المغيص، تركي، السمات الأسلوبية في مذكرات الملك عبد الله بن الحسين، مقالة ضمن كتاب أدب السيرة والمذكرات في الأردن، ط1، منشورات جامعة آل البيت، 1999م.

عبد الكريم، طارق، صحيفة القدس، "الشاعر الفلسطيني برهان الدين العبوشي... إلى متى يظل منسياً ومظلوماً"، 11/12/2009م.

نجم، السيد، العبوشي أديبا ومناضلا، مقالة بتاريخ: 2008/8/18م، -www.middle-east-online.com.

مجلات

البحراني، فاطمة جمعة، التناص التاريخي، مجلة (جريدة الفنون) المجلس الوطني للثقافة

والفنون والآداب، الكويت، كانون الثاني، يناير 2004 . www.doroob.com

الجعدي، محمد عبد الله، حضور الأندلس في الأدب الفلسطيني الحديث، مجلة عالم الفكر،

المجلد الثامن والعشرون، العدد الرابع، إبريل-يونيو، 2000م.

أبو عمشة، عادل، الشهيد في شعر إبراهيم طوقان وأبي سلمى وعبد الرحيم محمود، مجلة

جامعة بيت لحم، عدد 14، 1995م.

عودة، هشام، مجلة بلسم، العدد 306، كانون الأول، 2000م.

الياسين، إبراهيم منصور، استيحاء التراث في الشعر الأندلسي، ط1، عالم الكتب الحديثة،

الأردن، 2006م.

**AN Najah National Universty
Faculty of Graduate Studies**

Borhandin Aboshi as a Writer

**By
Shams El-Deen Gannam Aseeda**

**Supervised by
Prof. Adel Abo-Amsha**

**This Thesis is Submitted in partial Fulfillment of the Requirements
for the degree of Master of Arabic Language, Faculty of Graduate
Studies, An-Najah University, Nablus, Palestine.**

2012

Borhandin Aboshi as a Writer
By
Shams El-Deen Gannam Aseeda
Supervised by
Prof. Adel Abo-Amsha

Abstract

This study introduces the background about the Palestinian Artist Borhan Al-Deen Al-Abboshi by looking at his birth , life , education , culture and travels. Moreover , the impact of the surrounding environment on his personality formation .It also surveys the Literary trends for Borhan Al-Deen Al-Abboshi such as the poetic trends. His poetry includes natural and religious poems as well as to the Nakaya poetry . On the other hand , Theatrical trend express the matters of the countries related to poetry in a group of plays. Additionally , the prose trend which is embodied in the prose Memos . It also shows the artistic features in the poetry of Al-Abboshi through his language , style , music and his metaphors .

It aims at drawing the attention to a Palestinian artist who excelled side by side with his colleagues in the literary works which express the various stages from the history of the Palestinians . In spite of the hard circumstances , he was able to continue his creativity and cater the Arab Libraries in general and the Palestinian in particular with more than one literary genre . He wrote poetry , plays and memos which is an evidence that he had huge powers .